مجموع فتاوى

ومقالات متنوعة

تأليف الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله

جمع وترتيب

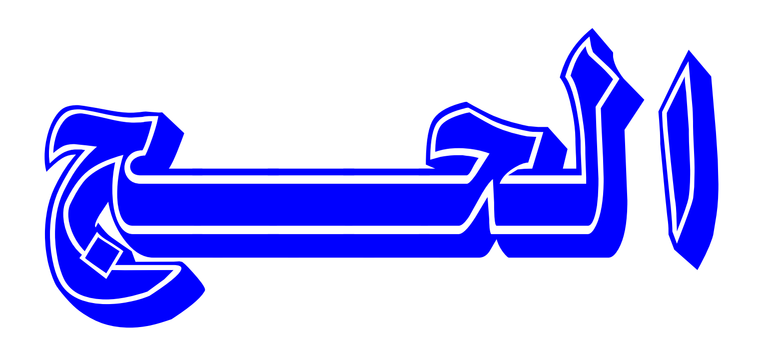
د. محمد بن سعد الشويعر



إعداد وتنسيق

موقع ابن باز

www.imambinbaz.org



"القسم الثالث والأخير"




بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثالث والأخير من الحج

باب الفوات والإحصار

١- الإحصار يكون بالعدو وبغير العدو كالمرض

س: إذا تجاوز الحاج الميقات ملبياً بحج وعمرة ولم يشترط، وحصل له عارض؛ كمرض ونحوه يمنعه من إتمام نسكه، فماذا يلزمه أن يفعل؟[١]

ج: هذا يكون محصراً، إذا كان لم يشترط، ثم حصل له حادث يمنعه من الإتمام، إن أمكنه الصبر؛ رجاء أن يزول المانع ثم يكمل صبر، وإن لم يتمكن من ذلك فهو محصر على الصحيح والله قال في المحصر: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٢]، والصواب، أن الإحصار يكون بالعدو، ويكون بغير العدو؛ كالمرض. فيهدي ثم يحلق أو يقصر، ويتحلل، هذا هو حكم المحصر، يذبح ذبيحة في محله الذي أحصر فيه سواء كان في الحرم أو في الحل ويعطيها للفقراء في محله، ولو كان خارج الحرم، فإن لم يتيسر حوله أحد، نقلت إلى فقراء الحرم، أو إلى من حوله من الفقراء، أو إلى فقراء بعض القرى، ثم يحلق أو يقصر ويتحلل، فإن لم يستطع الهدي صام عشرة أيام، ثم حلق أو قصر وتحلل.

---

(١) نشر في جريدة (الجزيرة) يوم السبت ١٤١٦/٢/٢هـ، وفي مجلة (الدعوة) العدد ١٥٤٣ في ١٤١٧/١/١٣هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

٢-حكم من حبسه حابس عن الطواف والسعي

س: ما حكم من أحرم من الميقات للحج أو العمـــرة، ثم حبـــسه حابس عن الطواف والسعي؟[١]

ج: الذي أحرم بالحج أو العمرة ثم حبسه حـــابس عـــن الطـــواف والسعي، يبقى على إحرامه، إذا كان يرجو زوال هذا الحابس قريباً؛ كأن يكون المانع سيلاً، أو عدواً يمكن التفاوض معه في الدخول وأداء الطواف والسعي، ولا يعجل في التحلل، كما حدث للنبي صلى الله عليـــه وســـلم وأصحابه (حيث مكنوا مدة) يوم الحديبية للمفاوضة مع أهل مكة، لعلهم يسمحون لهم بالدخول لأداء العمرة بدون قتال، فلما لم يتيـــسر ذلـــك، وصمموا على المنع إلا بالحرب، وتم الصلح بينه وبينهم علـــى أن يرجـــع للمدينة، ويعتمر في العام القادم، نحر النبي صلى الله عليه وسلم وأصـــحابه هديهم، وحلقوا وتحللوا، وهذا هو المشروع للمحصر، يتمهل، فإن تيـــسر فك الحصار استمر على

(١) نشر في مجلة (التوعية الإسلامية في الحج)، العدد ١١ في ١١/١٢/١٤٠٠هـ، وفي العدد ٩ ص ٩٣ عام ١٤٠٤هـ، وفي كتاب (فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة) لـسماحته ص ١٢٧ طبعـة ١٤٠٨هـ.

إحرامه، وأدى مناسكه، وإن لم يتيسر ذلك وشق عليه المقام، تحلل من هذه العمرة أو الحج إن كان حاجاً، ولا شيء عليه سوى التحلل بإهراق دم يجزئ في الأضحية، ثم الحلق أو التقصير كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه يوم الحديبية، وبذلك يتحلل، كما قال جل وعلا: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾[1]، فالحلق يكون بعد الذبح، ويقوم مقامه التقصير، فينحر أولاً، ثم يحلق أو يقصر، ثم يتحلل ويعود إلى بلاده، فمن لم يجد هدياً صام عشرة أيام، ثم يحلق أو يقصر، ثم يحل.

٣-من اشترط عند إحرامه لم يلزمه الهدي

س: إذا عزم المسلم على الحج، وبعد الإحرام تعذر حجه. ماذا يلزمه؟[2]

ج: إذا أحصر الإنسان عن الحج بعدما أحرم بمرض أو غيره، جاز له التحلل بعد أن ينحر هدياً، ثم يحلق رأسه أو يقصره؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(٢) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٥٤٠ في ١٤١٦/١٢/٢٢هـ.

أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[1]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أحصر عن دخول مكة يوم الحديبية، نحر هديه وحلق رأسه ثم حل، وأمر أصحابه بذلك، لكن إذا كان المحصر قد قال في إحرامه: فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، حل و لم يكن عليه شيء لا هدي ولا غيره ؛ لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قالت: يا رسول الله: إني أريد الحج وأنا شاكية، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ((حجي واشترطي: أن محلي حيث حبستني))[2]

س: رجل سافر هو وزوجته بنية العمرة بالطائرة، وعندما وصلا إلى جدة مرضت المرأة في المطار، ولم يلبثا أن عادا إلى الرياض في نفس اليوم، ولم يؤديا مناسكهما، مع العلم أنهما اشترطا عند إعلانهما نية العمرة. فهل عليهما إثم في ذلك؟ جزاكم الله خيراً وما المطلوب منهما؟[3]

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(٢) رواه البخاري في (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين) برقم ٥٠٨٩، ومسلم في (الحج)، باب (جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه) برقم ١٢٠٧.

(٣) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٥٦١ في ٢١/٥/١٤١٧هـ.

ج: بسم الله، والحمد لله، إذا كانا قد اشـــترطا عنـــد الإحـــرام: إن أصابهما حابس فمحلهما حيث حبسا، أو ما هذا معناه، فإنهما يحلان ولا شيء عليهما؛ بسبب المرض الذي يشق على المـــرأة معـــه أداء مناســـك العمرة؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لضباعة بنت الـــزبير رضي الله عنها لما قالت: يا رسول الله: " إني أريد الحج وأنا شاكية، قال: ((حجي واشترطي: أن محلي حيث حبستني))[1]. متفق على صحته.

س: هناك امرأة جاءت للحج مع أمها، ولكن أمها مرضت، فبقيت معها في الغرفة يوم عرفات، فما وقفت يوم عرفة، لا هي ولا أمها، ولكن ذهبت بعد الحج فوقفت من الظهر إلى المغرب، فما حكـــم حجها؟ وماذا عليهما جميعاً؟[2]

ج: عليهما أن يتحللا بأعمال العمرة، وهي أن تطوف كل واحـــدة منهما، وتسعى، وتقصر وتتحلل، وعليهما القضاء من العـــام الآتي، مـــع فدية: ذبيحة تُذبح في مكة للفقراء على كل

---

(١) رواه البخاري في (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين) برقم ٥٠٨٩، ومسلم في (الحج)، باب (جـــواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه) برقم ١٢٠٧.

(٢) من ضمن أسئلة مقدمة لسماحته في دروس في المسجد الحرام عام ١٤١٨هـــ.

واحدة إن استطاعتا ذلك أما وقوفها بعد يوم عرفة من الظهر إلى المغـــرب يوم العيد، فهذا بدعة، ولا عمل عليه، ولا يجزئ، ولا يجوز.

٤ - المحصر ينحر الهدي في المكان الذي أحصر فيه

س: هل نحر الهدي في غير الحرم خاص بالمحصر؟[١]

ج: المحصر ينحر الهدي في محله، سواء كان في الحرم أو في الحل.

٥- صيام عشرة أيام لمن عجز عن الذبح

س: ما حكم من أراد الحج والعمرة، وبعد وصوله إلى مكة ضاعت نفقته، ولم يستطع أن يفدي، وغير نيته إلى حج مفرد. هل يـــصح ذلك؟ وإذا كانت الحجة لغيره، ومشترطاً عليـــه التمتـــع، فمـــاذا يفعل؟[٢]

ج: ليس له ذلك ولو ضاعت نفقته، فإذا عجز عن الدم، يصوم عشرة أيام والحمد لله ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا

---

(١) من ضمن أسئلة مقدمة لسماحته في درس (بلوغ المرام).

(٢) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٥٤٢ في ١٤١٧/١/٦هـ.

رجع إلى أهله، ويبقى على تمتعه، وعليه أن ينفذ الشرط؛ بأن يحرم بالعمرة، ويطوف، ويسعى، ويقصر ويحل، ثم يلبي بالحج ويفدي، فإن عجز صام عشرة أيام؛ ثلاثة في الحج قبل عرفة، وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لأن الأفضل للحاج أن يكون يوم عرفة مفطراً؛ اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه وقف بها مفطراً.

س: إنسان أحصر عن إتمام أعمال الحج أو العمرة بسبب مرض أو نحوه، ولم يجد هدياً ذلك الوقت، فماذا يجب عليه؟[1]

ج: عليه صيام عشرة أيام قبل أن يحلق رأسه أو يقصر؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[2] الآية، ولفعله صلى الله عليه وسلم لما أحصر عن العمرة عام الحديبية سنة ست من الهجرة النبوية، والله الموفق.

١٦-حكم من بدأ العمرة ولم يتمها

س: قدر الله أن أذهب لأداء العمرة في شهر رمضان

(١) إجابة عن أسئلة صدرت عن مكتب سماحته، عندما كان رئيساً للجامعة الإسلامية.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

المبارك الفائت، ولما بدأت الطواف ولشدة الزحام لم أكمله، فخرجت من مكة وعدت إلى مدينتي، وكان ذلك ليلة سبع وعشرين. وأسأل سماحة شيخنا حفظه الله عما يترتب علي، مع العلم أنني والحمد لله أتمتع بصحة جيدة؟ أفيدونا، أفادكم الله.[1]

ج: قد أخطأت فيما فعلت عفا الله عنا وعنك وكان الواجب عليك أن تكمل العمرة في وقت آخر غير وقت الزحام؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾[2]. وقد أجمع العلماء، على أنه يجب على من أحرم بحج أو عمرة أن يكمل ذلك، وألا يتحلل منهما إلا بعد الفراغ من أعمال العمرة، ومن الأعمال التي تبيح له التحلل من أعمال الحج، إلا المحصر والمشترط إذا تحقق شرطه. فعليك التوبة مما فعلت، وعليك مع ذلك أن تعيد ملابس الإحرام، وتتجنب محظورات الإحرام، وتذهب إلى مكة لإكمال العمرة؛ للطواف والسعي والحلق أو التقصير، وعليك مع ذلك دم، وهو: سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو رأس من الغنم؛ ثني معز أو جذع ضأن، إن كنت جامعت امرأتك في المدة المذكورة، وعليك أن تذهب إلى الميقات الذي أحرمت منه بالأول وتحرم بعمرة جديدة، وتؤدي

(١) من كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ محمد المسند، ج٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

مناسكها؛ قضاء للعمرة الفاسدة بالجماع، مع التوبة مما فعلت، كما تقدم، وإن كنت تعلم الحكم، وأنه لا يجوز لك هذا العمل، فعليك إطعام ستة مساكين؛ لكل مسكين نصف صاع من قوت البلد من بر أو أرز أو غيرهما، أو ذبح شاة، أو صيام ثلاثة أيام عن لبس المخيط، ومثل ذلك عن تغطية الرأس، ومثل ذلك عن الطيب، ومثل ذلك عن قلم الأظفار، ومثل ذلك عن حلق الشعر في المدة المذكورة، أما إن كنت جاهلاً، فليس عليك شيء من الفدية المذكورة؛ لقول الله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1]، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أجاب هذه الدعوة، ولأدلة أخرى في ذلك. والله الموفق.

س: في العام الماضي حجت والدتي ومعها أبناؤها وبناهّا بنسك التمتع، وبعدما دخلوا في الطواف أصيبت بحالة إغماء، ولم تتمكن من الطواف والسعي، وحيث أنها مصابة بمرض السكر والضغط أُدخلت المستشفى، قال الطبيب لها: ما تستطيع إكمال الحج. ونظراً لهذه الحالة رجعوا جميعاً إلى مدينتهم، فماذا يترتب عليهم؟[2]

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢)من فتاوى سماحته في حج عام ١٤١٥هـ.

ج: هذه عملها عمل المحصر، هي نفسها تعتبر كالمحصر، عليها أن تذبح هدياً؛ لأنها أحصرت في مكة، ودم الإحصار يُذبح في مكان الإحصار، سواء في مكة أو في غيرها للفقراء، وعليها أن تقصر من شعرها، ويتم حلها. وإذا كان حجها فريضة، تحج بعد حين؛ لأنها محصرة، إلا إذا صحت قبل الحج، وتيسر لها الرجوع وتطوف وتسعى وتكمل حجها، فلا بأس. وظاهر الحال أنهم أصابهم هذا الأمر في طواف العمرة وهم متمتعون، فعليها أن ترجع وتكمل عمرتها إذا كانت تستطيع، ويكفي.

وإن كانت لا تستطيع، فعليها دم الإحصار؛ ذبيحة تُذبح في مكة للفقراء، مع التقصير، وبذلك تم أمر الإحصار، ولا شيء عليها؛ لأن الإحصار يكون بالمرض، ويكون بالعدو على الصحيح أما إن تيسر لها أن ترجع فهي لا تزال في الإحرام، ترجع وتطوف وتسعى وتقصر لعمرتها. وعليها دم، إن كان لها زوج وطأها، يُذبح في مكة للفقراء، وعليها الإتيان بعمرة جديدة من الميقات الذي أحرمت منه في الأول؛ قضاء لعمرتها التي فسدت بالجماع ، وإن كان ما عندها زوج، ما عليها شيء، ترجع تطوف وتسعى وتقصر لعمرتها السابقة، وتمت عمرتها، ولا شيء عليها. أما إن كانت لا تستطيع، فهي في حكم المحصر، تذبح شاة في مكة للفقراء؛ لأن الإحصار وقع في مكة، وعليها أن تقصر أيضاً من شعرها، وبهذا تحللت من عمرتها، وعليها عمرة

الإسلام فيما بعد إذا قدرت إذا لم تعتمر سابقاً، وعليها الحج أيضاً إن كانت لم تحج، والذين معها، إذا كانوا رجعوا و لم يكملوا عليهم مثلها؛ عليهم أن يرجعوا ويكملوا عمرهم، وليسوا محصرين، وإن لبسوا وتطيبوا هذا من الجهل، لا شيء عليهم. وإن كان فيهم امرأة قد وطأها زوجها، فعليها شاة عن الوطء، وتكمل عمرها، وتأتي بعمرة جديدة أيضاً من الميقات الذي أحرمت منه، بدل العمرة التي أفسدها بالوطء، ولا حرج. والذين معها من ذكور وإناث، يرجعون ويكملون عمرهم هذه التي رجعوا منها، وما لبسوا أو تطيبوا لا شيء عليهم؛ لأجل الجهل، والذي منهم قد وطء زوجته، أو الزوجة التي وطئت، قد أفسدت عمرها، وكذا عمرة الزوج عليه أن يكملها، ويأتي بعمرة جديدة من الميقات الأول الذي أحرم منه، وعلى الذي وطء أو وطئت عليهما دم يُذبح في مكة للفقراء.

س: يقول هذا السائل: إنه في عام ١٤٠٠هـ أحرم للعمرة من الطائف، وقال: لبيك اللهم لبيك عمرة إن شاء الله وعندما وصل إلى الحرم، منعه الجنود من دخول الحرم وأمروه بالرجوع، وعندما رجع إلى الطائف، أخبره بعض أهل مكة أن في الحرم حرب، وإطلاق نار، فما كان منه إلا أن نزع إحرامه، ولبس ثوبه، ورجع إلى بلده، فماذا عليه في ذلك؟ وهل هدي الإحصار يُذبح في الحرم، أو في أي

مكان؟ [1]

ج: هذا يسمى محصراً؛ للحادث الذي استحل فيه الحرم، والواجب على السائل أن لا يعجل في التحلل حتى ينحر هدياً، ثم يحلق أو يقصر قبل أن يخلع ثيابه، أو يتحلل، هذا هو الواجب عليه. فإن كان قصده في قوله: "لبيك عمرة إن شاء الله " يقصد بها: إن حبسه؛ يعني: إن شئت يا رب إمضاءها هذا قصده: الاستثناء فليس عليه شيء، أما إن قال: "إن شاء الله" من غير قصد، فهذا يلزمه أن يعيد ملابس الإحرام، وأن يذبح هدياً؛ ذبيحة، ثم يحلق أو يقصر، ثم يتحلل؛ يلبس ملابسه العادية، ولو بعد هذه المدة؛ لأنه محصر ممنوع من الوصول للحرم. إلا أن يكون تمم حجه بعد ذلك؛ جاء إلى مكة في السنة الثانية أو الثالثة بعد ذلك، وتمم؛ أي أحرم وتمم حجه أو عمرته، فليس عليه شيء إذا كان جاء بعد الإحصار هذا، وأدى عمرة فليس عليه شيء، والهدي إذا لزمه يُذبح في مكانه الذي أحصر فيه.

س: وإذا كان مثل هذا الذي نسي الحكم، ولا عرفه إلا فيما بعد؟ [2]

ج: يلبس ملابس الإحرام ويذبح هديه، ويحلق أو يقصر، ويحل من حيث بلغه الحكم.

---

(1) من فتاوى سماحته في حج ١٤٠٧هـ.

(2) من فتاوى سماحته في حج ١٤٠٧هـ.

باب الهدي والأضحية والعقيقة

٧ -حكم المتمتع الذي ضاعت نقوده

س: لقد أحرمت الإحرام الذي يلزم معه الهدي، ولكنها ضاعت نقودي وفقدت كل مالي الذي معي، فما حكمي في هذه الحالة؟ علماً بأن زوجتي ترافقني أيضاً[١].

ج: إذا أحرم الإنسان بالعمرة في أيام الحج متمتعاً بها إلى الحج، أو بالحج والعمرة جميعاً قارناً، فإنه يلزمه دم، وهو: رأس من الغنم؛ ثني من المعز أو جذع من الضأن، أو سُبع بدنة أو، سبع بقرة، يذبحها في أيام النحر بمكة أو منى، فيعطيها الفقراء والمساكين، ويأكل منها ويهدي. هذا هو الواجب عليه، فإذا عجز عن ذلك؛ لذهاب نفقته، أو لفقره وعسره وقلة النفقة، فإنه يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، كما أمره الله بذلك. ويجوز أن يصوم عن الثلاثة اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وذلك مستثنى من النهي عن صيامها لجميع الناس، إلا من فقد الهدي فإنه يصوم هذه الأيام الثلاثة؛ لما روى البخاري في صحيحه عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما قالا: ((لم يرخص في أيام التشريق أن

---

(١) نشر في مجلة (التوعية الإسلامية) في العدد ١١ عام ١٤٠٠هـ، وفي العدد ٦ عام ١٤٠٤هـ، وفي كتاب (فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة) لسماحته.

يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهدي))[1]. وإن صامها قبل يوم عرفة فهو أفضل، إذا كان فقد النفقة متقدماً، ويصوم السبعة عند أهله.

٨- حكم المتمتع الذي صام ثلاثة أيام ثم وجد قيمة الهدي

س: إنسان استحق عليه الهدي في الحج، ولكنه لم يستطع شراءه بسبب العسر، فصام ثلاثة أيام في الحج كما أمر الله وبعد أن صامها أو صام بعضها، وجد من يقرضه أو يسر الله الهدي، فماذا يفعل؟[2]

ج: إذا تيسر له القيمة التي يشتري بها الهدي ولو بعد أيام الحج فهو مخير بين ذبحها، ولا حاجة إلى صيام السبعة الأيام عند أهله، أو صيام السبعة الأيام الباقية؛ لأنه قد شرع في الصيام وسقط عنه الهدي، لكن متى ذبح سقط عنه بقية الأيام. مع العلم بأن الواجب ذبحه في الأيام الأربعة، وهي: يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة مع القدرة ويصير ذبحه بعدها قضاء.

---

(١) رواه البخاري في (الصوم)، باب (صيام أيام التشريق) برقم ١٩٩٨.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

٩ -ليس على الحاج المفرد هدي

س: هل يجب على الحاج المفرد هدي إذا كان حجه فرضاً؟(١)

ج: ليس على المفرد هدي سواء كان حجه فرضاً أو نفلاً وإن أهدى فهو أفضل.

١٠ -حكم الهدي الذي يهدى ولا يستفاد منه

س: هذا الهدي الذي يهدى ولا يستفاد منه إلا قليلاً، أليس من الأفضل أن يصوم الحاج القادر على الهدي، وعند عودته يخرج قيمة الهدي لمساكين وطنه، ثم يتم صيام باقي العشرة أيام، فما رأيكم أثابكم الله ؟(٢)

ج: من المعلوم أن الشرائع تتلقى عن الله وعن رسوله، لا عن آراء الناس، والله سبحانه وتعالى شرع لنا في الحج إذا كان الحاج متمتعاً أو قارناً أن يهدي، فإذا عجز عن الهدي صام

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة) لسماحته ص ٨٤، وفي مجلة (التوعية الإسلامية) العدد ٦ لعام ١٤٠٤هـ ص ٧٧.

عشرة أيام؛ ثلاثة منها في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله، وليس لنا أن نشرع شيئاً من قبل أنفسنا، بل الواجب أن يعدل ما يقع من الفساد في الهدي، بأن يذكر ولاة الأمور لتصريف اللحوم وتوزيعها على الفقراء والمساكين، والعناية بأماكن الذبح وتوسعتها للناس وتعددها في الحرم؛ حتى يتمكن الحجاج من الذبح في أوقات متسعة، وفي أماكن متسعة، وعلى ولاة الأمور أن ينقلوا اللحوم إلى المستحقين لها، أو يضعوها في أماكن مبردة حتى توزع بعد على الفقراء في مكة وغيرها. أما أن يغير نظام الهدي؛ بأن يصوم وهو قادر، أو يشتري هدياً في بلاده للفقراء، أو يوزع قيمته، فهذا تشريع جديد لا يجوز للمسلم أن يفعله؛ لأن المشرع هو الله سبحانه وتعالى وليس لأحد تشريع ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١). فالواجب على المسلمين أن يخضعوا لشرع الله وأن ينفذوه. وإذا وقع خلل من الناس في تنفيذه، وجب الإصلاح والعناية بذلك، مثلما وقع في الهدي في ذبح بعض الهدايا، وعدم وجود من يأكلها، وهذا خلل وخطأ، يجب أن يعالج من جهة ولاة الأمور، ومن جهة الناس. فكل مسلم يعتني بهديه، حتى يوزعه على المساكين أو يأكله أو يهديه إلى بعض

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢١.

إخوانه. وأما أن يدعه في أماكن لا يستفاد منه، فلا يجزئه ذلك. وهكذا في المذبح، يجب على صاحب الهدي أن يعتني بهذا المقام، وأن يحرص كل الحرص على توزيعه إذا أمكن، وعلى ولاة الأمور أن يعينوا على ذلك؛ بأن ينقلوا اللحوم إلى الفقراء في وقتها، أوينقلوها إلى أماكن مبردة؛ يستفاد منها بعد ذلك، ولا تفسد، هذا هو الواجب على ولاة الأمور، وهم إن شاء الله ساعون بهذا الشيء ، ولا يزال أهل العلم ينصحون بذلك، ويذكرون ولاة الأمور هذا الأمر. ونسأل الله أن يعين الجميع على ما فيه المصلحة العامة للمسلمين في هذا الباب وغيره.

١١ -حكم من نسي أن يذبح هدي القران

س: إنسان نوى في الحج نسك القران، ولكنه لم يذبح هدياً جهلاً منه، وبعد مدة طويلة ذكر أن عليه هدياً، فماذا يجب عليه؟[١]

ج: عليه أن يذبح الهدي متى علم في مكة أو منى، ولا بأس أن يأكل هو وأهله ورفقاؤه منه.

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ بمنى.

١٢ -صفة تذكية بهائم الأنعام

س: ما هي التذكية الشرعية، وطريقة ذبح الإبل خاصة ؟[١]

ج: التذكية الشرعية للإبل والغنم والبقر أن يقطع الذابح الحلقوم والمريء والودجين؛ وهما العرقان المحيطان بالعنق، وهذا هو أكمل الذبح وأحسنه، فالحلقوم مجرى النفس، والمريء مجرى الطعام والشراب، والودجان عرقان يحيطان بالعنق، إذا قطعهما الذابح صار الدم أكثر خروجاً، فإذا قطعت هذه الأربعة فالذبح حلال عند جميع العلماء.

الحالة الثانية: أن يقطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين، وهذا أيضاً حلال صحيح وطيب، وإن كان دون الأول.

والحالة الثالثة: أن يقطع الحلقوم والمريء فقط دون الودجين، وهو أيضاً صحيح، وقال به جمع من أهل العلم، ودليلهم قوله عليه الصلاة والسلام: ((ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه، فكلوا، ليس السن والظفر))[٢]، وهذا هو المختار في

(١) إجابة صدرت من مكتب سماحته.

(٢) رواه البخاري في (الشركة)، باب (من عدل عشرا من الغنم بجزور في القسم) برقم ٢٥٠٧، ومسلم في (الأضاحي)، باب (جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن) برقم ١٩٦٨.

هذه المسألة.

والسنة نحر الإبل قائمة على ثلاث، معقولة يدها اليسرى، وذلك بطعنها في اللبة التي بين العنق والصدر. أما البقر والغنم، فالسنة أن تذبح وهي على جنبها الأيسر، كما أن السنة عند الذبح والنحر توجيه الحيوان إلى القبلة. وليس ذلك واجباً بل هو سنة فقط، فلو ذبح أو نحر إلى غير القبلة حلت الذبيحة، وهكذا لو نحر ما يذبح أو ذبح ما ينحر حلت، لكن ذلك خلاف السنة. وبالله التوفيق.

س: هل هناك مكان محدد في الرقبة؟ (١)

ج: نعم ، فالرقبة كلها محل للذبح والنحر أعلاها وأسفلها، لكن في الإبل السنة نحرها في اللبة، أما البقر والغنم، فالسنة ذبحها في أعلى العنق؛ حتى يقطع بذلك الحلقوم والمريء والودجين كما تقدم.

١٣ - حكم الذبح عن طريق البنك الإسلامي بواسطة شركة الراجحي

س: ما رأيكم في الشركة التي تقوم بذبح الهدي، هل يجوز توكيلها في الهدي، حيث أننا لا نرى الذبيحة.

(١) إجابة صدرت من مكتب سماحته.

وهل هي مكتملة الشروط أم لا؟ حيث نأخذ الـرقم فقـط، ولا ندري عن بقية الأشياء؟ (١)

ج: لا بأس بها فيما نعلم، أعني البنك الإسـلامي بواسـطة شـركة الراجحي للصرافة، فإنها تقوم بالذبح والتقسيم بين الفقراء، والدفع إليهـا مجزئ إن شاء الله.

س: ما هو الأفضل: الذبح عند الشركة، أو أني أذبح الهدي بيدي، وأقوم بتوزيعه؟(٢)

ج: من أعطى قيمة الهدي شركة الراجحي أو البنك الإسلامي فـلا بأس؛ لأنه لا مانع من دفع ثمن الضحية والهدي إلـيهم، فهـم وكـلاء مجتهدون وموثوقون. ونرجو أن ينفع الله بهم ويعينهم، ولكن مـن تـولى الذبح بيده ووزعه على الفقراء بنفسه، فهو أفضل وأحوط؛ لأن الرسـول صلى الله عليه وسلم ذبح الضحية بنفسه، وهكذا الهدي، ووكل في بقيته.

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

١٤ - حكم ذبح الهدي قبل يوم العيد

س: أحرمنا ونحن جماعة متمتعين، فأدينا العمرة وتحللنا، وأشار بعضهم بذبح الهدي وتوزيعه في مكة، وفعلاً تم الذبح في مكة. ثم علمنا بعد ذلك أن الذبح لا يكون إلا بعد رمي جمرة العقبة. وكنت أعلم بذلك، وأشرت عليهم بتأجيل الذبح إلى يوم النحر أو بعده، ولكنهم أصروا على الذبح بعد وصولنا وأدائنا العمرة بيوم واحد، فما حكم ذلك؟ وماذا يلزمنا في هذه الحالة؟[١]

ج: من ذبح قبل يوم العيد دم التمتع فإنه لا يجزئه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يذبحوا إلا في أيام النحر، وقد قدموا وهم متمتعون في اليوم الرابع من ذي الحجة، وبقيت الأغنام والإبل التي معهم موقوفة حتى جاء يوم النحر. فلو كان ذبحها جائزاً قبل ذلك، لبادر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليه في الأيام الأربعة التي أقاموها قبل خروجهم على عرفات؛ لأن الناس بحاجة إلى اللحوم في ذلك الوقت. فلما لم يذبح النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه حتى جاء يوم

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة) لسماحته ص ٨٣، وفي مجلة (التوعية الإسلامية) العدد ١١ عام ١٤٠٠هـ، والعدد ٦ عام ١٤٠٤هـ ص ٧٧، وفي جريدة (البلاد) العدد ١٤٩١٣ وتاريخ ١٤١٧/١٢/١٩هـ.

النحر، دل ذلك على عدم الإجزاء، وأن الذي ذبح قبل يوم النحر قد خالف السنة، وأتى بشرع جديد فلا يجزئ ؛ كمن صلى أو صام قبل الوقت، فلا يصح صوم رمضان قبل وقته، ولا الصلاة قبل وقتها ونحو ذلك.

فالحاصل أن هذه عبادة قبل الوقت، فلا تجزئ، فعليه أن يعيد هذا الذبح إن قدر، وإن عجز صام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع على أهله، فتكون عشرة أيام بدلاً من الذبح؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[1].

١٥ -أيام العيد كلها أيام ذبح وأفضلها يوم النحر

س: أريد أن أفدي إن شاء الله فهل يجوز لي أن أؤخره إلى يوم الحادي عشر، أو اليوم الثاني عشر؟ وهل يُذبح الهدي في منى، أو في أي جزء من مكة؟ وما هي كيفية توزيعه؟ [2]

ج: يجوز ذبح الهدي يوم النحر وفي الأيام الثلاثة

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(٢) السؤال من ب. ب. ص، وقد أجاب عنه سماحته في ١٤١٣/١١/٣هـ.

بعده، لكن ذبحه يوم النحر أفضل إن تيسر ذلك ولا حرج في ذبحه في منى أو في مكة. والسنة في توزيعه أعني هدي التمتع أو القران أن يأكل منـــه، ويتصدق، ويهدي إلى من شاء من أصحابه وإخوانه.

١٦- حكم ذبح هدي التمتع والقران في عرفات

س: ذبح حاج هديه في عرفات أيام التشريق ووزعها على من فيها، فهل يجوز ذلك؟ وماذا يجب عليه إذا كان جاهلاً الحكم أو عامداً؟ وإذا ذبح هديه في عرفات، ثم وزع لحمه داخل الحرم. هل يجـــوز ذلك؟ وما هو المكان الذي لا يجوز ذبح الهدي إلا فيـــه؟ ولكـــم الشكر [(١)].

ج: هدي التمتع والقران لا يجوز ذبحه إلا في الحرم، فإذا ذبحه في غــــير الحرم؛ كعرفات وجدة وغيرهما، فإنه لا يجزئه، ولو وزع لحمه في الحـــرم، وعليه هدي آخر يذبحه في الحرم سواء كان جاهلاً أو عالمـــاً ؛ لأن الـــنبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم، وقال: ((خذوا عني مناسككم)) [(٢)]، وهكذا

---

(١) نشر في كتاب (الدعوة) الجـــزء الأول ص ١٢٩، وفي جريـــدة (اليـــوم) العـــدد ٨٧٠١ بتـــاريخ ٤/١٢/١٤١٧هـــ، وفي جريدة (البلاد) العدد ١٤٩١٣ بتاريخ ١٩/١٢/١٤١٧هـــ.

(٢) رواه بنحوه مسلم في (الحج)، باب (استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً) برقم ١٢٩٧.

أصحابه رضي الله عنهم إنما نحروا هديهم في الحرم تأسياً به صلى الله عليه وسلم.

١٧ - حكم شراء النسك من الجبل وذبحه وتركه

س: هناك الكثير من الحجاج يشتري النسك من الجبل، ويذبحها ويتركها في مكانها، بدون نزع جلدها، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟ وهل يجزئ هذا النسك وفقكم الله؟ [1]

ج: أما اشتراء النسك من الجبل إذا أريد بهذا عرفات فلا بأس بالشراء منها أو من غيرها، لكن لا يذبحه إلا في الحرم، فلا يذبح في عرفات؛ لأنها ليست من الحرم، فإذا ذبحه في الحرم واشتراه من عرفات، أو من أي مكان من الحل، وذبحه في منى أو في بقية الحرم، عن التمتع والقران وتطوعاً، فلا بأس، ويجزئ نسكاً. أما أن يذبحه في عرفات أو في غيرها من الحل؛ كالشرائع أو جدة أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يجزئ؛ لأن الهدايا لابد أن تذبح في الحرم، والرسول صلى الله عليه

---

(١) نشر في مجلة (التوعية الإسلامية) العدد ١١ في ١٥/١٢/١٤٠٠هـ.

وسلم قال: ((نحرت ها هنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم))[1]، فالأنساك تُذبح في منى وفي بقية الحرم، ولا تذبح في خارجه. فإذا ذبحه في الحرم وتركه للفقراء ليأخذوه فلا حرج، ولكن ينبغي له أن يتحرى الفقراء، ويجتهد في إيصاله إليهم؛ حتى تبرأ ذمته بيقين. أما إذا ذبحه وتركه للفقراء يأخذونه، فإنه يجزئ، والفقير بإمكانه أن يسلخه وينتفع بلحمه وجلده، ولكن من التمام والكمال أن يعني بسلخه وتوزيعه بين الفقراء، وإيصاله إليهم ولو في بيوتهم، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نحر بدنات وتركها للفقراء، ولكن هذا محمول على أنه تركه لفقراء موجودين، يأخذونه ويستفيدون منه، أما أن يترك في محل ليس فيه فقراء، فهذا في إجزائه نظر، ولا يبعد أن يقال: إنه لا يجزئ؛ لأنه ما وصل إلى مستحقه.

---

(١) رواه مسلم في (الحج)، باب (ما جاء في عرفة كلها موقف) برقم ١٢١٨.

١٨- حكم المستوطن في مكة وهو ليس من أهلها

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكـــرم أ. ع. ب . وفقه الله لكل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعده:

كتابكم المؤرخ في ١٣٩١/٤/٢٧هــ وصل وصلكم الله بهـــداه ، وما تضمنه من الأسئلة كان معلوما، وهذا نصها وجوابها:

ما حكم الشرع الشريف في رجل ساكن مكة المكرمة منذ ســـنين، ويحج مع أهل مكة يحرم من مكة بالحج، وأهله في حـــضرموت، فهـــل حكمه حكم الحاج الآفاقي في الهدي والصيام؛ لأن الله يقول في كتابـــه العزيز: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أم حكمه حكم أهل مكة بذلك؟ [1]

ج: إذا كان مستوطناً مكة، فحكمه حكم أهل مكة؛ ليس

(١) إجابة صدرت من مكتب سماحته، عندما كان رئيساً للجامعـــة الإســـلامية بـــرقم ٩٥٦ وتـــاريخ ١٣٩١/٦/٢هـــ.

عليه هدي ولا صيام، أما إن كان إنما أقام لحاجة ونيته العـــود إلى بلـــده، فهذا حكمه حكم الآفاقيين،فإذا اعتمر من الحل بعد رمضان ثم حـــج في ذلك العام، فإنه يكون متمتعاً بالعمرة إلى الحج، وعليه هدي التمتع. فـــإن لم يجد صام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة بعد الفراغ من الحج، أو بعد الرجوع إلى أهله إن سافر إلى أهله.

١٩ - حكم الأضحية مع الاستطاعة

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بازحفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أرجو التكرم بإفتائنا عما يلي مأجورين:

س: ما حكم الضحية؟ وهل يأثم من تركها مع الاستطاعة؟ [١]

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد: فحكم الضحية أنها سنة مع اليسار وليست واجبة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحي بكبشين أملحين، وكان الصحابة يضحون في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وهكذا المسلمون بعدهم، ولم يرد في الأدلة الشرعية ما يدل على وجوبها، والقول بالوجوب قول ضعيف.

---

(١) أجاب سماحته عن هذا السؤال المقدم من س. م. ذ. عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية.

٢٠- الأضحية سنة وليست واجبة

س: أفيدكم بأني متزوج ولله الحمد ولي أولاد، وأسكن في مدينة غير المدينة التي يسكن فيها أهلي، وفي الإجازات نأتي إلى المدينة التي بها أهلي. وفي عيد الأضحى هذا، أتيت أنا وأولادي قبل العيد بخمسة أيام، ولم نضح على الرغم من أنني قادر ولله الحمد.

فهل يجوز لي أن أضحي؟ وهل تجزئ أضحية الوالد عني وعن زوجتي وأولادي؟ وما حكم الأضحية على من كان قادراً؟ وهل تجب على غير القادر؟ وهل يجوز أخذ الأضحية ديناً على الراتب؟ ع. ع. ش رفحاء بالمملكة العربية السعودية .[1]

ج: الأضحية سنة وليست بواجبة، وتجزئ الشاة الواحدة عن الرجل وأهل بيته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحي كل سنة بكبشين أملحين أقرنين، يذبح أحدهما عنه وعن أهل بيته، والثاني عمن وحد الله من أمته صلى الله عليه وسلم.وإذا كنت في بيت مستقل أيها السائل فإنه شرع لك أن تضحي عنك وعن أهل بيتك، ولا تكفي عنك أضحية والدك

(١) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٤٩٥ في ١٤١٦/١/١٧هـ.

عنه وعن أهل بيته؛ لأنك لست معهم في البيت، بل أنت في بيت مستقل.ولا حرج أن يستدين المسلم ليضحي، إذا كان عنده قدرة على الوفاء. وفق الله الجميع.

٢١- من أحكام الأضحية

س: الأضحية هل هي للأسرة ككل، أم لكل فرد فيها بالغ؟ ومتى يكون ذبحها؟ وهل يشترط لصاحبها عدم أخذ شيء من أظافره وشعره قبل ذبحها؟ وإذا كانت لامرأة وهي حائض ما العمل؟ وما الفرق بين الأضحية والصدقة في مثل هذا الأمر؟ أفيدونا ؟ جزاكم الله خيراً .(١)

ج: الأضحية سنة مؤكدة، تشرع للرجل والمرأة وتجزئ عن الرجل وأهل بيته، وعن المرأة وأهل بيتها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحي كل سنة بكبشين أملحين أقرنين أحدهما عنه وعن أهل بيته، والثاني عمن وحد الله من أمته. ووقتها يوم النحر وأيام التشريق في كل سنة، والسنة للمضحي أن يأكل منها، ويهدي لأقاربه وجيرانه ويتصدق منها.ولا يجوز لمن أراد أن يضحي أن يأخذ من شعره ولا من أظفاره ولا من بشرته شيئاً، بعد دخول شهر ذي

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته من مجلة (الدعوة).

الحجة حتى يضحي؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا دخل شهر ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره ولا من بشرته شيئاً حتى يضحي))[1]. رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أم سلمة رضي الله عنها. أما الوكيل على الضحية، أو على الوقف الذي فيه أضاحي، فإنه لا يلزمه ترك شعره ولا ظفره ولا بشرته؛ لأنه ليس بمضح، وإنما هذا على المضحي الذي وكله في ذلك، وهكذا الواقف هو المضحي. والناظر على الوقف وكيل منفذ وليس بمضحٍ. والله ولي التوفيق.

٢٢- وقت الأضاحي يذهب بغروب شمس اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة

س: امرأة ميسورة الحال، انشغلت ولم تنو الأضحية إلا في اليوم الخامس عشر من شهر ذي الحجة، فذبحت أضحية. فهل تصبح أضحية أم لا؟[2]

ج: الذبيحة المذكورة لا تكون أضحية؛ لأن وقت الأضاحي ذهب بغروب الشمس في اليوم الثالث عشر من شهر

(١) رواه بنحوه مسلم في (الأضاحي)، باب (نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة) برقم ١٩٧٧.

(٢) إجابة صدرت عن مكتب سماحته.

ذي الحجة، ولكنها تعتبر صدقة، تأكل منها وتتصدق على الفقراء، وتهدي منها لمن أحبت من الجيران والأقارب. والله ولي التوفيق.

٢٣- الأضحية عن الميت

س: ما حكم الأضحية؟ وهل تجوز عن الميت؟[١]

ج: الأضحية سنة مؤكدة في قول أكثر العلماء؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ضحى، وحث أمته على الأضحية،والأصل أنها مطلوبة في وقتها من الحي عن نفسه وأهل بيته، وله أن يشرك في ثوابها من شاء من الأحياء والأموات.

أما الأضحية عن الميت، فإن كان أوصى بها في ثلث ماله مثلاً، أو جعلها في وقف له، وجب على القائم على الوقف أو الوصية تنفيذها، وإن لم يكن أوصى بها، ولا جعل لها وقفا، وأحب إنسان أن يضحي عن أبيه أو أمه أو غيرهما، فهو حسن، ويعتبر هذا من أنواع الصدقة عن الميت، والصدقة عنه مشروعة في قول أهل السنة والجماعة.

وأما الصدقة بثمن الأضحية؛ بناء على أنه أفضل من

(١) نشر في (نشرة الحسبة) العدد ١٧ في شهري ذي القعدة وذي الحجة ١٤١٧هـ.

ذبحها، فإن كانت الأضحية منصوصاً عليها في الوقف أو الوصية، لم يجز للوكيل العدول عن ذلك إلى الصدقة بثمنها، أما إن كانت تطوعاً عن غيره، فالأمر في ذلك واسع،وأما الأضحية عن نفس المسلم الحي وعن أهل بيته، فسنة مؤكدة للقادر عليها، وذبحها أفضل من الصدقة بثمنها، وبالله التوفيق.

س: ما قولكم في الأضحية عن الميت بدون وصية، هل يجوز أن يشترك فيها الأحياء مع الأموات أم لا؟[١]

ج: الأضحية سنة مؤكدة، إلا إذا كانت وصية، فإنه يجب تنفيذها، ويشرع للإنسان أن يبر ميته بالأضحية، ويجوز أن يشترك الأموات مع الأحياء من أهل بيت المضحي.

والأصل في ذلك حديث أنس رضي الله عنه: ((ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى، وكبر))[٢]. متفق عليه، وفي رواية أخرى، بيان أنه ذبح أحدهما عنه وعن أهل بيته، والثاني عمن وحد الله من أمته، وذلك يشمل الحي والميت.وعن عبد الله بن عمر رضي الله

(١) نشر في كتاب (فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة) لسماحته ص ٨١، وفي مجلة (التوعية الإسلامية) العدد ٦ عام ١٤٠٤هـ.

(٢) رواه البخاري في (الأضاحي)، باب (التكبير عند الذبح) برقم ٥٥٦٥، ومسلم في (الأضاحي)، باب (استحباب الضحية وذبحها مباشرة) برقم ١٩٦٦.

عنهما أن رجلاً سأل ابن عمر عن الأضحية: أواجبة هي؟ فقال: ((ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون))، فأعادها عليه، فقال: ((أتعقل؟ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون))، فأعادها عليه، فقال: ((أتعقل؟ ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون))[1]. أخرجه الترمذي ومراده رضي الله عنه بيان أن الأضحية مشروعة من كل مسلم؛ تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

٢٤- السنة أن الحي يضحي عن نفسه وأهل بيته

س:سماحة الشيخ/ كثيراً ما نسمع في المجتمع أن الناس تنوي الأضاحي عن الأموات فقط، فما توجيه سماحتكم حول هذا المعتقد؟[2]

ج: السنة أن الحي يضحي عن نفسه وأهل بيته بكبش ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنه كان يضحي بكبشين أملحين، أحدهما قال: عن محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد، والثاني عمن وحد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن ضحى الإنسان عن بعض الأموات فلا بأس.

---

(١) رواه الترمذي في (الأضاحي)، باب (الدليل على أن الأضحية سنة) برقم ١٥٠٦.

(٢) من ضمن أسئلة مقدمة لسماحته من مكتب جريدة (الجزيرة) بالسليل.

س: أنا أضحي عني وعن زوجتي والأضحية من مالي. هل يجوز لزوجتي أن تشرك أباها وأمها الميتين؟[1]

ج: إذا ضحيت من مالك عن نفسك وأهل بيتك ، فهذا عمل مشروع، فإذا رأيت أن تشرك أبا زوجتك أو أم زوجتك فلا بأس، وأما هي فليس لها ذلك، ليس لها التصرف في أضحيتك؛ فأنت المضحي عن نفسك وأهل بيتك. فإذا رأيت أن تضم أبا زوجتك وأمها إلى أهل بيتك ، فلا بأس بذلك.

٢٥- أيهما أفضل في الأضحية الكبش أم البقرة؟

س: أيهما أفضل في الأضحية، الكبش أم البقرة؟[2]

ج: الأضحية من الغنم أفضل، وإذا ضحى بالبقر أو بالإبل فلا حرج ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يضحي بكبشين، وأهدى يوم حجة الوداع مائة من الإبل. والمقصود أن من ضحى بالغنم فهي أفضل ، ومن ضحى بالبقر أو بالإبل الناقة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة فكله طيب ولا حرج.

---

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

(٢) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٦٣٨ في ٢٦/١٢/١٤١٨هـ.

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بـــن بـــاز حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:

أرجو التكرم بإفتائنا، هل يجزئ السبع من البقرة أو البدنـــة عـــن الرجل وأهل بيته؟ أرجو أن تتفضلوا بالجواب مشكورين؛ لأن عنـــدنا بعض الناس لا يرون هذا مجزئاً، والعيد على الأبواب، ونحب أن نكون على بصيرة في هذا الأمر، والسلام.(١)

ج: قد دلت السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرأس الواحد من الإبل والبقر والغنم يجزئ عن الرجل وأهل بيته وإن كثروا،أما السبع من البدنة والبقرة ، ففي إجزائه عن الرجل وأهل بيته تردد وخلاف بين أهل العلم، والأرجح أنه يجزئ عن الرجل وأهل بيتـــه؛ لأن الرجـــل وأهل بيته كالشخص الواحد، ولكن الرأس من الغنم أفضل. والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

---

(١) سؤال شخصي مقدم لسماحته من / س. م. ذ. أجاب عنه سماحته، عندما كان نائباً لرئيس الجامعـــة الإسلامية بالمدينة المنورة.

س: كثيراً ما نجد أن البدنة عن سبع شياه، فهل أضحية البدنة يشرك بها كما يشرك في أضحية الشاة؟[1]

ج: في إجزاء السبع من البدنة والبقرة، عن الرجل وأهل بيته توقف من بعض أهل العلم، والراجح أنه يجزئ عن الرجل وأهل بيته؛ لأنهم في معنى الشخص الواحد.

٢٦- حكم إزالة الشعر لمن أراد العمرة والحج وهو ينوي الأضحية

س: لقد كنت ناوياً أن أحج متمتعاً، ولكن عندما قدمت إلى الطائف غيرت رأيي ولبيت بالحج مفرداً، فإذا أردت أن أضحي يوم العيد هل ذلك جائز؟علماً بأني قصرت شعري في يوم أربعة ذي الحجة، أسأل الله أن يجزيكم عنا خيراً.[2]

ج: إذا أراد الحاج أو غيره أن يضحي، ولو كان قد حلق رأسه أو قصر أو قلم أظفاره، فلا حرج عليه في ذلك، ولكن عليه إذا عزم على الأضحية بعد دخول شهر ذي الحجة أن

(١) سؤال شخصي من / أ. ع. ن.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢ هـ في منى.

يمتنع من أخذ شيء من الشعر أو الظفر أو شيء من البشرة حتى يضحي؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا دخل شهر ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يأخذ من شعره ولا من بشرته ولا من أظفاره شيئاً))(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه. أما إحرامه بالحج مفرداً وقد كان نوى أن يحرم بعمرة، ثم بدا له بعدما وصل الميقات أن يحرم بالحج، فلا حرج في ذلك، ولكن التمتع بالعمرة إلى الحج أفضل، إذا كان قدومه في أشهر الحج، أما إذا كان قدومه إلى مكة قبل دخول شهر شوال، فإن المشروع له أن يحرم بالعمرة فقط.

س: المرأة التي ترى أنها لا تستطيع الإمساك عن كد شعرها، وتملك المال، هل يجوز أن تدفعه لأحد أقاربها لشراء الأضحية وعقد النية عنها؟ (٢)

ج: يلزم من أراد أن يضحي عن نفسه أو عن والديه أو عن غيره متطوعاً، ألا يأخذ من شعره أو أظفاره أو من بشرته شيئاً إذا دخل شهر ذي الحجة حتى يضحي. أما الوكيل فليس عليه حرج أن يأخذ من شعره أو بشرته أو أظفاره؛ لقول النبي

(١) رواه بنحوه مسلم في (الأضاحي)، باب (نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة).. برقم ١٩٧٧.

(٢) من ضمن الأسئلة المقدمة لسماحته من مكتب جريدة (الجزيرة) بالسليل.

صلى الله عليه وسلم: ((إذا دخل شهر ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره ولا من بشرته شيئاً حتى يضحي))[1]. رواه مسلم في الصحيح.

س: سماحة الشيخ / ماذا يجوز للمرأة التي تنوي الأضحية عن نفسها وأهل بيتها أو عن والديها بشعرها إذا دخلت عشر ذي الحجة؟ [2]

ج: يجوز لها أن تنقض شعرها وتغسله، ولكن ((لا تكده))، وما سقط من الشعر عند نقضه وغسله فلا يضر.

٢٧- حكم إعطاء غير المسلم من لحم الأضاحي

س: هل يجوز إعطاء غير المسلم من لحم الأضحية؟ [3]

ج: لا حرج، لقوله جل وعلا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[1]،

---

(١) رواه بنحوه مسلم في (الأضاحي)، باب (نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة).. برقم ١٩٧٧.

(٢) من ضمن الأسئلة المقدمة لسماحته من مكتب جريدة (الجزيرة) بالسليل.

(٣) نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٦٣٨ في ١٤١٨/١٢/٢٦هـ.

فالكافر الذي ليس بيننا وبينه حرب، كالمستأمن أو المعاهد، يعطى من الأضحية ومن الصدقة.

٢٨- حكم ذبح الأضحية بمكة

س: هل ذبح الأضحية بمكة له فضل عن خارج مكة؟ [٢]

ج: كل الأعمال الصالحة بمكة أفضل، لكن إذا لم يجد في مكة من يأكل الضحية، فإن ذبحها في مكان آخر فيه فقراء يكون أولى.

٢٩- حكم العقيقة

س: الأخ ع. م. س. من الرياض، يقول في سؤاله: إذا مات الجنين في بطن أمه، فهل يلزم والده أن يذبح عنه عقيقة؟ [٣]

ج: العقيقة سنة مؤكدة وليست واجبة، عن الذكر شاتان وعن الأنثى واحدة. والسنة أن تذبح في اليوم السابع، ولو سقط ميتاً، والسنة أن يسمى أيضاً ويحلق رأسه في اليوم السابع، وإن

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٢) من ضمن أسئلة مقدمة لسماحته على محاضرة في الحج عام ١٤٠٢هـ في منى.

(٣) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته من (المجلة العربية).

سمي في اليوم الأول فلا بأس؛ لأن الأحاديث الصحيحة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك،فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه سمى ابنه إبراهيم يوم ولد، وسمى عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري يوم ولد، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: ((كل غلام مرتهن بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق، ويسمى))[1]. أخرجه الإمام أحمد وأهل السنن الأربع بإسناد صحيح، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة وأم كرز الكعبية رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يعقّ عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الأنثى شاة، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من ولد له ولد فأحب أن ينسك عنه، فلينسك عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة))[2] وهذه الأحاديث تعم السقط وغيره إذا كان قد نفخت فيه الروح، وهو الذي ولد في الشهر الخامس وما بعده.

والمشروع أن يغسَّل

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند البصريين)، حديث سمرة بن جندب برقم ١٩٦٨١، وابن ماجة في (الذبائح)، باب (العقيقة) برقم ٣١٦٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة)، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه برقم ٦٦٧٤، وأبو داود في (الضحايا، باب (في العقيقة) برقم ٢٨٤٢.

ويكفن ويصلى عليه إذا سقط ميتاً، ويشرع أيضاً أن يسمى ويعق عنه؛ لعموم الأحاديث المذكورة. والله ولي التوفيق.

٣٠- صفة العقيقة المشروعة

س: ما حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في قوم إذا توفي أحد منهم قام أقرباؤه بذبح شاة يسموها (العقيقة)، ولا يكسرون من عظامها شيئاً، ثم بعد ذلك يقبرون عظامها وفرثها، ويزعمون أن ذلك حسنة، ويجب العمل به؟ [١]

ج: إن هذا العمل بدعة، لا أساس له في الشريعة الإسلامية، فالواجب تركه والتوبة إلى الله منه كسائر البدع والمعاصي، فإن التوبة إلى الله سبحانه تجب منها جميعاً، كما قال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٣]. وإنما العقيقة المشروعة التي جاءت بها السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي: ما يذبح عن المولود في يوم سابعه، وهي شاتان عن الذكر وشاة واحدة عن الأنثى، وقد عق النبي عن الحسن

---

(١) سؤال مقدم من الأخ / ص. ب. ي ، ونشر في كتاب (الأجوبة المفيدة عن بعض مسائل العقيدة) لسماحته عام ١٤١٤هـ.

(٢) سورة النور، الآية ٣١.

(٣) سورة التحريم، الآية ٨.

والحسين رضي الله عنهما،وصاحبها مخير إن شاء وزعها لحماً بين الأقارب والأصحاب والفقراء، وإن شاء طبخها ودعا إليها من شاء من الأقـــارب والجيران والفقراء. هذه هي العقيقة المشروعة، وهي سنة مؤكـــدة، ومـــن تركها فلا إثم عليه.

٣١- الواجب تغيير الأسماء المخالفة للشرع

س: إذا تسمى الإنسان باسم، واكتشف أنه اسم غير شرعي. مـــا توجيهكم؟[١]

ج: الواجب التغيير، مثل من سمى نفسه عبد الحسين أو عبد الـــنبي أو عبد الكعبة، ثم علم أن التعبيد لا يجوز لغير الله، وليس لأحد أن يعبد لغير الله، بل العبادة لله عز وجل مثل عبد الله، عبد الرحمن، عبد الملك، وعليـــه أن يغير الاسم مثل عبد النبي أو عبد الكعبة، إلى عبد الله أو عبد الرحمن أو محمد أو أحمد أو صالح، أو نحو ذلك من الأسماء الـــشرعية، هـــذا هـــو الواجب، والنبي صلى الله عليه وسلم غير أسماء كثيرة.أما إذا كان الاســـم للأب، فإذا كان الأب حياً فيعلم حتى يغير اسمه، أما إن كان ميتـــاً، فـــلا حاجة إلى التغيير ويبقى كما هو؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغـــير اسم عبد المطلب، ولا غيَّر أسماء الآخرين المعبدة لغير الله؛ كعبد منـــاف؛ لأنهم عُرفوا بها.

---

(١) من برنامج (نور على الدرب).

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكـــرم مـــدير الجوازات والجنسية برابغ وفقه الله إلى كل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعده:

حضر عندي من سمى نفسه عبد الله بن عبد الجزى، وسألني هـــل تجوز التسمية بعبد الجزى؛ لأن الجوازات قد توقفت في تجديد تابعيتـــه؛ حتى تعرف حكم الشرع في اسم أبيه؟[١]

والجواب: قد أجمع العلماء على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله ســبحانه فلا يجوز أن يقال عبد النبي، أو عبد الحسين، أو عبد الكعبة، أو نحو ذلك؛ لأن العبيد كلهم عبيد الله عز وجل. ومعلوم أن الجزى ليس من أسمـــاء الله الحسنى، فلا يجوز التعبيد إليه، والواجب تغيير هذا الاسم باسم معبـــد لله سبحانه أو باسم آخر غير معبد كأحمد ومحمد وإبراهيم ونحو ذلك، ويجب عند التغيير أن يوضح في التابعية الاسم الأول مع الاسم الجديد؛ حـــتى لا تضيع الحقوق المتعلقة بالاسم الأول.

هذا ما أعلمه من الشرع المطهر. ويذكر عبد الله المذكور، أن أباه قد وافق على تغيير اسمه من عبد الجزى إلى عبد الرحمن، فليعتمد ذلك عنـــد موافقة أبيه عليه. ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، والسلام علـــيكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سؤال مقدم من ع. ع، وأجاب عنه سماحته عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

س: هل هذه الأسماء: هدى، ورحمة وبركة وإيمان من الأسماء المكروهة في الدين؟[1]

ج: لا حرج فيها؛ مثل عامر، صالح، سعيد، كلها أسماء جائزة، فلا حرج فيها إن شاء الله.

س: هل يجوز للمسلم أن يُسمى بهذه الأسماء: طه، ياسين، خباب، عبد المطلب، الحباب، قارون، الوليد؟ وهل طه وياسين من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم أم لا؟[2]

ج: يجوز التسمي بهذه الأسماء لعدم الدليل على ما يمنع منها، لكن الأفضل للمؤمن أن يختار أحسن الأسماء المعبدة لله مثل عبد الله وعبد الرحمن وعبد الملك ونحوها، والأسماء المشهورة،كصالح ومحمد ونحو ذلك، بدلاً من قارون وأشباهه،أما عبد المطلب فالتسمي به جائز بصفة استثنائية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر بعض الصحابة على هذا الاسم.

ولا يجوز التعبيد لغير الله كائناً من كان، كعبد النبي وعبد الحسين وعبد الكعبة ونحو ذلك، وقد حكى أبو محمد ابن

---

(١) من برنامج (نور على الدرب) الشريط رقم ١.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ محمد المسند ج٤ ص ٤٠٢.

حزم إجماع أهل العلم على تحريم ذلك.

وليس طه وياسين من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في أصح قولي العلماء، بل هما من الحروف المقطعة في أوائل السورمثل (ص) و (ق) و (ن) ونحوها،وبالله التوفيق.

٣٢- حكم تصغير بعض الأسماء كعبد الله وعبد الرحمن

س: كثيراً ما نسمع من عامي ومتعلم تصغير الأسماء المعبدة أو قلبها، إلى أسماء تنافي الاسم الأول، فهل فيه من بأس؟ وذلك نحو عبد الله تجعل "عبيد" و "عبود" و "العبدي " بكسر العين وسكون الباء، وفي عبد الرحمن "دحيم" بالتخفيف والتشديد، وفي عبد العزيز "عزيز "، و "عزوز"،و "العزي"، وما أشبه ذلك، أما في محمد "محيميد"، "حمدا" و "الحمدي " وما أشبهه؟[1]

ج: لا بأس بالتصغير في الأسماء المعبدة وغيرها، ولا أعلم أن أحداً من أهل العلم منعه، وهو كثير في الأحاديث

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ محمد المسند ج٤ ص ٤٠٣.

والآثار؛ كأنيس وحميد وعبيد وأشباه ذلك،لكن إذا فعل ذلك مع من يكرهه، فالأظهر تحريم ذلك؛ لأنه حينئذ من جنس التنابز بالألقاب، الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم، إلا أن يكون لا يُعرف إلا بذلك، فلا بأس، كما صرح به أئمة الحديث في رجال؛ كالأعمش، والأعرج ونحوهما.

٣٣- حكم تغيير الاسم بعد الإسلام

س: هل يلزم من أعلن إسلامه أن يغير اسمه السابق مثل: جورج وجوزيف وغيرهما؟[١]

ج: لا يلزمه تغيير اسمه إلا إذا كان معبداً لغير الله، ولكن تحسينه مشروع. فكونه يحسن اسمه من أسماء أعجمية إلى أسماء إسلامية هذا طيب، أما الواجب فلا. فإذا كان اسمه عبد المسيح وأشباهه يغير، أما إذا كان لم يعبد لغير الله مثل: جورج وبولس وغيرهما، فلا يلزمه تغييره؛ لأن هذه أسماء مشتركة تكون للنصارى وتكون لغيرهم وبالله التوفيق.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ محمد المسند ج٤ ص ٤٠٤.

٣٤- حكم التسمية بأسماء من الآيات

س: بعض الناس يسمون أبناءهم بأسماء من الآيات؛ كأفنان، وآلاء.. إلخ، فما رأي سماحتكم؟[(١)]

ج: ليس في ذلك بأس، وهذه مخلوقات، الآلاء هي النعم، والأفنان هي الأغصان، والناس صاروا يتنوعون في الأسماء، ويبحثون لأبنائهم وبناهم عن أسماء جديدة.

٣٥ حكم أعياد الميلاد

س: ما هو توجيه فضيلتكم في حفلات أعياد الميلاد؟ وما رأيكم فيها؟[(٢)]

ج: حفلات الميلاد من البدع التي بينها أهل العلم، وهي داخلة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[(١)] متفق عليه من حديث عائشة

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته في لقائه مع طلبة كلية الشريعة، ونشر في الجزء التاسع ص ٤١٧ من هذا المجموع.

(٢) من برنامج (نور على الدرب) الشريط رقم ١.

رضي الله عنها . وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[٢] خرجه الإمام مسلم في صحيحه. وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة: ((أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)). [٣] أخرجه مسلم في صحيحه، زاد النسائي بإسناد صحيح: ((وكل ضلالة في النار))[٤]. فالواجب على المسلمين ذكوراً كانوا أو إناثاً الحذر من البدع كلها، والإسلام بحمد الله فيه الكفاية، وهو كامل قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٥].

فقد أكمل الله لنا الدين بما شرع من الأوامر، وما نهى عنه من النواهي، فليس الناس في حاجة إلى بدعة يبتدعها أحد لا

---

(١) رواه البخاري في (الصلح) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور) برقم ٢٦٩٧، ومسلم في (الأقضية) باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم ١٧١٨.

(٢) رواه البخاري معلقاً في باب (النجش)، ومسلم في (الأقضية)، باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم ١٧١٨.

(٣) رواه مسلم في (الجمعة)، باب (تخفيف الصلاة والخطبة) برقم ٨٦٧.

(٤) رواه البخاري في (الصلاة)، باب (كراهية الصلاة في المقابر) برقم ٤٣٢، ومسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (استحباب صلاة النافلة في بيته) برقم ٧٧٧.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣.

الاحتفال بالميلاد ولاغيره. فالاحتفالات بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم أو بميلاد الصديق أو عمر أو عثمان أو علي أو الحسن أو الحسين أو فاطمة أو البدوي أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو فلان أو فلانة، كل ذلك لا أصل له، وكله منكر، وكله منهي عنه، وكله داخل في قوله صلى الله عليه وسلم: ((وكل بدعة ضلالة)). فلا يجوز للمسلمين تعاطي هذه البدع، ولو فعلها من فعلها من الناس، فليس فعل الناس تشريعاً للمسلمين، وليس فعل الناس قدوة، إلا إذا وافق الشرع، فأفعال الناس وعقائدهم كلها تعرض على الميزان الشرعي، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافقهما قُبل، وما خالفهما تُرك، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1]. وفق الله الجميع وهدى الجميع صراطه المستقيم.

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

كتاب الجهاد

٣٦- فضل الجهاد والمجاهدين[1]

الحمد لله الذي أمر بالجهاد في سبيله، ووعد عليه الأجر العظيم والنصر المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله، أفضل المجاهدين، وأصدق المناضلين، وأنصح العباد أجمعين ، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الكرام الذين باعوا أنفسهم لله، وجاهدوا في سبيله حتى أظهر الله بهم الدين، وأعز بهم المؤمنين، وأذل بهم الكافرين رضي الله عنهم، وأكرم مثواهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون

---

(١) نشر هذا الموضوع في رسالة طبعها الحرس الوطني عام ١٣٩٣هـ بعنوان (موقف اليهود في الإسلام، وفضل الجهاد والمجاهدين)، وطبعت عام ١٤١٧هـ، بعنوان (فضل الجهاد والمجاهدين)، وقد سبق نشره في هذا المجموع ج٢ ص٤٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض؛ وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين، وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين،وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين، وهو فرض كفاية على المسلمين، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية، التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي؛ كما لو استنفره الإمام، أو حصر بلده العدو، أو كان حاضراً بين الصفين. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة، ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(٤٢) عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ(٤٣) لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[١].

ففي هذه الآيات الكريمات، يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالاً؛ أي شيباً وشباباً، وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، يخبرهم عز وجل بأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد، وسوء نيتهم، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾[٢]، ثم يعاتب نبيه صلى الله عليه وسلم عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ﴾[٣] ، ويبين عز وجل أن في عدم الإذن لهم تبييناً للصادقين، وفضيحة للكاذبين، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر، لا يستأذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي؛ لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك، ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد النفير مع أهله، ثم يذكر سبحانه أن الذي يستأذن في ترك الجهاد، هو عادم الإيمان بالله

---

(١) سورة التوبة، الآيات ٤١ ـ ٤٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٣.

واليوم الآخر، المرتاب فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أعظم حث، وأبلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله، والتنفير من التخلف عنه.

وقال تعالى في فضل المجاهدين: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة، الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله على الله عز وجل وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمنه لأهله الجنة، وأنهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك في أشرف كتبه وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله؛ ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم، ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم، وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس؛ حتى يستوفوا أجرهم كاملاً في الدنيا والآخرة،ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

البيع؛ لما فيه من الفوز العظيم، والعاقبة الحميدة، والنصر للحق، والتأييد لأهله، وجهاد الكفار والمنافقين، وإذلالهم ونصر أوليائه عليهم وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة.

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾[(١)] .

في هذه الآيات الكريمات، الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة، ففي ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد، ومن المعلوم، أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه، كما يتضمن أداء الفرائض، وترك المحارم، ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله؛ لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه، وللترغيب فيه؛ لما يترتب عليه من المصالح العظيمة، والعواقب

(١) سورة الصف، الآيات ١٠-١٣.

الحميدة التي سبق بيان الكثير منها، ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة، والمساكن الطيبة في دار الكرامة؛ ليعظم شوقهم إلى الجهاد وتشتد رغبتهم فيه، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئاً معجلاً يحبونه، وهو النصر على الأعداء، والفتح القريب على المؤمنين، وفي ذلك غاية التشويق والترغيب.

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه، وبيان فضل المجاهدين كثيرة جداً، وفيما ذكر سبحانه في هذه الآيات التي سلف ذكرها، ما يكفي، ويشفي ويحفز الهمم، ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية، والمنازل الرفيعة، والفوائد الجليلة، والعواقب الحميدة، والله المستعان.

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين، والتحذير من تركه والإعراض عنه، فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولكن نذكر منها طرفاً يسيراً؛ ليعلم المجاهد الصادق شيئاً مما قاله نبيه ورسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم في فضل الجهاد ومنزلة أهله.

ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رباط يوم في سبيل الله، خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة، خير

من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها))[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله: إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة))[2]. أخرجه مسلم في صحيحه.وفي لفظ له: ((تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة))[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مكلوم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يدمي، اللون لون الدم والريح ريح المسك))[4]. متفق عليه، وعن أنس رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.

(٢) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله) برقم ٢٧٨٧، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

(٣) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

(٤) رواه البخاري في (الذبائح والصيد)، باب (المسك) برقم ٥٥٣٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[1]. رواه أحمد، والنسائي، وصححه الحاكم، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟، قال: ((حج مبرور))[2]. وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله، فتمسه النار))[3]. رواه البخاري في صحيحه، وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به، مات على شعبة من نفاق))[4]، وعن ابن

---

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١١٨٣٧، وأبو داود في (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.

(٢) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (من قال: إن الإيمان هو العمل) برقم ٢٦، ومسلم في (الإيمان)، باب (كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) برقم ٨٣.

(٣) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (من اغبرت قدماه في سبيل الله) برقم ٢٨١١.

(٤) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (ذم من مات ولم يغز..) برقم ١٩١٠.

عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه حتى ترجعوا إلى دينكم))[1]. رواه أحمد، وأبو داود، وصححه ابن القطان، وقال الحافظ في البلوغ: رجاله ثقات. والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين، وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين، من المنازل العالية، والثواب الجزيل ، وفي الترهيب من ترك الجهاد، والإعراض عنه كثيرة جداً، وفي الحديثين الأخيرين، وما جاء في معناهما، الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد، وعدم تحديث النفس به، من شعب النفاق، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملة الربوية، من أسباب ذل المسلمين، وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع وأن ذلك الذل لا يترع عنهم، حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمره، والجهاد في سبيله، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعاً بالرجوع إلى دينه، وأن يصلح قادقم، ويصلح لهم البطانة، ويجمع كلمتهم على الحق، ويوفقهم جميعاً للفقه في الدين، والجهاد في سبيل رب العالمين؛ حتى يعزهم الله، ويرفع عنهم الذل، ويكتب لهم النصر

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة)، مسند عبد الله بن عمر، برقم ٤٩٨٧، وأبو داود في (البيوع)، باب (في النهي عن العينة) برقم ٣٤٦٢.

على أعدائه و أعدائهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أ- المقصود من الجهاد:

تبليغ دين الله، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإعلاء دين الله في أرضه، وأن يكون الدين كله لله وحده؛ كما قال عز وجل في كتابه الكريم في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾[1]، وقال في سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[2]، وقال عز وجل في سورة التوبة: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم أموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله عز وجل))[4]. متفق على صحته من

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥.

(٤) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) برقم ٢٥، ومسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) برقم ٢٢.

حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله))[1] وفي صحيح مسلم عنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل النساء حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به))[2] وفي صحيح مسلم أيضاً عن طارق الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل))[3]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفي هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة، الدلالة الظاهرة على وجوب

(١) رواه ابن حبان في (فرض الإيمان)، باب (ذكر البيان بأن المرء إنما يحقن دمه) برقم ٢١٨، والبيهقي في (السنن الكبرى) في (الفيء والغنيمة)، باب (التسوية في الغنيمة والقوم يهبون الغنيمة) برقم ١٣٠٨٧.

(٢) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) برقم ٢١.

(٣) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) برقم ٢٣.

جهاد الكفار والمشركين، وقتالهم بعد البلاغ، والدعوة إلى الإسلام، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا ما جاء به وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهي تعم جهاد الطلب، وجهاد الدفاع، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها عملاً بقول الله عز وجل: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الجزية من مجوس هجر، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار، وهم: اليهود والنصارى والمجوس، ثبت بالنص أخذ الجزية منهم، فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا في الإسلام، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا في أصح قولي العلماء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجاً، و لم يطلب منهم الجزية، ولو كان أخذها منهم جائزاً تُحقن به دماؤهم وأموالهم لبينه لهم، ولو وقع ذلك لنقل. وذهب بعض أهل العلم إلى جواز أخذها من جميع

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

الكفار؛ لحديث بريدة المشهور في ذلك المخرج في صحيح مسلم، والكلام في هذه المسألة، وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط في كتب أهل العلم، من أراده وجده، ويستثنى من الكفار في القتال: النساء، والصبيان، والشيخ الهرم، ونحوهم ممن ليس من أهل القتال، ما لم يشاركوا فيه، فإن شاركوا فيه وساعدوا عليه بالرأي والمكيدة قوتلوا، كما هو معلوم من الأدلة الشرعية، وقد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة:

الطور الأول: الإذن للمسلمين في ذلك من غير إلزام لهم، كمافي قوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1].

الطور الثاني: الأمر بقتال من قاتل المسلمين، والكف عمن كف عنهم، وفي هذا النوع نزل قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4]، في قول جماعة من أهل العلم، وقوله تعالى

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

في سورة النساء: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾[1]، والآية بعدها.

الطور الثالث: جهاد المشركين مطلقاً، وغزوهم في بلادهم، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؛ ليعم الخير أهل الأرض، وتتسع رقعة الإسلام، ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد، وينعم العباد بحكم الشريعة العادل، وتعاليمها السمحة، وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة. وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام، وتوفي عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيه قوله عز وجل في سورة براءة وهي من آخر ما نزل: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[2]، وقوله سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[3]، والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول، وتشهد له بالصحة.

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

وقد ذهب بعض أهل العلم، إلى أن الطور الثاني؛ وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم، قد نسخ؛ لأنه كان في حال ضعف المسلمين، فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم، أمروا بقتال من قاتلهم ومن لم يقاتلهم، حتى يكون الدين كله لله وحده، أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها.

وذهب آخرون من أهل العلم، إلى أن الطور الثاني لم ينسخ، بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه، فإذا قوي المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال وجهاده في سبيل الله، فعلوا ذلك؛ عملاً بآية التوبة وما جاء في معناها، أما إذا لم يستطيعوا ذلك فإنهم يقاتلون من قاتلهم واعتدى عليهم، ويكفون عمن كف عنهم؛ عملاً بآية النساء وما ورد في معناها.

وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة، أن قول من قال من كُتَّاب العصر وغيرهم: أن الجهاد شرع للدفاع فقط، قول غير صحيح، والأدلة التي ذكرنا وغيرها تخالفه، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل، كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق. ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضي الله عنهم في جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا، وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث. والله ولي التوفيق.

ب ـ وجوب الإعداد للأعداء:

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة، وأن يأخذوا حذرهم؛ كما في قوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]، وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب، والحذر من مكائد الأعداء، ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، كما يدخل في ذلك إعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها، وتوجيههم إلى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده، في الكر والفر والأرض والجو والبحر، وفي سائر الأحوال؛ لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر، ولم يذكر نوعاً دون نوع ولا حالاً دون حال، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى، والجهاد قد يكون ابتداءً وقد يكون دفاعاً؛ فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالإعداد وأخذ الحذر؛ ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم، وما يرونه من المكيدة في ذلك. وقد صح عن رسول

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧١.

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الحرب خدعة))[1]، ومعناه: أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب، ما لا يدركه بالقوة والعدد، وذلك مجرب معروف. وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود رضي الله عنه بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من أسباب خذلان الكافرين، وتفريق شملهم، واختلاف كلمتهم، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم، وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم؛ كما قال عز وجل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2].

ومما تقدم يتضح لذوي البصائر، أن الواجب امتثال أمر الله، والإعداد لأعدائه، وبذل الجهود في الحيطة والحذر، واستعمال كل ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية، مع الإخلاص لله والاعتماد عليه، والاستقامة على دينه، وسؤاله المدد والنصر، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه، والمعين لهم إذا أدوا حقه، ونفذوا أمره وصدقوا في جهادهم، وقصدوا بذلك إعلاء كلمته وإظهار دينه، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة) مسند أنس بن مالك برقم ١٢٩٢٨، والترمذي في (الجهاد)، باب (ما جاء في الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب) برقم ١٦٧٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

الكريم، وأعلمهم أن النصر من عنده؛ ليثقوا به ويعتمدوا عليه، مع القيام بجميع الأسباب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [2]، وقال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[4] الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ(٩)وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6].

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٣) سورة الحج، الآية ٤٠، ٤١.

(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٦) سورة الأنفال، الآيتان ٩، ١٠.

وقد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١)يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله، وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم، نصرهم الله وأيدهم، وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدهم وكثرة أعدائهم، كما قال عز وجل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، ولما تغير المسلمون وتفرقوا، ولم يستقيموا على تعاليم ربهم، وآثر أكثرهم أهواءهم، أصابهم الذل والهوان وتسلط الأعداء ما لا يخفى على أحد.وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي، والتفرق والاختلاف، وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم

---

(١) سورة الصف، الآيات ١٠ ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣]، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف، والإخلال بالثغر الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلزومه، جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل والجراح والهزيمة ما هو معلوم، ولما استنكر المسلمون ذلك، أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، ولو أن أحداً يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة، لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يوم أحد، وهم خير أهل الأرض، ويقاتلون في سبيل الله، ومع ذلك جرى عليهم ما جرى؛ بسبب معصية الرماة التي كانت عن تأويل، لا عن قصد للمخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتهاون بأمره، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين، ظنوا أن الأمر قد انتهى، وأن الحراسة لم

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

(٣) سورة الروم، الآية ٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

يبق لها حاجة، وكان الواجب عليهم، أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بتركه، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى؛ لحكم بالغة وأسرار عظيمة، ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون، وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله حقاً، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك، وليس بإله يعبد، وليس مالكاً للنصر، بل النصر بيد الله سبحانه يتزله على من يشاء، ولا سبيل إلى استعادة المسلمين لمجدهم السالف، واستحقاقهم النصر على عدوهم، إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وتحكيمهم شرع الله سبحانه في أمورهم كلها، واتحاد كلمتهم على الحق، وتعاونهم على البر والتقوى، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمة الله عليه: ((لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها))، وهذا هو قول جميع أهل العلم، والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة، باتباع شرعه والاعتصام بحبله، والصدق في ذلك والتعاون عليه، ولا صلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم.

ج: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله

الرباط: هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من أعداء الإسلام، والمرابط هو المقيم فيها، المعد

نفسه للجهاد في سبيل الله، والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين. وقد ورد في فضل المرابط والحراسة في سبيل الله أحاديث كثيرة. إليك أيها الأخ المسلم الراغب في الرباط في سبيل الله طرفاً منها، نقلاً من كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري رحمه الله .

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: ((رباط يوم في سبيل الله، خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة، خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها))(1) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان))(2) رواه مسلم واللفظ له، والترمذي، والنسائي، والطبراني وزاد: ((وبعث يوم القيامة شهيداً)).

---

(1) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.

(2) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (فضل الرباط في سبيل الله) برقم ١٩١٣.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل الميت يختم على عمله، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر))[1] رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه، وزاد في آخره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل))، وهذه الزيادة في بعض نسخ الترمذي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن الفزع الأكبر، وغدي عليه وريح برزقه من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل))[2]. رواه الطبراني، ورواته ثقات.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله، ويجرى

---

(١) رواه أبو داود في (الجهاد)، باب (في فضل الرباط) برقم ٢٥٠٠.

(٢) ذكره السيوطي في (الفتح الكبير) في (حرف الراء)، برقم ٦٥٤٠، والهيثمي في (مجمع الزوائد) في (الجهاد)، باب (في الرباط) برقم ٤٠٥٩.

عليه رزقه إلى يوم القيامة))[١] رواه الطبراني في الكبير بإسنادين، رواة أحدهما ثقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من مات مرابطاً في سبيل الله، أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر))[٢]. رواه ابن ماجة بإسناد صحيح، والطبراني في الأوسط أطول منه، وقال فيه: ((المرابط إذا مات في رباطه، كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وغدي عليه وريح برزقه، ويزوج سبعين حوراء، وقيل له: قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب))[٣]، وإسناده متقارب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله))[٤]. رواه

---

(١) ذكره السيوطي في (الفتح الكبير) في (حرف الكاف)، برقم ٨٧٥٠، والهيثمي في (مجمع الزوائد) في (الجهاد)، باب (في الرباط)، برقم ٥٠٥٩.

(٢) رواه ابن ماجة في (الجهاد)، باب (فضل الرباط في سبيل الله)، برقم ٢٧٦٧.

(٣) ذكره السيوطي في (الفتح الكبير) (حرف الشين)، برقم ٧١٧٣.

(٤) رواه الترمذي في (فضائل الجهاد)، باب (ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله) برقم ١٦٣٩.

الترمذي، وقال حديث حسن غريب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عينان لا تمسهما النار أبداً: عين باتت تكلأ في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله))(١) رواه أبو يعلى، ورواته ثقات، والطبراني في الأوسط، إلا أنه قال: ((عينان لا تريان النار))(٢).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((حرس ليلة في سبيل الله، أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها))(٣) رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية للراغب في الخير.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينه، وأن

(١) رواه أبو يعلى، في مسند جعفر بن أبي عمرو بن أمية، برقم ٤٣٤٩، والهيثمي في (مجمع الزوائد) في (الجهاد)، باب (الحرس في سبيل الله)، برقم ٨٨٤٩.

(٢) ذكره السيوطي في (الفتح الكبير) (حرف العين)، برقم ٧٩٢٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم ٤٣٥، ٤٦٥.

يجمعهم على الهدى، وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق، وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وتحكيم شريعته والتحاكم إليها، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٣٧- وصية موجهة للمرابطين
في الحدود ضد اعتداء دولة العراق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه [١].

أيها المرابطون على الحدود، أوصيكم ونفسي بتقوى الله. والإكثار من ذكره، والصبر والمصابرة، والصدق في اللقاء عند أي عدوان من دولة العراق، كما أوصيكم بالاتفاق وعدم التنازع، والاستقامة على طاعة الله ورسوله، والثبات في مواطن اللقاء؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ(٤٥) وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾[٢] كما أوصيكم بالإخلاص لله ودعائه، والضراعة إليه بطلب النصر، والتوكل عليه سبحانه وعدم الرياء والعجب، فهو سبحانه هو الناصر، وهو الذي بيده أَزِمَّةُ الأمور، كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

(١) نشرت في مجلة (البحوث الإسلامية)، العدد ٣٠ ص ٢٩٣.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٤٥، ٤٦.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وقال عز وجل في سورة الأنفال، يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4].

كما أوصيكم بالصدق عند اللقاء، وعدم الفرار من الزحف؛ لقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ(١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[5].

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) وذكر منها صلى الله عليه وسلم: ((التولي

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٥) سورة الأنفال، الآيتان ١٥، ١٦.

يوم الزحف))[1]. وقد وعد الله أولياءه المجاهدين في سبيله بإحدى الحسنيين: إما النصر أو الشهادة، كما قال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2]. وأوصيكم أيضاً أيها المسلمون المرابطون، بالمحافظة على الصلوات الخمس والعناية بها، فإنها عمود الإسلام، وأعظم الفرائض بعد الشهادتين، قال الله عز وجل: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[3]، وأثنى على المحافظين عليها في كتابه الكريم فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)﴾[4]، ثم ذكر صفات عظيمة ختمها بقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩)أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]، وهي من أعظم ما يعين على جهاد الأعداء

---

(١) رواه البخاري في (الوصايا)، باب (قول الله: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ")، برقم ٢٧٦٧، و في (الحدود) ، باب (رمي المحصنات)، برقم ٦٨٥٧، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان الكبائر وأكبرها)، برقم ٨٩

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان ١، ٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآيات ٩ ١١.

ومصابرتهم، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

كما أوصيكم بحسن الظن بالله، وأنه سبحانه الصادق في وعده. وقد وعد سبحانه أنه ينصر من نصر دينه، ووعد أنه مع المتقين، فقال عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، وقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني))[4].

وأوصيكم جميعاً بالتناصح بينكم والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٤) رواه مسلم في (الذكر والدعاء والتوبة)، باب (فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى)، برقم ٢٦٧٥.

(٥) سورة المائدة، الآية ٢.

الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة)) قيل: لمن يا رسول الله. قال: ((لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))[2].

والله المسئول أن يمنحكم التوفيق، وأن يعينكم على كل ما فيه رضاه، وأن ينصر بكم الحق وحزبه، ويخذل بكم الباطل وأهله، وأن يجعل دائرة السوء على الظالمين المعتدين، وأن يحسن العاقبة لعباده المؤمنين؛ إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرئيس العام لرابطة

العالم الإسلامي بمكة المكرمة

والرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

في المملكة العربية السعودية

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

---

(١) سورة العصر، الآيات ١ ٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند الشاميين)، حديث تميم الداري، برقم ١٦٤٩٩، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان أن الدين النصيحة)، برقم ٥٥.

٣٨- دفاع المسلمين عن بلادهم من الجهاد

س: أبناؤكم المرابطون على الجبهة يسألون سماحتكم:عما إذاكان لهم أجر المرابطة في سبيل الله.. وأنتم تعلمون أهم يواجهون عدواً، ثبت من سلوكياته أنه لا يرعى عهداً ولا يحفظ حقاً؟ ويسألون أيضاً هل يدخل في الجهاد الدفاع عن الوطن والعرض والممتلكات؟ كما يأملون توجيه نصيحة لهم ؟[١]

ج: قد دل الكتاب والسنة الصحيحة، على أن الرباط في الثغور من الجهاد في سبيل الله، لمن أصلح الله نيته؛ لقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:((رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان))[٣]. رواه الإمام مسلم في صحيحه، وفي الصحيحين، عن

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع الشيخ محمد المسند ج٢ ص ٢٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٣) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (فضل الرباط في سبيل الله) برقم ١٩١٣.

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها))[1].

وفي صحيح البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من أغبرت قدماه في سبيل الله، حرمه الله على النار))[2].

ولاشك أن الدفاع عن الدين والنفس والأهل والمال والبلاد وأهلها، من الجهاد المشروع، ومن يقتل في ذلك وهو مسلم يعتبر شهيداً؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد))[3].

ونوصيكم أيها المرابطون في الجبهة، بتقوى الله، والإخلاص لله في جميع أعمالكم، والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة، والإكثار من ذكر الله عز وجل والاستقامة على طاعة

---

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.
(٢) رواه البخاري في (الجمعة)، باب (المشي إلى الجمعة)، برقم ٩٠٧.
(٣) رواه الترمذي في (الديات)، باب (ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد) برقم ١٤٢١.

الله ورسوله، والحرص على اتفاق الكلمة، وعدم التنازع، والصبر والمصابرة في ذلك بنفس مطمئنة، وحسن الظن بالله، والحذر من جميع معاصيه.

ومن أجمع الآيات فيما ذكرنا، قوله عز وجل في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ (٤٥)وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦)﴾[١].

سدد الله خطاكم، وثبتكم على دينه، ونصر بكم وبمن معكم الحق، وخذل بكم الباطل وأهله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي عام المملكة

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٤٥، ٤٦.

٣٩- حكم الله تعالى في جهاد أعدائه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وأمينه على وحيه نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد[١]:

فنرى، أنه من المهم بيان حكم الله سبحانه وتعالى في جهاد أعدائه بالمال والنفس واللسان، وقد أكثر الله سبحانه من ذكر الجهاد في كتابه الكريم، وهكذا نبيه عليه الصلاة والسلام جاءت عنه الأحاديث الصحيحة تأمر بالجهاد، وتدعو إليه وتشجع عليه، وتذكر فضل أهله، وما لهم عند الله من المثوبة العظيمة.

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، فأمر سبحانه بالجهاد بالمال، والنفس، وبالنفير خفافاً وثقالاً، وما ذاك إلا لعظم شأن الجهاد، وشدة الحاجة إليه؛ لما يحصل به من رفع راية الإسلام ورفع أعلامه، وتنفيذ أحكامه، وإزاحة

(١) وجهت هذه الكلمة عبر إذاعة المملكة العربية السعودية، ثم نشرت في جريدة (الرياض) العدد ٨٢٤٥ بتاريخ ١٤١١/٧/٥هـ، وفي هذا المجموع ج ٧ ص٣٣٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

العقبات عن طريق دعوته، ولما في الجهاد أيضاً من نشردين الله، وبيان حقه على عباده، ولما فيه أيضاً من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من حكم الطاغوت إلى حكم الله عز وجل ومن ضيق الدنيا وظلمها وجورها إلى سعة الإسلام وعدل الإسلام.

وقال جل وعلا في كتابه الكريم أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١)﴾[١]، فأخبرسبحانه وتعالى أن التجارة المنجية من العذاب الأليم هي الإيمان والجهاد، وشوق إليها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠)﴾، وبقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.

فالداعي هو الله سبحانه وتعالى والواسطة هو محمد عليه الصلاة والسلام وهو الذي أنزل الله عليه الكتاب العظيم وبلغه إلينا، والتجارة المنجية من عذاب أليم هي إيماننا بالله سبحانه وبرسوله إيماناً صادقاً، يتضمن توحيده والإخلاص له وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده سبحانه وتعالى، ومن جملة طاعته وطاعة رسوله الجهاد في سبيل الله عز وجل ولهذا ذكر الجهاد بعد الإيمان؛ تنبيهاً على عظم شأنه

(١) سورة الصف، الآيتان ١٠، ١١.

وشدة الحاجة إليه، وإلا فمن المعلوم أنه من شُعب الإيمان، حتى قال بعض أهل العلم: إن الجهاد هو الركن السادس من أركان الإسلام، وما ذاك إلا لعظم ما يترتب عليه من المصالح العظيمة، فهو شعبة عظيمة، وفرض عظيم من فروض الإيمان، وهو يكون بالنفس، ويكون بالمال، ويكون باللسان، ويكون بأنواع التسهيل الذي يعين المجاهدين على قتال عدوهم.

فالدعوة إلى الله والإرشاد إليه، والتشجيع على الجهاد، والتحذير من التخلف والجبن، كل هذا من الجهاد باللسان، ونصيحة المجاهدين، وبيان ما أعد الله لهم من الخير والعاقبة الحميدة، كله من الجهاد باللسان، والإنفاق في سبيل الله في مصالح الجهاد، وفي حاجة المجاهدين وتجهيزهم، وإعطائهم السلاح والآلة المركوبة من: طائرة ومن سيارة ومن غير ذلك، كل ذلك من الجهاد في سبيل الله بالمال.

وبيَّن سبحانه وتعالى في الآية الكريمة، أن الإيمان والجهاد هما التجارة المنجية من عذاب الله، فما أشرفه من عمل ! وما أعظمه من عمل !

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما عليها))[2]،

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند الأنصار)، حديث معاذ بن جبل برقم ٢١٥١١، والترمذي في (الإيمان)، باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم ٢٦١٦.

(٢) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.

ولكن الجهاد بالمال له شأن عظيم، فهو أوسع أنواع الجهاد؛ لأن المال يستعان به على استخدام الرجال واستخدام السلاح واستخدام الدعاة، فالمال أوسعها وأكثرها نفعاً، ولهذا بدأ به الله في الآيات قبل النفس في أغلب الآيات، بدأ الله بالمال قبل النفس، وما ذاك إلا لعظم نفعه، وكثرة ما يحصل به من الخير والعون للمجاهدين.

فالجهاد بالمال جهاد عظيم، ينفع المجاهدين ويعينهم على عدوهم؛ بصرفه في استخدام المجاهدين وتجهيزهم، وتفريغهم للجهاد، والإحسان إلى عوائلهم، ويصرف أيضاً في شراء السلاح الذي يجاهد به، ويصرف أيضاً في حاجتهم من اللباس والطعام والخيام وغير ذلك، ومصالحه كثيرة؛ ولهذا بدأ الله به في أغلب الآيات، كما في قوله سبحانه: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1]، وفي هذه الآيات يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١)يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢)وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. وهذا فضل من الله عز وجل أن المجاهدين تحصل لهم هذه الأمور العظيمة: غفران الذنوب، ودخول الجنة، والنجاة من النار، ومع كل ذلك فتح قريب ينصرهم الله ويؤيدهم على أعدائهم، إذا صدقوا واستقاموا وصابروا، كما قال عز وجل في حق المجاهدين: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾. هذا وعده لأهل الإيمان إذا جاهدوا عدوهم وصبروا واتقوا ربهم، فالله ينصرهم ويعينهم ويكفيهم شر أعدائهم،كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٢].

ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠)الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٤]،

---

(١) سورة الصف، الآيات ١٠-١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٣) سورة محمد، الآية ٧.

(٤) سورة الحج، الآية ٤٠، ٤١.

العاقبة لله سبحانه وتعالى يجعلها لمن يشاء سبحانه وتعالى فإذا صبر أهل الإيمان واتقوا ربهم، وجاهدوا في سبيله عن إيمان وإخلاص، وأعدوا العدة اللازمة، فإن الله ينصرهم ويعينهم، ويجعل العاقبة لهم سبحانه وتعالى كما وعد سبحانه وتعالى بذلك.

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣)﴾[(١)].

فالصبر والصدق والتقوى لله عز وجل هي أسباب النصروعناصرالفوز.

والله المسئول سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الصافات، الآيات ١٧١ ١٧٣.

٤٠- ليس الجهاد للدفاع فقط

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، ونسأله عز وجل التوفيق لإصابة الحق؛ إنه على كل شيء قدير[١].

أما بعد: فلما كان الكثير من كتاب العصر قد التبس عليهم الأمر في أمر الجهاد، وخاض كثير منهم في ذلك بغير علم، وظنوا أن الجهاد إنما شرع للدفاع عن الإسلام، وعن أهل الإسلام، ولم يشرع ليغزو المسلمون أعداءهم في بلادهم، ويطالبوهم بالإسلام ويدعوهم إليه، فإن استجابوا وإلا قاتلوهم على ذلك، حتى تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر.

لما كان هذا واقعاً من بعض الناس، وصدر فيه رسائل وكتابات كثيرة، رأيت أن من المستحسن، بل مما ينبغي أن تكون محاضرتي في هذه الليلة، في هذا الشأن بعنوان: (ليس

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في دار الحديث بالمدينة المنورة، في أول موسم المحاضرات لعام ٨٨ ٨٩هـ في الجهاد، ونشرت في ج٣ من هذا المجموع ص١٧١ ٢٠١

الجهاد للدفاع فقط). فأقول والله سبحانه وتعالى هو الموفق إلى سواء السبيل:

إن الله عز وجل، وله الحمد والمنة بعث الرسل وأنزل الكتب لهداية الثقلين من الجن والإنس، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور فضلاً منه وإحساناً. وكان الله عز وجل قد فطر العباد على معرفته وتوحيده، وخلقهم لهذا الأمر، خلقهم ليعبدوه ويطيعوه. ولكنه سبحانه لعلمه بأحوالهم، وأن عقولهم لا يمكن أن تستقل بمعرفة تفاصيل عبادته التي ترضيه عز وجل ولا يمكن أن تستقل بمعرفة الأحكام العادلة التي ينبغي أن يسيروا عليها، ولا يمكن أن تستقل بمعرفة الأخلاق والصفات التي ينبغي أن يتخلقوا بها، أرسل سبحانه وتعالى رسلا مبشرين ومنذرين، ليوجهوا أهل الأرض من المكلفين، إلى توحيده سبحانه والإخلاص له، وبيان الأخلاق والأعمال التي ترضيه سبحانه وليحذروهم من الأعمال والأخلاق التي تغضبه عز وجل وليرسموا لهم النظم والخطط التي ينبغي أن يسيروا عليها،وأنزل الكتب لإيضاح هذا الأمر وبيانه، لأنه سبحانه هو العالم بأحوال عباده، العالم بما يصلحهم، العالم بما فيه سعادتهم العاجلة والآجلة، فهو عالم بأحوالهم الحاضرة، وبأحوالهم الماضية، وبأحوالهم المستقبلة، فلهذا أرسل الرسل،وأنزل الكتب؛ لبيان حقه والإرشاد إليه، وتوجيه

الناس إلى أسباب النجاة، وإلى طرق السعادة في المعاش والمعاد، وأنزل الكتب لبيان هذا الأمر العظيم، قال جل وعلا في كتابه المبين: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾[4].

وبين الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وبين أن رسله أرسلوا بالبينات، وأنزل معهم سبحانه الكتاب والميزان بالقسط.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات ٤١ – ٤٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٤) سورة الحديد، الآية ٢٥.

والمراد بالكتاب: الكتب السماوية، وهي كلامه جل وعلا وهو الذي لا أصدق منه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[1].

والميزان، وهو العدل: يعني الشرائع المستقيمة، والأحكام العادلة التي تشتمل على أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

هكذا أرسل الرسل، وهكذا أنزل الكتب، أنزل الكتب السماوية التي أشرفها وأعظمها كتاب الله العظيم القرآن، وأنزل قبل ذلك التوراة والإنجيل وكتباً أخرى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام فيها الشرائع والأحكام، والتوجيه إلى الخير، والتحذير من الشر، وكان فيما مضى يرسل سبحانه وتعالى إلى كل قوم رسولاً منهم، يوجههم إلى الخير، ويأمرهم بتوحيد الله وينذرهم من الشرك بالله، ويشرع سبحانه لهم الشرائع، وهو الحكيم العليم الرحيم جل وعلا. وكل رسول أرسله الله إلى أمة، أرسله بالتوحيد الذي هو زبدة دعوة الرسل كلهم وأمرهم بحب الله جل وعلا والإخلاص له، وتوجيه القلوب إليه سبحانه وشرع لهم من الشرائع على لسان رسولهم ما يليق بهم، وبمجتمعهم وزمانهم وظروفهم، على ما تقتضيه حكمة الرب عز وجل ورحمته ولطفه جل وعلا وعلمه بأحوالهم سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٢٢.

ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامة إلى جميع أهل الأرض من جن وإنس، أرسله الله عز وجل بشريعة صالحة لجميع أهل الأرض في زمانه، وبعد زمانه إلى يوم القيامة عليه الصلاة والسلام.

هكذا اقتضت حكمة الله عز وجل واجتمعت الرسل على الأصول والأسس عليهم الصلاة والسلام وتنوعت الشرائع على حسب ظروف الأمم وأحوالهم وبيئاتهم، على ما تقتضيه حكمة الخالق العليم، ورحمته عز وجل وإحسانه إليهم ولطفه بهم جل وعلا.

أما جنس التوحيد الذي هو أصل الأصول، فقد اجتمعت الرسل عليه، وهكذا بقية الأصول، كوجوب الصدق والعدل، وتحريم الكذب والظلم، والأمر بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والنهي عن ضدها، فهذه الأصول اجتمعت عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ

---

(١) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

ومن الأصول الأساسية: الإيمان بالله ورسوله وتوحيده، والإخلاص له، والإيمان باليوم الآخر، وبالجنة والنار، والإيمان بجميع الرسل، وعدم التفريق بينهم، وما أشبه هذه الأصول، هذا كله مما اجتمعت عليه الرسل جميعاً، وقد جاءت الكتب الإلهية كلها يصدق بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً.

أما جنس الفروع، فقد تنوعت بها الشرائع، فقد يباح في شريعة من المسائل الفرعية ما يحرم في الشريعة الأخرى، وقد يحرم في شريعة سابقة ما يباح في شريعة لاحقة. ومن هذا، أن الله جل وعلا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام بشريعة التوراة، مع التخفيف والتيسير لبعض ما فيها، وإخبارهم ببعض ما اختلفوا فيه، وإحلال بعض ما حرم عليهم في التوراة، كل هذا من لطفه وتيسيره جل وعلا كما قال سبحانه وتعالى لما ذكر التوراة والإنجيل والقرآن، قال بعد هذا كله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2]، وهو سبحانه حكيم في شرعه، عليم بما يصلح عباده، وما يستطيعون، كما أنه حكيم في أقداره سبحانه وتعالى .قال جل وعلا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ

(١) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ(٤٤)وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٤٥)﴾[١]. هذا كله في شريعة التوراة، وقد أقره الله لهذه الأمة، وبينه لهم مقراً له ومشرعاً في هذه الأمة، وجاءت السنة تؤيد ذلك، وتبين أن هذا شرع الله لهذه الأمة في النفس والعين والأنف والأذن والسن، كما هو في شريعة الله المعلومة من كتابه سبحانه ومن سنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. فدل ذلك على أن هذا الكتاب العظيم وهو الإنجيل فيه هدى ونور وفيه مواعظ وتوجيهات. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ﴾[٣]. فدل على أن فيه أحكاماً يحكم بها أهل الإنجيل من

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ٤٤، ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٧.

علماء بني إسرائيل. ومعلوم أن عيسى عليه الصلاة والسلام أرسل بشريعة التوراة، ومع ذلك أرسل بأشياء غير ما في التوراة، وفي شريعته أيضاً تخفيف وتيسير لبعض ما في التوراة. ثم قال بعد هذا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. ثم قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2]. هكذا قال لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام وأنزل كتابه القرآن بالحق؛ لأن الله أنزله بالحق وللحق، فهو جاء مشتملاً على الحق ومؤيداً للحق، وشارعاً للحق، ومصدقاً لما بين يديه من الكتب الماضية، والرسل الماضية فيما جاءوا به. فكتاب الله العظيم القرآن مصدق للرسل الماضين، ومصدق للكتب الماضية، وشاهد أنها من عند الله عز وجل: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف موسى وإبراهيم، وغيرها من الكتب التي أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم بين الله جل وعلا أن لكل منهم شرعة ومنهاجاً. فدل ذلك على أن الشرائع التي جاء بها الأنبياء والرسل متنوعة الأسس؛ من الإيمان بالله ورسوله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالجنة

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

والنار، وغير هذا من الأحكام العامة التي توجب العدل والصدق، وتحريم الظلم والكذب ونحو ذلك.

فهذه أصول عامة متبعة، وكان من حكمته عز وجل أن أرسل كل رسول بلسان قومه؛ حتى يفقههم ويفهمهم ما بعث به إليهم بصورة واضحة، وبيان واضح، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[١].

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم من العرب، وكان العرب هم أول الناس يستمعون دعوته، ويواجههم بدعوته، أرسله الله بلسانهم، وإن كان رسولاً للجميع عليه الصلاة والسلام ولكن الله أرسله بلسان قومه، وجعل قومه مبلغين ودعاة إلى من ورائهم من الأمم، وأمر الناس جميعاً باتباع هذا النبي عليه الصلاة والسلام والسير على منهاجه، فوجب عليهم أن يتبعوه، وأن يعرفوا لغته ولغة كتاب الله العظيم،وهذا النبي العظيم هو محمد عليه الصلاة والسلام بعثه الله رحمة للعالمين جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢]، فكما أرسل الرسل قبله رحمة لمن أرسلوا إليه؛ ليوجهوهم وليزيلوا عنه الظلم والفساد وأحكام الطواغيت، وليحلوا مكان

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

ذلك النظم الصالحة والأحكام العادلة، وهكذا أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم أيضاً، ليقضي على النظم الفاسدة في المجتمع الإنساني، والأخلاق المنحرفة، والظلم والجور، وليحل محلها نظماً صالحة، وأحكاماً عادلة، فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه؛ ليزيل ما في الأرض من الظلم والطغيان، وليقضي على الفساد، وليزيح النظم الفاسدة والطواغيت المستبدة، الذين يتحكمون في الناس بالباطل، ويظلمونهم ويتعدون على حقوقهم، ويستعبدونهم.

فبعث الله هذا النبي عليه الصلاة والسلام ليزيل هذه النظم الفاسدة، والأخلاق الظالمة؛ وليقضي على الطغاة المتجبرين والقادة المفسدين، وليحل محل ذلك قادة مصلحين، ونظماً عادلة مستقيمة وشرائع حكيمة عادلة، توقف الناس عند حدهم، ولا تفرق بين أبيض وأسود، ولا بين أحمر وغيره، ولا بين غني وفقير، ولا بين شريف عن الناس، ووضيع عندهم، بل جعل شريعته لا تفرق بين الناس، بل تواجههم جميعاً وتأمرهم وتنهاهم جميعاً،وبين الله سبحانه أن أكرم الناس عند الله هو أتقاهم، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[1]، ولم يقل لتتفاخروا،

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

أو ليترفع بعضكم على بعض، أو يستعبد بعضكم بعضاً، أو يفخر بعضكم على بعض، ولكن قال: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد))[2]. خرجه مسلم في صحيحه.

وقال الله جل وعلا في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3]، فهذا النبي العظيم عليه الصلاة والسلام أرسله الله برسالة عامة ونظام شامل عام في جميع الشئون العبادية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحربية، وغير ذلك من شئون الناس، فما ترك شيئاً إلا وأرشد إلى حكم الله فيه، وقال فيه عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[5]، فبين الله سبحانه أن هذا الرسول سراج منير للناس، ينير

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) رواه مسلم في (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة)، برقم ٢٨٦٥.

(٣) سورة لقمان، الآية ١٨.

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥، ٤٦.

لهم الطريق، ويهديهم السبيل إلى رهم سبحانه عليه الصلاة والسلام الذي من استقام على دينه نجا وفاز بالخير والعاقبة الحميدة، ومن حاد عنه باء بالخيبة والخسارة والذل والهوان، وقال عز وجل: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ(١٥)يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)]. هكذا قال جل وعلا في هذا النبي العظيم، وكتابه المبين. إن هذا الكتاب وهذا الرسول يخرج الله هما الناس من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الكفر والجهل والظلم والاستبداد والاستعباد إلى نور التوحيد والإيمان، إلى نور الهدى والعدل، إلى سعة الإسلام بدلاً من جور الملوك والطغاة، وبدلاً من أحكامهم الظالمة الجائرة، فشريعة الله التي بعث ها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم شريعة كاملة، شريعة فيها الهدى والنور، وفيها العدل والحكمة، وفيها إنصاف المظلوم من الظالم، وتوجيه الناس إلى أسباب السعادة، وإلزامهم بالحق والعدل، ومنعهم من الظلم والجور، وربطهم بالأخوة الإيمانية، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، والتآخي والنصح من بعضهم

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥، ١٦.

لبعض، وفيها تخليصهم من الظلم والجور والبغي والكذب وسائر أنواع الفساد؛ حتى يكونوا جميعاً أخوة متحابين في الله، متعاونين على البر والتقوى، ينصح كل واحد الآخر، ويؤدي الأمانة، ولا يغش أخاه ولا يخونه، ولا يكذبه، ولا يحقره، ولا يغتابه، ولا ينم عليه، بل يحب له كل خير ويكره له كل شر، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[2]، وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: ((بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم))[3]. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((الدين النصيحة)) قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[4]. خرجه مسلم في صحيحه.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) برقم ١٣، ومسلم في (الإيمان)، باب (الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه..) برقم ٤٥

(٣) رواه البخاري في (الإيمان)، باب الدين النصيحة برقم (٥٧)، ومسلم في (الإيمان) باب بيان أن الدين النصيحة برقم ٥٦.

(٤) رواه الإمام أحمد في (مسند الشاميين)، حديث تميم الداري برقم ١٦٤٩٩، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم ٥٥.

وقال سبحانه في كتابه العزيز في عموم الرسالة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، وأخبر سبحانه وتعالى أن هذا الرسول يزكيهم من أخلاقهم الذميمة وأعمالهم المنكرة إلى أخلاق صالحة، وإلى أعمال مستقيمة، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[2] ، وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات الدالات على نصحه عليه الصلاة والسلام وأن الله بعثه؛ ليعلم الناس، ويرشد الناس، ويزكي الناس، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات جهلهم وكفرهم وأخلاقهم الذميمة إلى نور الإيمان والتوحيد، وإلى سعادة الأخلاق الكريمة، والعدل والصلاح والإصلاح.

ولما كانت الأرض قبل بعثته عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

مملوءة من الظلم والجهل والكفر، وكان الشرك قد عم الناس وعم البلاد وانتشر فيها الفساد، إلا ما شاء الله من بقايا يسيرة من أهل الكتاب ماتوا أو معظمهم قبل بعثته عليه الصلاة والسلام لما كان الأمر هكذا رحم الله أهل الأرض ولطف بهم سبحانه وبعث فيهم هذا الرسول العظيم محمداً عليه الصلاة والسلام وهم في أشد الحاجة بل الضرورة إلى بعثته وإرساله، فبعثه الله بأشرف كتاب وأشرف رسالة وأعمها، فأنقذ الله به الأمة. وأخرج الله به أهل الأرض من الظلمات إلى النور؛ أخرجهم الله به من الضلالة إلى الهدى، أخرجهم الله به من الجور والظلم والعسف، إلى العدل والإنصاف والحرية الكاملة المقيدة بقيود الشريعة، وأمره سبحانه وتعالى حينما بعثه، بالدعوة إلى الله عز وجل والإرشاد إليه، وإقامة الحجج على ما بعثه الله به من الدين الحق والصراط المستقيم، فلم يزل هكذا يدعو إلى الله ويرشد في مكة عليه الصلاة والسلام وهكذا من أسلم معه من أهل مكة، يقوم بدوره في الدعوة على حسب حاله تارة في السر وتارة في العلن، كما هو معلوم. فمكث في مكة عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً، يدعو إلى الله عز وجل وينذر قومه، ويوجههم إلى الخير، ويتلو عليهم كتاب الله، ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولم يأمره الله بقتالهم، وإنما هي دعوة فقط ليس فيها قتال، بل توجيه وإرشاد وإيضاح

للحق والخلق الكريم، وتحذير من خلافه، بالكلام الطيب واللطف والجدال بالتي هي أحسن، كما قال جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]، إلى أمثال هذه الآيات، التي فيها الأمر بالصفح والإعراض عنهم، والجدال بالتي هي أحسن، إلى غير ذلك، وليس فيها الأمر بقتالهم؛ لأن المقام لا يتحمل ذلك؛ لأن المسلمين قليلون وأعداؤهم كثيرون، وبأيديهم السلطان والقوة، فكان من حكمة الله أن منع رسوله والمسلمين من الجهاد باليد، وأمرهم بالاكتفاء بالجهاد باللسان والدعوة، وأمرهم أن يكفوا أيديهم عن القتال، فهدى الله بذلك من هدى من المسلمين؛ كالصديق رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه والزبير ابن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وجم غفير من

(١) سورة النحل /، الآية ١٢٥.

(٢) سورة الحجر، الآية ٨٥.

(٣) سورة المزمل، الآية ١٠.

(٤) سورة الحجر، الآية ٩٤.

الصحابة رضي الله عن الجميع وأرضاهم .

ولما صدع النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة، وبين بطلان آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأرشدهم إلى توحيد الله والإخلاص له، عظم على أهل مكة ذلك، واشتد عليهم الأمر؛ لأنهم يعظمون تلك الآلهة، ولأن كثيراً منهم يرى في عبادتها والتعلق بها حفظاً لرئاسته ومنزلته وسيطرته على الضعفاء، وصاروا يحاولون الذود عنها، ويكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم أكاذيب كثيرة، وينفرون الناس عنه، ويقولون عنه إنه شاعر، وتارة مجنون، وتارة ساحر، وتارة كذاب، إلى غير ذلك، وهي أقاويل كلها باطلة، وهم يعلمون أنها باطلة؛ أعني أعيانهم ورؤساءهم، وأهل الحل والعقد منهم، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1]، ولكن ليس لهم حيلة إلا أن يقولوا هكذا، من الكذب والفرية والتزييف على الضعفاء من أهل مكة ومن غيرهم، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر الحق ويدفع الباطل ولو كره الكافرون. فلم يزل يدعوهم عليه الصلاة والسلام ولم يزل يناظر الناس ويتلو عليهم كتاب الله، ويرشدهم إلى ما بعثه الله به، ويصدع بأمر ربه عز وجل حتى

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٣.

ظهرت الدعوة في مكة وانتشرت، وسمع بها الناس، العرب وغيرهم في البوادي والمدن. فصارت الوفود تأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويتصلون به سراً، ويسمعون منه عليه الصلاة والسلام حتى فشى الإسلام وظهر وبان لأهل مكة. فعند ذلك شمروا عن ساعد العداوة، وآذوا الرسول وآذوا أصحابه إيذاءً شديداً، وأمرهم معروف في السير والتاريخ، فمنهم من عذب بالرمضاء، ومنهم من عذب بغير ذلك،فلما اشتد الأمر بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد بهم الأذى، أذن لهم صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر من هاجر إلى الحبشة، ومكثوا هناك ما شاء الله. ثم بلغهم أن هناك تساهلاً من المشركين، وروي أنه بلغهم أنهم أسلموا لما سجدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم، فرجع من رجع منهم، فاشتد عليهم الأذى، فهاجروا الهجرة الثانية إلى الحبشة، وبقوا هناك إلى أن قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم . ثم استمرت الحال والشدة على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة، وجرى ما جرى في حصاره في شعب أبي طالب، وغير هذا من الأذى. ثم إن الله جل وعلا بعد ذلك أذن لهم بالهجرة إلى المدينة، بعدما يسر الله له من الأنصار من يساعده ويحميه ويؤويه، فإن الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم من الأوس

والخزرج، لما بلغتهم الدعوة اتصلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واجتمعوا به عند العقبة في منى مرات، ثم في المرة الأخيرة بايعوه، بايعه منهم جماعة فوق السبعين، فبايعوه على الإسلام، وعلى أن ينصروه ويحموه مما يحموا منه نساءهم وذرياتهم، وطلبوا منه أن يهاجر إليهم، فوافق على ذلك عليه الصلاة والسلام وأذن لأصحابه بالهجرة، ثم انتظر أمر ربه، فأذن الله له بعد ذلك، فهاجر إلى المدينة فلله الحمد والمنة .

وكان صلى الله عليه وسلم في مكة كما هو معلوم لم يجاهدهم باليد ولا بالسيف ولكنه كان يجاهدهم بالدعوة والتوجيه والإرشاد والتبصير والعظة والتذكير وتلاوة القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1]، وهكذا كان أصحابه صلى الله عليه وسلم الذين بقوا في مكة كانوا هكذا، إذا تمكنوا من الدعوة بذلوها لمن يتصل بهم في التوجيه والإرشاد والنصيحة، ولكن مع هذا كله فالمسلمون قليلون، والكفار أكثر ولهم السلطة، ولهم اليد في مكة، ولهذا قال الشاعر، ويروى لحسان رضي الله عنه:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٢.

فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

هكذا كانت الحال بمكة، إنما أجاب القليل وامتنع الأكثرون؛ بسبب المآكل والرئاسة والكبر والحسد والبغي، لا عن جهل بالحق ولا رغبة في الباطل؛ لأنهم يعرفون أنه رسول الله، وأنه صادق، وكانوا يسمونه الأمين عليه الصلاة والسلام ولكن الحسد والبغي وحب الرئاسة والتسلط على الأمة يمنع الكثير من الناس عن قبول الحق. وهكذا فعل الروم وفارس ورؤساؤهم وأعيانهم، ليس يخفى عليهم الحق وأدلته وبراهينه، ولكن السلطان والرئاسة واستعباد الناس وما يلتحق بهذا، يمنعهم من الخضوع إلى الحق. ولما سأل هرقل أبا سفيان عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أبو سفيان بذلك، عرف أنه رسول الله، واتضح له أنه نبي الله، ودعا أمته لذلك. فلما رأى منهم النفرة وعدم الاستجابة نكص على عقبيه، ورجع عما أظهر، وقال: (إنما فعلت هذا وقلت ما قلت لأمتحنكم وأعرف صلابتكم في دينكم)، ثم صار على دين قومه، واستمر في طغيانه وكفره. نسأل الله العافية، فآثر الدنيا على الآخرة. و هكذا أشباهه ونظراؤه يحملهم البغي والحسد وحب الرئاسة، على خلاف الحق وعلى التنكر له ولأهله، كما سبق في قوله جل وعلا: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1]، هكذا يقول ربنا عز وجل عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، وقال الله عز وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[3]. فهؤلاء الكفرة من الكبراء والأعيان يعرفون الحق، وأن ما جاءت به الرسل هو الحق، ولكن تمنعهم الرئاسات والتسلط على العباد وظلم العباد، والاستبداد بالخيرات، يمنعهم ذلك من قبول الحق؛ لأنهم يعرفون أنهم إذا قبلوا صاروا أتباعاً، وهم لا يرضون بذلك، إنما يريدون أن يكونوا متبوعين ورؤساء ومتحكمين ومتسلطين. فالإسلام جاء ليحارب هؤلاء ويقضي عليهم؛ ليقيم دولة صالحة بقيادة صالحة، يؤثرون حق الله وإنصاف الناس، ويرضون بما يرضى به إخوانهم، ولا يتجبرون ولا يتكبرون، بل ينصفون إخوانهم، ويسعون في صلاحهم وفلاحهم، ويحكمون بينهم بالعدل، ويشتركون معهم في الخيرات ولا يستبدون بها عنهم.

هكذا بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين شامل ونظام عادل وشرائع مستقيمة، تكسح نظم الفساد، وتزيل

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٣.

(٢) سورة النمل، الآية ١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٠٢.

أحكام الطغاة، وتقضي على طرق الفساد وأخلاق المفسدين، وتوجب على المسلمين اتباع هذا النظام المنزل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. كما توجب عليهم هذه الشريعة أن يتخلقوا بالعدل والإنصاف، وأن يستقيموا على ما شرعه الله لهم، وأن يحافظوا على ذلك، وان ينصف بعضهم بعضاً، وأن يؤدي الأمانة بعضهم لبعض، وأن يحكموا فيما بينهم بشرع الله، وأن يحاربوا الفساد والضلال وطرق الغي والغواية.

فلما هاجرعليه الصلاة والسلام واستقر به القرار في المدينة المنورة، أمره الله بالتقوى، وتطهيرها من الفساد وأهل الفساد، وعمارتها بالمصلحين والصالحين، فلما استقر به القرار في هذه البلاد المقدسة وحوله الأنصار والمهاجرون، استمر في الدعوة عليه الصلاة والسلام ونشر ما بعثه الله به من الهدى، وأذن الله له ولأصحابه في القتال والجهاد، وأنزل في ذلك قوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]، ففي هذه الآية أذن لهم في الجهاد؛ لأنهم مظلومون. والمقصود أن الله جل وعلا أذن لهم بالقتال والجهاد، ثم فرض الله ذلك سبحانه وتعالى وأوجبه بقوله جل وعلا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[2] الآية، وأوجب عليهم سبحانه

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

وتعالى الجهاد والقتال، وأنزل فيه الآيات الكثيرات، وحرض عليه سبحانه وتعالى وأمر به في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فكان أولاً مباحاً مأذوناً فيه، ثم فريضة على الكفاية كما قاله أهل العلم.

وقد يجب على الأعيان إذا اقتضت الأسباب ذلك كما لو كان حضر الصف، أو حصر بلده أو استنفره الإمام، ففي هذه المسائل الثلاث يتعين القتال إذا حضر الصفين، ليس له أن ينصرف، ولا أن يفر. وكذلك إذا حاصر بلده العدو، وجب عليه وعلى أهل البلد أن يقاتلوا ويدافعوا بكل ما يستطيعون من قوة. وكذلك إذا استنفره الإمام وجب النفير كما هو معروف في محله . فالمقصود أن الله فرض الجهاد وجعله فرضاً على المسلمين، وهو فرض كفاية؛ إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وصار في حقهم سنة مؤكدة. وقد يجب على الأعيان للأسباب التي تقتضي ذلك كما سبق . فكان عليه الصلاة والسلام أولاً يقاتل إذا رأى المصلحة في ذلك، ويكف إذا رأى المصلحة في الترك، ثم أمره الله سبحانه بقتال من قاتله، وبالكف عمن كف عنه، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

قال بعض السلف في هذه الآية: إنه أمر في هذه الآية بقتال من قاتله، والكف عمن كف عنه. وقال آخرون في هذه الآية: إن هذه الآية ليس فيها ما يدل على هذا المعنى، وإنما فيها أنه أمر بالقتال للذين يقاتلون؛ أي من شأنهم أن يقاتلوا... ويصدوا عن سبيل الله، وهم الرجال المكلفون القادرون على القتال، بخلاف الذين ليس من شأنهم القتال؛ كالنساء والصبيان والرهبان والعميان والزمناء وأشباههم، فهؤلاء لا يقاتلون لأنهم ليسوا من أهل القتال. وهذا التفسير كما سيأتي إن شاء الله تعالى أظهر وأوضح في معنى الآية، ولهذا قال بعدها بقليل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾[1]، فعلم بذلك أنه أراد قتال الكفار، لا من قاتل فقط، بل أراد قتال الكفار جميعاً؛ حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة، والفتنة شرك، وأن يفتن الناس بعضهم بعضاً عن دينهم، فتطلق الفتنة على الشرك كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[2]؛ يعني الشرك، وتطلق على ما يقوم به بعض الكفار من: قتل بعض الناس، والتعدي عليهم، وإلجائهم إلى أن يكفروا بالله عز وجل. فالله أمر بقتالهم حتى لا تكون فتنة؛ يعني حتى لا يقع شرك في الأمة، وحتى لا يقع ظلم من الكفار للمسلمين؛ بصدهم وقتالهم

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩١.

حتى يرجعوا عن الحق. وقال عز وجل في سورة النساء: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا(٨٩)إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً(٩٠)سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[1]، قالوا: فهذه الآيات فيها الدلالة على أن الله جل وعلا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن يقاتلوا من قاتلهم، وأن يكفوا عمن اعتزل القتال وكف عنهم، ثم أنزل الله بعد ذلك آية السيف في سورة براءة، وهي قوله جل وعلا: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٥)﴾ [2]. قال العلماء رحمة الله عليهم: إن هذه الآية ناسخة لجميع الآيات التي فيها الصفح والكف عن المشركين، والتي فيها

(١) سورة النساء، الآيات ٨٩ ـ ٩١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥.

الكف عن قتال من لم يقاتل. قالوا: فهذه آية السيف هي آية القتال، آيـــة الجهاد، آية التشمير عن ساعد الجد وعن المال والنفس لقتال أعـــداء الله، حتى يدخلوا في دين الله، وحتى يتوبوا من شركهم، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإســـلام. هذا هو المعروف في كلام أهل العلم من المفسرين وغير المفسرين، كلـــهم قالوا فيما علمنا، واطلعنا عليه من كلامهم: إن هذه الآية ومـــا جـــاء في معناها ناسخة لما مضى قبلها من الآيات، التي فيها الأمر بالعفو والـــصفح، وقتال من قاتل والكف عمن كف، ومثلها قوله جـــل وعـــلا في ســـورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّـــهُ لِلّـــه﴾[1]، ومثلها قوله جل وعلا في سورة براءة بعد ذلك: ﴿وَقَـــاتِلُواْ الْمُـــشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، ومثلها قوله جل وعلا: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُـــواْ الْكِتَـــابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(٢٩)﴾[3]. فأمر الله ســـبحانه وتعالى بقتال أهل الكتاب، ولم يأمر بالكف عنهم إلا إذا

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٩.

أدوا الجزية عن صغار، و لم يقل: حتى يعطوا الجزية أو يكفوا عنا، بل قال: ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، واكتفى بذلك، وقال في الآية السابقة آية السيف: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[1]، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[2]. فدل ذلك على أنه لا يكف عن الكفار، إلا إذا تابوا من كفرهم، ورجعوا إلى دين الله، واستمسكوا بما شرع الله. فهؤلاء هم الذين يكف عنهم، ويكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا، لكن أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كففنا عنهم وإن لم يسلموا. أما من سواهم فلابد من الإسلام أو السيف، ويلحق بأهل الكتاب المجوس؛ لما رواه البخاري في صحيحه رحمه الله عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر. فصار المجوس ملحقين بأهل الكتاب في أخذ الجزية فقط، لا في حل طعامهم ونسائهم. فهذه الطوائف الثلاثة تؤخذ منهم الجزية، هذا محل وفاق بين أهل العلم، فإما أن يسلموا وإما أن يؤدوا الجزية، وإما القتال. وفي آخر الزمان إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام زال هذا الأمر، فأخذ الجزية مؤجل ومؤقت

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١.

إلى نزول عيسى، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام انتهى هذا الشرع، ووجب بعد ذلك إما الإسلام وإما السيف. هكذا يحكم عيسى عليه السلام بهذه الشريعة المحمدية، والأحاديث الواردة في ذلك، تدل على أن أخذ الجزية مؤقت إلى نزوله عليه الصلاة والسلام . وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أن أخذ الجزية مؤقت إلى نزول عيسى، فإذا نزل عيسى حكم فيهم بالسيف أو الإسلام، وترك الجزية، وذلك بتقرير النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك وأقره؛ فدل ذلك على أن هذا هو شرعه في آخر الزمان. واختلف أهل العلم فيما عدا هذه الطوائف الثلاث من العجم وعباد الأوثان، فقال بعض أهل العلم: تؤخذ الجزية من جميع المشركين عربهم وعجمهم ولا يستثنى أحد، وهذا هو المنقول عن مالك، ونسبه إليه القرطبي رحمه الله في تفسيره، والحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره، وهو: أن الجزية تؤخذ من الجميع من العرب ومن العجم . وقال أبو حنيفة رحمه الله: تؤخذ من العجم جميعاً؛ كاليهود والنصارى والمجوس، ولا تؤخذ من العرب. وقال أحمد رحمه الله والشافعي وجماعة من العلماء: إنما تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس فقط؛ لأن الأصل قتال الكفار، وعدم رفع السيف عنهم حتى يسلموا، و لم يأت رفع السيف بعد بذل الجزية إلا في هذه الطوائف الثلاث:

اليهود والنصارى والمجوس. جاء الكتاب في اليهود والنصارى، وجاءت السنة الصريحة في المجوس، ومن سواهم لا يرفع عنه السيف، بل لابد من الإسلام أو السيف فقط؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[1]، و لم يقل أو كفوا عنكم، وقال: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[2]، فعمم بقتالهم جميعاً. وتعليق الحكم بالوصف المشتق يدل على أنه هو العلة، فلما علق الحكم بالمشركين والكفار ولمن ترك الدين و لم يدن بالحق، عرف أن هذا هو العلة، وأنه هو المقتضي لقتالهم. فالعلة الكفر بالله، مع شرط كونه من أهل القتال لا من غيرهم، فإذا كانوا من أهل القتال قاتلناهم حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، إن كانوا من اليهود والنصارى والمجوس، أو حتى يسلموا فقط، إذا كانوا من غير هؤلاء الطوائف الثلاث، وإلا فالسيف. لكن من ليس من أهل القتال؛ كالنساء والأولاد والعميان والمجانين والرهبان وأرباب الصوامع والزمناء، ومن ليس من شأنهم القتال؛ لكونهم لا يستطيعون كمن تقدم ذكرهم وهكذا الشيوخ الفانون، فهؤلاء لا يقاتلون عند جمهور العلماء؛ لأنهم ليسوا من أهل القتال، فمن محاسن الإسلام

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥.

تركهم وعدم قتالهم، وفيه أيضاً دعوة لهم ولأهاليهم وقومهم إلى الإسلام، إذا عرفوا أن الإسلام يرحم هؤلاء ويعطف عليهم ولا يقتلهم؛ فهذا من أسباب دخولهم في الإسلام، أو عدم تفانيهم في العداء له. وبعض أهل العلم حكى الإجماع على عدم قتل النساء والصبيان، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن قتل النساء والصبيان في الأحاديث الصحيحة، وقد جاء في أحاديث السنن النهي عن قتل الرهبان، والشيوخ الفانين وأشباههم. وذكر بعض أهل العلم أن آية السيف، وهي قوله جل وعلا: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[1] الآية، ليست ناسخة، ولكن الأحوال تختلف، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٣.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٦.

لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[1]. فهذه الآيات وما في معناها، قال بعض أهل العلم: ليست ناسخة لآيات الكف عمن كف عنا وقتال من قاتلنا، وليست ناسخة لقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]، ولكن الأحوال تختلف، فإذا قوي المسلمون وصارت لهم السلطة والقوة والهيبة، استعملوا آية السيف وما جاء في معناها وعملوا بها، وقاتلوا جميع الكفار حتى يدخلوا في دين الله أو يؤدوا الجزية؛ إما مطلقاً كما هو قول مالك رحمه الله وجماعة، وإما من اليهود والنصارى والمجوس على القول الآخر. وإذا ضعف المسلمون و لم يقووا على قتال الجميع، فلا بأس أن يقاتلوا بحسب قدرتهم ويكفوا عمن كف عنهم إذا لم يستطيعوا ذلك، فيكون الأمر إلى ولي الأمر: إن شاء قاتل، وإن شاء كف، وإن شاء قاتل قوماً دون قوم، على حسب القوة والقدرة والمصلحة للمسلمين، لا على حسب هواه وشهوته ولكن ينظر للمسلمين وينظر لحالهم وقوتهم ، فإن ضعف المسلمون استعمل الآيات المكية؛ لما في الآيات المكية من الدعوة والبيان والإرشاد والكف عن القتال عند الضعف، وإذا قوي المسلمون قاتلوا حسب القدرة، فيقاتلون من بدأهم بالقتال وقصدهم في بلادهم، ويكفون عمن كف عنهم، فينظرون في المصلحة التي

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

تقتضيها قواعد الإسلام وتقتضيها الرحمة للمسلمين والنظر في العواقب، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وفي المدينة أول ما هاجر. وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار، أعلنوها حرباً شعواء للجميع، وأعلنوا الجهاد للجميع، كما أعلن الصحابة ذلك في زمن الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكما أعلن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته بعد نزول آية السيف، وتوجه إلى تبوك لقتال الروم، وأرسل قبل ذلك جيش مؤتة لقتال الروم عام ٨ من الهجرة، وجهز جيش أسامة في آخر حياته صلى الله عليه وسلم . وهذا القول ذكره أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واختاره وقال: إنه ليس هناك نسخ، ولكنه اختلاف في الأحوال؛ لأن أمر المسلمين في أول الأمر ليس بالقوي، وليس عندهم قدرة كاملة، أذن لهم بالقتال فقط، ولما كان عندهم من القدرة بعد الهجرة ما يستطيعون به الدفاع، أمروا بقتال من قاتلهم وبالكف عمن كف عنهم. فلما قوي الإسلام وقوي أهله، وانتشر المسلمون ودخل الناس في دين الله أفواجاً، أمروا بقتال جميع الكفار، ونبذ العهود، وألا يكفوا إلا عن أهل الجزية من اليهود والنصارى والمجوس، إذا بذلوها عن يد وهم صاغرون. وهذا القول اختاره جمع من أهل العلم، واختاره الحافظ ابن كثير رحمه الله

عند قوله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

وهذا القول أظهر وأبين في الدليل؛ لأن القاعدة الأصولية أنه لا يصار إلى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الأدلة، والجمع هنا غير متعذر كما تقدم بيانه والله ولي التوفيق.

أما ما يتعلق بالجزية، فقول من قال: (إنها تؤخذ من الجميع) أظهر، إلا من العرب خاصة.

ووجه ذلك، ما ثبت في الصحيح عن بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: ((اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله))[2] فعلق الحكم بالكفر، فدل ذلك على أنهم يقاتلون لكفرهم، إذا كانوا من أهل القتال، كما تدل عليه آيات أخرى.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً))، ثم قال بعد هذا: ((وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٢) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (تأمير الإمام الأمراء على البعوث) برقم ١٧٣١.

خصال أو خلال: فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام))، ثم قال بعد ذلك: ((فإن أبوا فاسألهم الجزية))، ثم قال بعد ذلك: ((فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم))[1]. فأمر صلى الله عليه وسلم أميره على الجيش والسرية، أن يدعو الأعداء أولاً للإسلام، فإن أجابوا كف عنهم، فإن أبوا دعاهم إلى الجزية، فإن أجابوا كف عنهم، وإلا فاستعان بالله وقاتلهم، ولم يفرق بين اليهود والنصارى وغيرهم، بل قال: ((عدوك من المشركين))، وهذا يظهر من العموم، ولكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن عامة العلماء لم يروا أخذها من العرب. قالوا: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تنزل عليه الآيات، وهو أعلم بمعناها لم يأخذها من العرب، بل قاتلهم حتى دخلوا في الإسلام، وهكذا الصحابة بعده لم يقبلوها من عربي، بل قاتلوا العرب في الجزيرة حتى دخلوا كلهم في دين الله. والله جل وعلا قال في حقهم وغيرهم: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[2]، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[3]، ولم يذكر الجزية في هذا المكان.

---

(١) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (تأمير الإمام الأمراء على البعوث) برقم ١٧٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١.

فالقول بأنها لا تؤخذ من العرب، هو الأقوى والأظهر والأقرب، وأما من سواهم، فقول من قال: بعموم النص أعني حديث بريدة أظهر؛ أخذاً بالأدلة من القرآن والسنة جميعاً، ولأن المقصود من الجهاد هو إخضاعهم للحق، ودعوتهم إليه، وأن يكفوا عنا آذاهم وظلمهم، فإذا فعلوا ذلك ودخلوا في دين الله، فالحمد لله، وإن أبوا طالبناهم بالجزية، فإن بذلوها والتزموا الصغار والشروط التي تملى عليهم، قبلناها منهم وكففنا عنهم.

فإن أبوا أن يدخلوا في الإسلام، وأن يبذلوا الجزية قاتلناهم؛ لما في ذلك من المصلحة لهم وللمسلمين، ولأن ذلك هو الموافق لحديث بريدة رضي الله عنه مع الآيات في اليهود والنصارى، ومع حديث عبد الرحمن في المجوس.

أما العرب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم يأخذوها منهم، وهكذا من بعدهم الأئمة، ويتضح من سيرتهم وعملهم أنه لا يجوز أن يبقى العرب على الشرك بالله أبداً، بل إما أن يحملوا هذه الرسالة، ويبلغوها للناس، وإما أن يقضى عليهم، فلا يبقوا في الأرض.

أما بقاؤهم بالجزية فغير لائق... ولهذا جرى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفاؤه على عدم قبولها من العرب، وإنما قبلوها من الأعاجم؛ كالمجوس وأشباههم، كما قبلوها من

اليهود والنصارى.

أما قول من قال: بأن القتال للدفاع فقط، فهذا القول ما علمته لأحد من العلماء القدامى: أن الجهاد شرع في الإسلام بعد آية السيف للدفاع فقط، وأن الكفار لا يُبدأون بالقتال وإنما يشرع للدفاع فقط.

وقد كتب بعض إخواننا رسالة في الرد على هذا القول، وفي الرد على رسالة افتراها بعض الناس على شيخ الإسلام ابن تيمية، زعم فيها أنه يرى الجهاد للدفاع فقط. وهذا الكاتب هو فضيلة العلامة: الشيخ سليمان بن حمدان، رسالة ذكر فيها أن هذا القول منقول عن بعض أهل الكوفة، وإنما اشتهر بين الكتاب مؤخراً.. وأما العلماء فلم يشتهر بينهم، وإنما المعروف بين العلماء أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر أذن له في القتال مطلقاً، ثم فرض عليه الجهاد وأمر بأن يقاتل من قاتل، ويكف عمن كف، ثم بعد ذلك أنزل الله عليه الآيات الآمرة بالجهاد مطلقاً، وعدم الكف عن أحد حتى يدخل في دين الله، أو يؤدي الجزية إن كان من أهلها كما تقدم.

وهذا هو المعروف في كلام أهل العلم، وقد تقدم ذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجمع بين النصوص، وأنه هو الأقرب ولا نسخ، وإنما تختلف الأحوال بقوة المسلمين وضعفهم. فإذا ضعف المسلمون جاهدوا بحسب

حالهم، وإذا عجزوا عن ذلك اكتفوا بالدعوة، وإذا قووا بعض القوة قاتلوا من بدأهم ومن قرب منهم، وكفوا عمن كف عنهم، وإذا قووا وصار لهم السلطان والغلبة قاتلوا الجميع وجاهدوا الجميع حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية، إلا من لا تؤخذ منهم؛ كالعرب عند جمع من أهل العلم.

وقد تعلق بعض الكتاب الذين قالوا: إن الجهاد للدفاع فقط، بآيات لا حجة لهم فيها. وقد سبق الجواب عنها، ويأتي مزيد لذلك إن شاء الله .

ومعلوم أن الدفاع قد أوجبه الله على المسلمين ضد من اعتدى عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، وكما في الآيات السابقة. والإسلام جاء بدعوة الكفار أولاً إلى الدخول فيه، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا وجب قتالهم مع القدرة كما تقدم في حديث بريدة ، وإن رأى ولي الأمر المصالحة، وعدم القتال لأسباب تتعلق بمصلحة المسلمين، جاز ذلك؛ لقوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[2] الآية، ولفعله صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة يوم الحديبية.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦١.

وبذلك يعلم أنه لا حاجة للقتال إذا نجحت الدعوة، وأجاب الكفار إلى الدخول في الإسلام.

فإن احتيج للقتال قوتل الكفار حينئذ بعد الدعوة والبيان والإرشاد، فإن أبو فالجزية إن كانوا من أهلها، فإن أبوا وجب القتال أو المصالحة حسبما يراه ولي الأمر للمسلمين إذا لم يكن لدى المسلمين قدرة على القتال كما تقدم وقد تعلق القائلون بأن الجهاد للدفاع فقط بآيات ثلاث:

الأولى: قوله جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾[1]. والجواب عن ذلك كما تقدم أن هذه الآية ليس معناها القتال للدفاع، وإنما معناها القتال لمن كان شأنه القتال؛ كالرجل المكلف القوي، وترك من ليس شأنه القتال؛ كالمرأة والصبي ونحو ذلك، ولهذا قال بعدها: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾[2]، فاتضح بطلان هذا القول، ثم لو صح ما قالوا، فقد نسخت بآية السيف وانتهى الأمر بحمد الله.

والآية الثانية التي احتج بها من قال بأن الجهاد للدفاع هي قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3]. وهذه لا حجة فيها

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

لأنها على الأصح مخصوصة بأهل الكتاب والمجوس وأشباههم، فإنهم لا يكرهون على الدخول في الإسلام إذا بذلوا الجزية، هذا هو أحد القولين في معناها.

والقول الثاني: أنها منسوخة بآية السيف، ولا حاجة للنسخ بل هي مخصوصة بأهل الكتاب، كما جاء في التفسير عن عدة من الصحابة والسلف، فهي مخصوصة بأهل الكتاب ونحوهم، فلا يكرهون إذا أدوا الجزية وهكذا من ألحق بهم من المجوس وغيرهم إذا أدوا الجزية فلا إكراه؛ ولأن الراجح لدى أئمة الحديث والأصول، أنه لا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع، وقد عرفت أن الجمع ممكن بما ذكرنا. فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا، كما دلت عليه الآيات الكريمات الأخرى.

والآية الثالثة التي تعلق بها من قال: إن الجهاد للدفاع فقط، قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[1]. قالوا: من اعتزلنا وكف عنا لم نقاتله. وقد عرفت أن هذا كان في حال ضعف المسلمين أول ما هاجروا إلى المدينة، ثم نسخت بآية السيف، وانتهى أمرها، أو أنها محمولة على أن هذا كان في حال ضعف المسلمين، فإذا قووا أمروا بالقتال، كما هو القول الآخر كما

(١) سورة النساء، الآية ٩٠.

عرفت وهو عدم النسخ. وبهذا يعلم بطلان هذا القول، وأنه لا أساس له ولا وجه له من الصحة، وقد ألف بعض الناس رسالة افتراها على شيخ الإسلام ابن تيمية، وزعم أنه لا يرى القتال إلا لمن قاتل فقط. وهذه الرسالة لاشك أنها مفتراة، وأنها كذب بلا ريب. وقد انتدب لها الشيخ العلامة سليمان بن سحمان رحمة الله عليه ورد عليها منذ أكثر من خمسين سنة، وقد أخبرني بذلك بعض مشايخنا، ورد عليه أيضا أخونا العلامة الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله القاضي سابقاً في المدينة المنورة كما ذكرنا آنفاً، ورده موجود بحمد الله، وهو رد حسن واف بالمقصود. فجزاه الله خيراً.

وممن كتب في هذا أيضاً أخونا الشيخ صالح بن أحمد المصوعي رحمه الله فقد كتب فيها رسالة صغيرة، فند فيها هذه المزاعم، وأبطل ما قاله هؤلاء الكتبة: بأن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط. وصنف أيضاً أخونا العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله رسالة في الجهاد، وبين فيها بطلان هذا القول، وأنه قول لا أساس له من الصحة. ومن تأمل أدلة الكتاب والسنة، ونظر في ذلك بعين البصيرة، وتجرد عن الهوى والتقليد، عرف قطعاً بطلان هذا القول، وأنه لا أساس له. ومما جاء في السنة في هذا الباب مؤيداً للكتاب العزيز، ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله))[1]. وما رواه الشيخان أيضاً، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وصلوا صلاتنا، وأكلوا ذبيحتنا، واستقبلوا قبلتنا، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا))[2].

ومن ذلك ما رواه مسلم في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))[3] ومن هذا ما رواه مسلم في الصحيح أيضاً، عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال لا

---

(١) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)، برقم ٢٥، ومسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، برقم ٢٢.

(٢) رواه البخاري في (الصلاة)، باب (فضل استقبال القبلة) برقم ٣٩٣.

(٣) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، برقم ٢٠، ٢١.

إله إلا الله))[1] وفي لفظ: ((من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله))[2]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أن القتال شرع لإزالة الكفر والضلال، ودعوة الكفار للدخول في دين الله لا لأنهم اعتدوا علينا فقط ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((... فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))، ولم يقل: فإذا كفوا عنا أو اعتزلونا، بل قال: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك..))[3] الحديث.

فدل ذلك على أن المطلوب دخولهم في الإسلام وإلا فالسيف، إلا أهل الجزية كما تقدم وإنما اقتصر عليه الصلاة والسلام على الشهادتين والصلاة والزكاة؛ لأنها الأسس العظيمة والأركان الكبرى، فمن أخذ بها ودان بها وتمسك بها، فإنه يؤدي ما وراءها عن إيمان وعن اطمئنان، وإذعان من باب أولى.

---

(١) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، برقم ٢٣.

(٢) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) برقم ٢٣.

(٣) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)، برقم ٢٥، ومسلم في (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) برقم ٢٢.

وهذا ما أردت التنبيه عليه باختصار وإيجاز، وأرجو أن يكون وافياً بالمطلوب من بيان الحق وإزهاق الباطل، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً للفقه في دينه والاستقامة عليه، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويهدينا لما فيه السعادة والنجاة، وأن يوفق المسلمين جميعاً للاستقامة على دينه، والجهاد في سبيله، والحذر من مكائد الأعداء؛ إنه على كل شيء قدير. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

٤١- نداء من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للمسلمين كافة من العرب وغيرهم في كل مكان لجهاد اليهود[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأيها المسلمون في كل قطر، أيها العرب في كل مكان، أيها القادة والزعماء: إن المعركة الحالية بين العرب واليهود ليست معركة العرب فحسب، بل هي معركة إسلامية عربية، معركة بين الكفر والإيمان، بين الحق والباطل، بين المسلمين واليهود. وعدوان اليهود على المسلمين في بلادهم وعقر دورهم، أمر معلوم مشهور من نحو تسعة عشر عاماً. والواجب على المسلمين في كل مكان مناصرة إخوانهم المعتدى عليهم، والقيام في صفهم، ومساعدهم على استرجاع حقهم ممن

(١) نشر هذا الموضوع في الصحف المحلية والإسلامية العربية في حينه، ونشر أيضاً في كتاب طبعه الحرس الوطني عام ١٣٩٣هـ بعنوان: (مواقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد والمجاهدين)، كما نشر في هذا المجموع ج٢ ص٤١٣

ظلمهم وتعدى عليهم، بكل ما يستطيعون من نفس وجاه وعتاد ومال، كل بحسب وسعه وطاقته، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2]. ومواقف اليهود ضد الإسلام وبني الإسلام معلومة مشهورة، قد سجلها التاريخ، وتناقلها رواة الأخبار، بل قد شهد بها أعظم كتاب وأصدق كتاب؛ ألا وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. قال الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[3]، فنص الله عز وجل في هذه الآية الكريمة، على أن اليهود والمشركين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٢.

بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[(١)]. قال أهل التفسير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: كانت اليهود تستفتح على كفار العرب، تقول لهم: إنه قد أظل زمان نبي يبعث في آخر الزمان نقاتلكم معه. فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنكروه وكفروا به، وجحدوا صفته، وبذلوا جهودهم في محاربته والتأليب عليه والقضاء على دعوته؛ حسداً منهم وبغياً وجحداً للحق الذي يعرفونه، فأبطل الله كيدهم وأضل سعيهم. ثم إنهم لا يزالوا يسعون جاهدين في الكيد للإسلام، والعداء لأهله، ومساعدة كل عدو عليهم سراً وجهراً. أليسوا القائلين لكفار مكة: أنتم خير وأهدى سبيلاً من محمد وأصحابه، أليسوا هم الذين ألَّبوا كفار قريش ومن سار في ركابهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم أحد، أليسوا هم الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فأطلعه الله على ذلك، وأنجاه من كيدهم، أليسوا هم الذين ظاهروا الكفار يوم الأحزاب ونقضوا العهد في نفس المدينة بين المسلمين، حتى أحبط الله كيدهم وأذل جندهم من الكفار، وسلط الله عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فقتل مقاتلهم، وسبى ذريتهم ونساءهم وأموالهم؛ لغدرهم ونقضهم العهد، ومشايعتهم

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٨٩، ٩٠.

لأهل الكفر والضلال على حزب الحق والهدى.

فيا معشر المسلمين من العرب وغيرهم في كل مكان، بادروا إلى قتال أعداء الله من اليهود، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، بادروا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين والمجاهدين الصابرين، وأخلصوا النية لله، واصبروا وصابروا واتقوا الله عز وجل تفوزوا بالنصر المؤزر أو شرف الشهادة في سبيل الحق ودحر الباطل، وتذكروا دائماً ما أنزله ربكم سبحانه وتعالى في كتابه المبين في فضل المجاهدين، وما وعدهم الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١)يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢)وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]،وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ

(١) سورة الصف، الآيات ١٠-١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٩)الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ(٢١)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

أيها المجاهدون: لقد بين الله سبحانه في هذه الآيات فضل الجهاد وعاقبته الحميدة للمؤمنين، وأنها النصر والفتح القريب في الدنيا مع الجنة، والرضوان من الله سبحانه والمنازل العالية في الآخرة. ودلت الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ على وجوب النفير للجهاد على الشبان والشيوخ إذا دعى الواجب لذلك لإعلاء كلمة الله، وحماية أوطان المسلمين، وصد العدوان عنهم، مع ما يحصل بالجهاد للمسلمين من العزة والكرامة والخير العظيم والأجور الجزيلة، وإعلاء كلمة الحق، وحفظ كيان الأمة، والحفاظ على دينها وأمنها. وأخبر سبحانه في الآية الثالثة والرابعة، أن الجهاد في سبيله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بالصلاة

---

(١) سورة التوبة، الآيات ١٩ ٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٣.

والطواف ونحو ذلك، وأن أهله أعظم درجة عند الله، وأنهم الفائزون، كما أخبر سبحانه أنه يبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. وأخبر في الآية الخامسة أنه مع المتقين، والمعنى بنصره وتأييده وحفظه وكلاءته لهم.

وقد ورد في القرآن الكريم من الآيات الكريمات في فضل الجهاد، والحث عليه، والوعد بالنصر للمؤمنين والدمار على الكافرين سوى ما تقدم ما يملأ قلب المؤمن نشاطاً وقوة، ورغبة صادقة في الترول إلى ساحة الجهاد، والاستبسال في نصرة الحق؛ ثقة بوعد الله، وإيماناً بنصره، ورجاءً للفوز بإحدى الحسنيين، وهما: النصر والمغنم، أو الشهادة في سبيل الحق، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥٢.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة الروم، الآية ٤٧.

﴿الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[2]، إلى أن قال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[3].

ففي هذه الآيات التصريح من الله عز وجل بوعد عباده النصر على أعداءهم والسلامة من كيدهم مهما كانت قوتهم وكثرتهم؛ لأنه عز وجل أقوى من كل قوي، وأعلم بعواقب الأمور وهو عليهم قدير، وبكل أعمالهم محيط، ولكنه عز وجل شرط لهذا الوعد شرطاً عظيماً، وهو الإيمان به وتقواه ونصر دينه، والاستقامة عليه، مع الصبر والمصابرة. فمن قام بهذا الشرط أوفى لهم الوعد، وهو الصادق في وعده: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[4]، ومن قصر في ذلك أو لم يرفع به رأساً، فلا يلومن إلا نفسه.

وينبغي لك أيها المؤمن المجاهد، أن تتدبر كثيراً قوله عز

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
(٤) سورة الزمر، الآية ٢٠.

وجل: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1]. إنها والله كلمة عظيمة، ووعد صادق من ملك قادر جليل، إذا صبرت على مقاتلة عدوك وجهاده ومنازلته، مع قيامك بتقوى الله عز وجل وهي تعظيمه سبحانه والإخلاص له وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والحذر مما نهى الله عنه ورسوله. هذه حقيقة التقوى والصبر على جهاد النفس؛ لأن الله سبحانه قد أمر بذلك ورسوله، ونص سبحانه على الصبر وإفراده بالذكر؛ لعظم شأنه وشدة الحاجة إليه. وقد ذكره الله في كتابه الكريم في مواضع كثيرة جداً، منها قوله جل وعلا: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]. وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ومن يتصبر يُصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً أوسع من الصبر))[5]. فاتقوا الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٣) سورة الزمر الآية ١٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٥) رواه البخاري في (الزكاة)، باب (الاستعفاف عن المسألة) برقم ١٤٦٩،، ومسلم في(الزكاة) ، باب (فضل التعفف والصبر) برقم ١٠٥٣.

معاشر المسلمين والمجاهدين في ميادين الحرب وفي كل مكان، واصبروا وصابروا في جهاد النفس على طاعة الله، وكفها عن محارم الله، وفي جهادها على قتال الأعداء ومنازلة الأقران، وتحمل المشاق في تلك الميادين المهولة تحت أزيز الطائرات وأصوات المدافع، وتذكروا أسلافكم الصالحين من الأنبياء والمرسلين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم أجمعين، ومن تبعهم من المجاهدين الصادقين . فلكم فيهم أسوة، وفيهم لكم عظة وعبرة، فقد صبروا كثيراً وجاهدوا طويلاً، ففتح الله بهم البلاد، وهدى بهم العباد، ومكن لهم في الأرض، ومنحهم السيادة والقيادة بإيمانهم العظيم وإخلاصهم لمولاهم الجليل، وصبرهم في مواطن اللقاء، وإيثارهم الله والدار الآخرة على الدنيا وزهرتها ومتاعها الزائل، كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]. وصح عن

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها))[1]. وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سُئل أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله وبرسوله))، قيل: ثم أي يا رسول الله، قال: ((الجهاد في سبيل الله))[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة))[3] وقال صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق))[4]. وسأله صلى الله عليه وسلم رجل عن

---

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.

(٢) رواه البخاري في (الاستئذان)، باب (من رد فقال: عليك السلام) برقم ٦٢٥١، ومسلم في (الصلاة)، باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) برقم ٣٩٧.

(٣) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله) برقم ٢٧٨٧، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

(٤) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (ذم من مات ولم يغز...) برقم ١٩١٠.

عمل يعدل فضل الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم: ((هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم فلا نفطر، وتقوم فلا تفتر "، فقال السائل: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أما إنك لو طوقت ذلك لم تبلغ فضل المجاهدين..))[١] الحديث. والأحاديث في فضل الجهاد والحث عليه، وبيان ما وعد الله به أهله من العزة في الدنيا، والنصر والعواقب الحميدة، وما أعد لهم في الآخرة من المنازل العالية في دار الكرامة كثيرة جداً. فاتقوا الله يا معشر المسلمين جميعاً ويا معشر العرب خصوصاً جماعات وفرادى، واصدقوا في جهاد عدو الله وعدوكم من اليهود وأنصارهم وأعوانهم، وحاسبوا أنفسكم، وتوبوا إلى ربكم من كل ما يخالف دين الإسلام من مبادئ وعقائد وأعمال، واصدقوا في مواطن اللقاء، وآثروا الله والدار الآخرة. واعلموا أن النصر المبين والعاقبة الحميدة ليست للعرب دون العجم، ولا للعجم دون العرب، ولا لأبيض دون أسود، ولا لأسود دون أبيض، ولكن النصر بإذن الله لمن اتقاه واتبع هداه، وجاهد نفسه لله، وأعد لعدوه ما استطاع من القوة كما أمره بذلك مولاه حيث قال عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ

---

(١) رواه بنحوه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل الجهاد والسير) برقم ٢٧٨٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

حِذْرَكُمْ﴾[1]، وقال عز وجل يخاطب رسوله الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا(١٠٢)﴾[2].

فتأمل يا أخي أمر الله لعباده أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة، ثم تأمل أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عند مقاتلة الأعداء والقرب منهم، أن يقيموا الصلاة ويحملوا السلاح، وكيف كرر الأمر سبحانه في أخذ السلاح، والحذر لئلا يهجم عليهم العدو في حال الصلاة؛ لتعرف بذلك أنه يجب على المجاهدين قادة وجنوداً أن يهتموا بالعدو، وأن يحذروا غافلته، وأن يعدوا له ما استطاعوا من قوة، وأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها، مع الاستعداد للعدو والحذر من كيده، وفي ذلك جمع بين الأسباب الحسية والمعنوية،وهذا هو الواجب على المجاهدين في كل زمان ومكان؛ أن يتصفوا

---

(١) سورة النساء، الآية ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٢.

بالأخلاق الإيمانية، وأن يستقيموا على طاعة ربهم، ويعدوا له ما استطاعوا من قوة، ويحذروا مكائده، مع الصبر على الحق، والثبات عليه، وهذا هو السبب الأول والأساس المتين والأصل العظيم، وهو قطب رحى النصر، وأساس النجاة والفلاح، وهذا هو السبب المعنوي الذي خص الله به عباده المؤمنين وميزهم به عن غيرهم، ووعدهم عليه النصر إذا قاموا به مع السبب الثاني حسب الطاقة وهو: إعدادهم لعدوهم ما استطاعوا من القوة، والعناية بشئون الحرب والقتال، والصبر والمصابرة في مواطن اللقاء، مع الحذر من مكائد الأعداء. وبهذين الأمرين يستحقون النصر من ربهم عز وجل فضلاً منه وكرماً ورحمة وإحساناً، ووفاءً بوعده، وتأييداً لحزبه، كما قال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧)﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(١٢٠)﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٢٢)﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣)﴾[٤].

ومما تقدم أيها الأخ المسلم، أيها الأخ المجاهد تعلم أن

---

(١) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٤) سورة الصافات، الآية ١٧٣.

ما يتكرر كثيراً في بعض الإذاعات العربية من قولهم: (النصر لنا)، (الله معنا)، (النصر للعرب)، (النصر للعرب والإسلام)، وما أشبه ذلك،أن هذه كلها ألفاظ خاطئة ومخالفة للصواب، فليس النصر مضموناً للعرب، ولا لغيرهم من سائر أجناس البشر، وإنما النصر معلق بأسبابه التي أوضحها الله في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم وأسبابه كما تقدم هي: تقوى الله والإيمان به، والصبر والمصابرة لأعدائه، والإخلاص لله، والاستعانة به، مع الأخذ بالأسباب الحسية، وإعداد ما يستطاع من العدة، فينبغي التنبيه لهذا الأمر العظيم، والحذر من الألفاظ التقليدية المخالفة للشرع المطهر.

أما المعية فهي قسمان: معية عامة، ومعية خاصة. فأما المعية العامة فهي لجميع البشر، وليست خاصة بأهل الإيمان، كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(1) سورة الحديد، الآية ٤.

﴿عَلِيمٌ﴾[1]، فهاتان الآيتان صريحتان في أن الله سبحانه عالم بأحوال العباد، مطلع على شئونهم، محيط بهم، ولا يخفى عليه من أمرهم خافية ، ولهذا بدأ سبحانه هاتين الآيتين بالعلم وختمهما بالعلم؛ تنبيهاً للعباد على أن المراد بالمعية: هو العلم والإحاطة، والاطلاع على كل شيء من أمر العباد؛ ليخافوه، ويعظموه، ويبتعدوا عن أسباب غضبه وعذابه، وليس معنى ذلك أنه مختلط بالخلق، أو أنه في كل مكان، كما يقول ذلك بعض المبتدعين الضالين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . قولهم هذا باطل بالنص والإجماع، بل هو سبحانه وتعالى فوق العرش، قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله، لا يشابه فيه خلقه، كما صرح بذلك في كتابه الكريم في سبع آيات من القرآن الكريم، منها قوله عز وجل: ﴿لرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2]، وهو سبحانه لا شبيه له ولا مثل له في جميع صفاته، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4]، فهو عز وجل فوق العرش عالٍ فوق خلقه، كما أخبر بذلك عن نفسه، وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه خافية، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

(٤) سورة الإخلاص، الآية ٤.

وَلاَ فِي السَّمَاء (٥) وَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها، كلها ترشد العباد إلى أن ربهم سبحانه فوق العرش، وأعمالهم ترفع إليه، وهو معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه منهم خافية.

أما المعية الخاصة فهي للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان، وهم أهل التقوى والإيمان والصبر والمصابرة. هذه المعية الخاصة تقتضي الحفظ والكلاءة، والنصر والتأييد، كما قال عز وجل عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال لصاحبه في الغار وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[٣]، ولما أرسل الله موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون اللعين، قال لهما مثبتاً ومطَمْئناً: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٤]،

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٦.

(٢) سورة يونس، الآية ٦١.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٤) سورة طه، الآية ٤٦.

وقال عز وجل في كتابه المبين يخاطب المشركين: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فينبغي أن يكون شعار المسلمين في إذاعاهم وصحفهم، وعند لقائهم لأعدائهم في جميع الأحوال، هو الشعار القرآني الإسلامي ، الذي أرشد الله إليه عباده، وذلك بأن يقولوا: "الله مع المتقين، الله مع المؤمنين، الله مع الصابرين"، وما أشبه هذه العبارات؛ حتى يكونوا قد تأدبوا بآداب الله ، وعلقوا النصر بأسبابه التي علقه الله بها، لا بالعروبة، ولا بالوطنية، ولا بالقومية، ولا بأشباه ذلك من الألفاظ والشعارات ، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أيها المجاهد: إنك في معركة عظيمة مع عدو لدود، عظيم

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٣.

(٣) سورة الأنفال، ٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

الحقد على الإسلام، فوطن نفسك على الجهاد والصبر والمصابرة، وأخلص عملك لله، واستعن به وحده، وأبشر إذا صدقت في ذلك بإحدى الحسنيين: إما النصر والغنيمة والعاقبة الحميدة في الدنيا، وإما الشهادة والنعيم المقيم، والقصور العالية والأنهار الجارية، والحور الحسان في دار الكرامة.

أيها العربي: لا تظن أن النصر على عدوك معلق بعروبتك، وإنما ذلك بإيمانك بالله، وصبرك في مواطن اللقاء، واستقامتك على الحق، وتوبتك من سالف ذنوبك، وإخلاصك لله في كل أعمالك، فاستقم على ذلك ، وتمسك بالإسلام الصحيح، الذي حقيقته الإخلاص لله ، والاستقامة على شرعه ، والسير على هدي رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الحرب والسلم ، وفي جميع الأحوال.

أيها المسلم، أيها المجاهد: تذكر ما أصاب المسلمين يوم أحد؛ بسبب إخلال بعض الرماة بطاعة القائد العظيم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفشل والتنازع، ثم الهزيمة. ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله في ذلك قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقال عز وجل:

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال سبحانه في هذا المعنى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[2].

ولما أعجب المؤمنون بكثرتهم يوم حنين هزموا ، ثم أنزل الله عليهم السكينة ، وأيدهم بجنود من عنده، فتراجعوا وصدقوا الحملة على عدوهم، واستغاثوا بربهم واستنصروا به، فنصرهم وأيدهم وهزم عدوهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾[3].

فكل ما أصاب المسلمين في الجهاد أو غيره، من هزيمة أو جراح ، أو غير ذلك مما يكرهون؛ فهو بأسباب تقصيرهم وتفريطهم فيما يجب من إعداد القوة ، والعناية بأمر الحرب، أو

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٥، ٢٦.

بأسباب معاصيهم، ومخالفتهم لأمر الله.

فاستعينوا بالله أيها المجاهدون واستقيموا على أمره، وأعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة، واصدقوا الله يصدقكم، وانصروه ينصركم ويثبت أقدامكم، واحذروا الكبر والرياء ، وسائر المعاصي، واحذروا أيضاً التنازع والاختلاف ، وعصيان قادتكم في تدبير شئون الحرب ، وغير ذلك مما لم يكن معصية لله عز وجل ؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١].

أيها المسلمون، أيها المجاهدون، إليكم نماذج من كلمات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم حين مقابلتهم لجيش الروم يوم اليرموك؛ لما فيها من العبرة والذكرى.

كلام خالد بن الوليد رضي الله عنه: لما جمع خالد رضي الله عنه الجيوش يوم اليرموك لقتال الروم، قام فيها خطيباً، فقال: "إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر

(١) سورة الأنفال، الآيات ٤٥ ٤٧.

ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده". وقام أبو عبيدة رضي الله عنه في الناس خطيباً فقال: "عباد الله: انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين: اصبروا؛ فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدأوهم بالقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدَّرَقِ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى".

وقام معاذ بن جبل رضي الله عنه في الناس خطيباً ذلك اليوم، فجعل يذكرهم ويقول: "يا أهل القرآن ومتحفظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق: إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق. ألم تسمعوا بقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(١)، فاستحوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عز بغيره".

وقام عمرو بن العاص رضي الله عنه في الناس، فقال:

---

(١)سورة النور، الآية ٥٥

"يا أيها المسلمون: غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا وثبوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد. فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب، ويجزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفْراً وقصراً قصراً، فلا يهولنكم جمعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل". وقام أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه في الناس فتكلم كلاماً حسناً، من ذلك قوله: "والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا تبلغن رضوان الله غداً، إلا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة". هذه نماذج حية عظيمة نقلتها لكم أيها المجاهدون، من كلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لتعلموا أن النصر في الدنيا والفوز في الآخرة لا يدركان بالأماني، ولا بالتفريط وإضاعة الواجب، وإنما يدركان بتوفيق الله بالصدق في اللقاء، ومصابرة الأعداء، والاستقامة على دين الله، وإيثار حقه على ما سواه.

والله المسؤول أن ينصر المسلمين على عدوهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يوفق قادهم للاستقامة على أمره، والصدق في جهاد أعدائه، والتوبة إليه من كل ما يغضبه، كما نسأله عز وجل أن يهزم اليهود وأنصارهم وأعوانهم، وأن يكبت أعداء الإسلام أينما كانوا، وأن يُنزل بهم

بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه، إمام الفاتحين وسيد المرسلين، وخير عباد الله أجمعين، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه وتمسك بسيرته إلى يوم الدين.

٤٢ - عمل صدام عدوان أثيم[١]

لاشك أن عمل الزعيم العراقي من اجتياحه دولة الكويت، وما ترتب على ذلك من: سفك الدماء ونهب الأموال وانتهاك الأعراض، لاشك أن هذا عدوان أثيم وجريمة عظيمة ومنكر شنيع، يجب عليه التوبة إلى الله من ذلك، والبدار بإخراج جيشه من الدولة الكويتية؛ لأن هذا الإقدام والاجتياح أمر منكر، بل مخالف للشرع ولجميع القوانين العرفية، ولما تم عليه التعاهد بينه وبين قادة العرب في جامعتهم العربية.

والواجب عليه حل المشاكل بالطرق السلمية والمفاوضات، وإذا لم تنجح المفاوضات والطرق السلمية، وجب رد الأمر إلى محكمة شرعية لا قانونية ويجب أن ترد جميع المنازعات بين الدول والأفراد والقبائل إلى الحكم الشرعي، بأن تشكل محكمة شرعية من علماء أهل الحق والسنة؛ حتى يحكموا بما تنازع عليه المسلمون من دولتين أو قبيلتين أو أفراد.

(١) نشرت في (الجزيرة) بتاريخ ١٤١١/١/٢٦هـ الموافق ١٩٩٠/٨/١٧هـ، صفحة المحيط الدولي، ونشرت في هذا المجموع ج٦ ص١٥٠.

وإن هذا العمل الذي قام به صدام ضد الكويت هو عمل إجرامي، ويجب التوبة منه وعدم التمادي، والرجوع إلى الحق فضيلة وحق، خير من التمادي في الرذيلة والخطأ.

وقد صدر بيان من مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، يبين خطأ هذا العمل، وأنه عدوان وجريمة وخيانة. ووضح في بيان العلماء والذي أنا أحد أعضائه أنه لا مانع من الاستعانة ببعض الكفار للجيوش الإسلامية والعربية، ولا بأس من الاستعانة لصد عدوان المعتدي والدفاع عن البلاد، وعن حرمة الإسلام والمسلمين.

أما الإشاعات حول الحرمين الشريفين، فإنهما بحمد الله بمنأى عن الزعيم العراقي وغيره، وهما آمنان بحمد الله.

وكل ما في الأمر، أن الدولة السعودية احتاجت إلى الاستعانة ببعض الجيوش من جنسيات متعددة ومن جملتهم الولايات المتحدة وإنما ذلك للدفاع المشترك مع القوات السعودية عن البلاد والإسلام وأهله، ولا حرج في ذلك؛ لأنه استعانة لدفع الظلم، وحفظ البلاد وحمايتها من شر الأشرار وظلم الظالمين وعدوان المعتدين، فلا حرج كما قرره أهل العلم وبينوه .

وأما ما أشاعته بعض الأقليات الإسلامية التي صدقت أقوال صدام وأكاذيبه حول تدخل الإمبريالية في شئون المسلمين ومقدساتهم، وغيرها من الإشاعات الباطلة، فإن هذا

خطأ كبير، والذي أشاعه هو حزب صدام، وهو حزب قومي وليس حزباً إسلامياً، وحتى لو كانوا مسلمين، إذا تعدوا وجب ردعهم، ولو بالاستعانة ببعض الكفرة، وعلى طريقة سلمية كما هي، يدفع بها الشر وتحمى بها البلاد، والرسول صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية يوم حنين لحرب أهل الطائف.

وبذلك فإن الاستعانة بالكفار على من تعدى وظلم يجوز على الكفار، أو على أي متعد وظالم.

والذي لا يجوز هو أن ينصر كفار على مسلمين، أما هذا الوضع فهو يحمي المسلمين وأراضيهم من المجرمين والمعتدين والكافرين، وفرق بين الاثنين، بين إنسان ينصر الكفار على المسلمين، ويعينهم على المسلمين، وهذه هي الردة، لا تجوز وهذا منكر. أما كما هو الحال بالمملكة؛ من الاستعانة بالكفار لردع المعتدي وصده سواء كان كافراً أو مسلماً عن بلاد الإسلام والمقدسات، فهذا أمر مطلوب ولازم؛ لأنه لحماية المسلمين ورد الأذى عنهم سواء كان كافراً أو مسلماً .

والواجب على الزعيم العراقي أن يتوب إلى الله، ويرجع عما هو عليه من الباطل، ويترك حزب الشيطان، وعليه أن يلتزم بالإسلام، وأن يسود الرعية ويحكم فيهم بالإسلام، وندعو له بالهداية.

وأكد سماحته في إجابته على سؤال للجزيرة، حول إمكانية

إيجاد محكمة دولية شرعية لحل المنازعات بين الدول؟ فقال: يجب على جميع الدول الإسلامية والعربية حل منازعاتهم بالطرق الشرعية بمحكمات شرعية، في كل بلد محكمة أخرى تكون دولية؛ تحكم بين الدول. وفي البلدان الإسلامية يجب أن يكون هناك محكمة شرعية؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[1]، ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3] فإذا تنازعت دولتان أو أكثر، وجب أن يحكم بينهما علماء الإسلام، بحكم الشريعة فيما تنازعوا به، على ضوء الكتاب والسنة، لا بقوانين في البلدان أو بآراء الرجال، بل بشرع الله.

ووجه سماحته النصح للجيش العراقي بعدم التمادي في الأعمال المنكرة: الواجب على الجنود العراقيين، وعلى كل مسلم، أن يحترم مال المسلم ودمه وعرضه وأهله، ولا يجوز التعدي على أي مسلم لا في الكويت ولا في غيره ولا في ماله ولا في عرضه، ولا في دمه؛ قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة الشورى الآية ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

((كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه))[1].

وهذا العدوان من العراق، لا يبرر للجنود وأفراد الجيش أن يتعدوا على الكويتيين أو غيرهم، ويأخذوا أموالهم، أو يضربوا أجسادهم، أو يقتلوهم أو يقتلوا صبيانهم، أو يتعدوا على نسائهم،كل ذلك منكر وحرام لا يجوز، والواجب أن يتقوا الله، وأن يحذروا ما حرم الله، وأن لا يقدموا على أمر يغضب الله عليهم، ويسبب دخولهم النار، والبعد عن رحمته ورضوانه.

وأوصى سماحته الأشقاء الكويتيين في تصريحه لـ (الجزيرة)، بالاستعانة بالصبر وتقوى الله فقال: أوصي شعب الكويت المظلوم بتقوى الله، وأن يستقيموا على دينه، وأن يتوبوا إليه عن سالف ذنوبهم، وأن يسألوا الله النصر على العدو، وأن يعيدهم إلى بلادهم سالمين، وسوف يعوضهم الله خيراً مما أخذ منهم بالتوبة النصوح، يعطيهم الله ما فاتهم، ويعوضهم خيراً منه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[3].

---

(١) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله) برقم ٢٥٦٤.

(٢) سورة النور، الآية ٣١.

(٣) سورة التحريم، الآية ٨.

ونسأل الله أن يمن علينا وعليهم بالتوبة، وكل منا على خطر، وكل مسلم في أي مكان في السعودية أو الكويت أو الشام أو اليمن، وفي كل مكان، عليه محاسبة النفس ومجاهدتها في الله، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. لذلك، فإن على جميع إخواننا بالكويت، وعلى جميع المسلمين بالمملكة العربية السعودية وكل مكان، عليهم تقوى الله، وأن يجاهدوا أنفسهم في طاعة الله، وأن يصبروا على ما أصابهم من مصائب، كما أن عليهم الاستقامة على الحق والتواصي به، والتناصح في الله. أصلح الله لهم ما كان فاسداً، ورد عليهم ما كان شارداً، وعوضهم خيراً مما أصابهم، وجعل لهم العاقبة الحميدة سبحانه وتعالى قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2]. ومن يتق الله يوفقه الله، ويعوضه خيراً مما أخذ منه، ويسأله الرحمة العامة والشاملة التي تعم أمر دينه ودنياه وآخرته.

وفي ختام تصريح سماحته قال: كلمتي نصيحة عامة للمسلمين جميعاً: أن يتقوا الله، وأن يلتزموا بشرع الله، وأن يتدبروا القرآن العظيم، ويعتنوا بالسنة المطهرة، وأن ينظموا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

أعمالهم على ضوء الكتاب والسنة، وأن تكون أعمالهم وأقوالهم وخلافاتهم كلها ترجع إلى الكتاب والسنة، لا إلى القوانين الوضعية، بل يجب أن تكون كلها محكومة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يلتزموا بهذا أفراداً وجماعات ودولاً.

وهذا هو الواجب على المسلمين؛ أن يتحاكموا إلى شرع الله، وأن يستقيموا على دين الله، وأن يعملوا بما أمر دين الله، ويدعون ما حرم الله؛ لأن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾(1)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(2)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾(3).

فمأمورون بتقوى الله جميعاً، والحفاظ على دينه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(4).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ

(1) سورة لقمان، الآية ٣٣.

(2) سورة النساء، الآية ١.

(3) سورة الحج، الآية ١.

(4) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١].

وهذا هو الواجب على الناس جميعاً؛ أن يتقوا الله ويعبدوه وحده، ويحكموا شريعته، وينقادوا لأمره، ويحذروا نهيه سبحانه وأن يقفوا عند حدوده، وأن يتواصوا بهذا ويتناصحوا كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣].

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة. الدين النصيحة. الدين النصيحة))، قيل: لمن يا رسول الله؟، قال: ((لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم))[٤]، ويقول جرير بن عبد الله البجلي: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[٥].

وهذا هو الواجب على مستوى الشعوب ورؤساء الدول

---

(١) سورة الحشر، الآيات ١٨-٢٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) سورة العصر، كاملة.

(٤) رواه أحمد في (مسند الشاميين)، حديث تميم الداري برقم ١٦٤٩٩، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم ٥٥.

(٥) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (الدين النصيحة) برقم ٥٧، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم ٥٦.

الإسلامية، أن يتناصحوا، وأن يتواصوا بالحق، وأن يحكموا شـــرع الله، لا بالقوانين التي يضعونها بأنفسهم.

ودعا سماحته في ختام تصريحه الله عز وجل بالهداية للجميع، والتوفيق للمسلمين، وأن يصلح قادهم، ويولي عليهم خيارهم، وأن يعيذهم من شر الأشرار.

ونسأل الله أن يكفينا شر كل ذي شر، وأن يرد كيد كـــل عـــدو في نحره، وأن يكشف شره أينما كان. والله ولي التوفيق.

٤٣ - موقف الشريعة الإسلامية
من الغزو العراقي للكويت

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه.(١)

أما بعد: أيها الإخوان المسلمون في كل مكان، نظراً لما جرى من حوادث في اليوم الحادي عشر من هذا الشهر من شهر الله المحرم عام ١٤١١هـ، من العدوان الأثيم، والظلم العظيم من رئيس دولة العراق على دولة الكويت، وذلك باجتياحه بلاد الكويت بجيوشه مزودة بأنواع الأسلحة المدمرة، وما حصل بسبب ذلك من الفساد العظيم، وسفك الدماء ونهب الأموال وهتك الأعراض، وتشريد الآمنين.

بسبب هذا كله، كثر السؤال عن هذا الحادث، وعما ينبغي نحوه، ورأيت أنه من الواجب إخبار المسلمين فيما يتعلق بهذا الحادث، وما يجب على المسلم نحوه، فأقول:

لاشك أن هذا الحادث من رئيس دولة العراق حادث

---

(١) نشرت في جريدة (البلاد) بتاريخ ١٤١١/١/٢٩هـ، وغيرها من الصحف المحلية، ونشرت في هذا المجموع ج٦ ص٧٥.

أليم، وعدوان كبير على دولة مجاورة آمنة، يجب على جميع الدول الإسلامية وغيرها، وعلى جميع المسلمين إنكار ذلك وشجبه، وبيان أنه عدوان أثيم وظلم كبير.

ويجب على رئيس دولة العراق، أن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت، وأن يحذر مغبة ذلك في الدنيا والآخرة، والظلم عاقبته وخيمة، والله عز وجل يقول في كتابه المبين: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[2].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة))[3]، ويقول عز وجل فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))[4]. لاشك أن هذا العدوان من أقبح الظلم، ولاشك أيضاً أنه مخالف للتعاليم الإسلامية والمواثيق الدولية، حري صاحبه بالعقوبة العادلة العاجلة.

والمشاكل بين الجيران وبين القبائل وبين الدول لا تحل

---

(١) سورة الشورى، الآية ٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١٩.

(٣) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (الظلم ظلمات يوم القيامة)، برقم ٢٤٤٧، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٧٨.

(٤) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٧٧.

بالظلم والعدوان، ولكن تحل بالطرق السلمية والصلح، أو بالحكم الشرعي، أما حلها بالظلم والعدوان والسلاح وقتل الأبرياء ونهب الأموال وغير هذا من أنواع الفساد، فهذا لا تقره شريعة إسلامية، ولا يقره ميثاق دولي ولا عرف بين الناس، بل مخالف للأعراف، ومخالف للمواثيق الدولية، كما أنه مخالف لشرع الله المطهر.

والواجب على الدول الإسلامية وغيرها، والعربية وغيرها إنكاره، وقد وقع ذلك وأجمع العالم على إنكاره، ولاشك أنه جدير بالإنكار، فالواجب على دولة العراق، أن تسحب جيوشها من دولة الكويت، وأن تبادر بذلك، وأن تلغي هذه المشكلة الخطيرة، وأن تحل المشكلة بينها وبين الكويت بالطرق السلمية التي أوضحها الإسلام، ودرج عليها المسلمون، ودرج عليها كل من له أدنى بصيرة وأدنى رغبة في الحق والعدل والإنصاف.

وهذه المسألة كغيرها من المسائل التي تقع بين الناس سواء كان ذلك بين دول وقبائل أو غير ذلك يجب أن تحل بالطرق الشرعية، ويحرم حلها بالظلم والعدوان، والصلح جائز بين المسلمين كما قال جل وعلا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[1]، وفي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: ((الصلح جائز

(١) سورة النساء، الآية ١٢٨.

بين المسلمين، إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً))[١]. فإذا تيسر الصلح الذي لا يخالف شرع الله، بل تحرى فيه العدل والإنصاف والقسط، فذلك جائز، فإن لم يتيسر وجب الرجوع إلى حكم الله، كما قال عز وجل في كتابه المبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٢].

فقد أجمع العلماء، على أن الرد إلى الله سبحانه وتعالى هو الرد إلى كتابه العظيم (القرآن)، وأن الرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه في حياته عليه الصلاة والسلام والرد إلى سنته الثابتة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، وهذا هو الخير للمسلمين، وفيه العاقبة الحميدة، وهو الواجب على كل من آمن بالله واليوم الآخر، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[٣]، وهذا عام في جميع المسائل بين الدول والشعوب وغير ذلك. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[٤]، يعني

---

(١) رواه الترمذي في (الأحكام)، باب (ما ذكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلح) برقم ١٣٥٢، وابن ماجة في (الأحكام)، باب (الصلح) برقم ٢٣٥٣.
(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٣) سورة الشورى، الآية ١٠.
(٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

النبي صلى الله عليه وسلم ويقول سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

فالواجب على جميع الدول وجميع الجماعات وجميع القبائل، وجميع المسلمين في كل مكان، أن يرجعوا إلى حكم الله فيما يتنازعون فيه ويختلفون فيه، وأن يحذروا العدوان والظلم، وأن تحل المشاكل بينهم بالطرق السلمية، والوسائط العاقلة الطيبة، فإن لم يتيسر ذلك، وجب الحل بالحكم الشرعي لا بالعدوان والظلم.

وهذه المسألة التي بين الكويت والعراق، يجب أن تحل بمحكمة شرعية من العلماء المعروفين بالعلم والفضل والاستقامة؛ ليحلوها على ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إذا لم يتيسر الصلح.

وهكذا جميع المشاكل التي تعم وتعرض بالدول الإسلامية أو العربية في كل مكان، تحل بهذه الطريقة؛ بالصلح إن تيسر، لا بالعدوان والظلم.

ولاشك أن كل ما يجري بين الناس؛ من الفساد والشرور والظلم، كل ذلك بأسباب الذنوب والمعاصي، كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.

﴿أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

فالواجب على جميع المسلمين: التوبة إلى الله من جميع الذنوب، وذلك بالندم على الماضي منها، والإقلاع عنها، والعزم الصادق على عدم العودة فيها، وهذه هي التوبة النصوح، وإذا كان الذنب يتعلق بحق المخلوق، فلابد من التحلل من المخلوق وسماحه إذا كان مرشداً، أو رد مظلمته إليه وإعطائه حقه، ولا تتم التوبة إلا بذلك، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]. ففي التوبة الفلاح والظفر بكل خير، والسلامة من كل شر في الدنيا والآخرة، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٥]، والنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٣) سورة الروم، الآية ٤١.

(٤) سورة النور، الآية ٣١.

(٥) سورة التحريم، الآية ٨.

يقول: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))[1].

فعلى جميع المسلمين في كل مكان: أن يراقبوا الله، وأن يستقيموا على دينه، وأن يسارعوا إلى ما أوجب عليهم، وإلى ترك ما حرم عليهم، وأن يتناصحوا فيما بينهم، ويتعاونوا على البر والتقوى، ويتواصوا بالحق والصبر عليه، عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى))[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه))[4].

فالتناصح في الله والتواصي بالحق من أهم المهمات، وأعظم الواجبات في حق الأفراد والجماعات والشعوب.

---

(١) رواه ابن ماجة في (الزهد)، باب (ذكر التوبة) برقم ٤٢٥٠.

(٢) سورة العصر، كاملة.

(٣) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٤) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

ويجب على رئيس دولة العراق أن يتوب إلى الله، وأن يبادر بالرجوع إليه، والتوبة مما وقع منه من الظلم، والمسارعة إلى إخراج جيشه من الكويت، حتى تهدأ الفتنة، وحتى تعود الأمور إلى نصابها، ويحصل التقارب في حل المشكلة بالطريقة التي ذكرتها.

وهذا قول جميع أهل العلم، ليس في هذا نزاع، وهو أن جميع المشاكل بين الدول والجماعات والقبائل والأفراد، يجب أن تحل بالطريق الشرعي إذا لم يحسن حلها بالطرق السلمية، والصلح الشرعي الذي لا يخالف شرع الله.

وأما ما حصل من الحكومة السعودية لأسباب هذه الحوادث، المترتبة على الظلم الصادر من رئيس دولة العراق لدولة الكويت، من استعانتها بجملة من الجيوش التي حصلت من جنسيات متعددة من المسلمين وغيرهم لصد العدوان، وللدفاع عن البلاد، فذلك أمر جائز، بل تحتمه وتوجبه الضرورة، وأن على المملكة أن تقوم بهذا الواجب؛ لأن الدفاع عن الإسلام والمسلمين وعن حرمة البلاد وأهلها أمر لازم، بل متحتم، فهي معذورة في ذلك، ومشكورة على مبادرتها لهذا الاحتياط، والحرص على حماية البلاد من الشر وأهله، والدفاع عنها من عدوان متوقع قد يقوم به رئيس دولة العراق؛ لأنه لا يؤمن؛ بسبب ما حدث منه مع دولة الكويت، فخيانته متوقعة.

فلذلك دعت الضرورة إلى الأخذ بالاحتياط، والاستعانة بالجيوش المتعددة الأجناس؛ حماية للبلاد وأهلها، وحفظاً للأمن، وحرصاً على سلامة البلاد وأهلها من كل شر.

ونسأل الله أن يثيبها على ذلك، ويوفقها لكل خير، وأن ينفع بالأسباب، ويحسن العاقبة، وأن يكبت كل ذي شر، ويشغله في نفسه، وأن يجعل كيد أعداء الله في نحورهم، ويكفي المسلمين شرهم، إنه جل وعلا خير مسئول.

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهديهم الصراط المستقيم، وأن يكبت كل عدو للإسلام والمسلمين، وأن يشغله في نفسه، وأن يعيذ المسلمين من شره، وأن يجعل فيما أجرته الحكومة السعودية الخير للمسلمين والعاقبة الحميدة، وأن يبارك في جهودها، ويسدد خطاها، وأن يحسن العاقبة لها ولجميع المسلمين، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

٤٤- الغزو العراقي للكويت جريمة عظيمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.[(١)]

أما بعد: فبمناسبة ما جرى من الحوادث هذه الأيام؛ بسبب احتلال الرئيس العراقي دولة الكويت، واجتياحه لها بالقوات المسلحة المتنوعة، وما جرى بسبب ذلك من الفساد العظيم، وسفك الدماء ونهب الأموال وانتهاك الأعراض، رأيت أن أبين لإخواني المسلمين في هذا الحديث ما يجب حول هذا الحادث، فأقول:

لاشك أن هذا الحادث حادث مؤلم، ويحزن كل مسلم، ولا شك أنه جريمة عظيمة وعدوان شديد من الزعيم العراقي على دولة مجاورة مسلمة، فالواجب عليه التوبة إلى الله سبحانه من ذلك، وسحب جميع جيوشه من دولة الكويت، وحل المشاكل بالطرق السلمية التي شرعها الله لعباده، كما قال جل وعلا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[(٢)]، وقال في الفئة الباغية: ﴿فَإِن فَاءتْ

(١) نشرت في مجلة (الدعوة) في ١٠/٢/١٤١١هـ العدد ١٢٥٥، ونشرت في هذا المجموع ج ٦ ص١٤٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٨.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

فالمشاكل التي تقع بين الدولتين أو الدول أو القبيلتين أو الأفراد، يجب أن تحل بالوسائل الشرعية، لا بالقوة والعدوان والظلم، يقول الله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

قال العلماء: الرد إلى الله تعالى: الرد إلى كتابه العظيم القرآن الكريم ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: الرد إليه في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته: الرد إلى سنته، قال عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[3]. فالواجب على المتنازعين سواء كانا دولتين أو قبيلتين أو جماعتين أو فردين رد النزاع والمشاكل إلى حكم الله إلا أن يتيسر الصلح فالصلح خير.

والواجب على الرئيس العراقي حل الخلاف بالصلح والمفاوضة السليمة توسيط الأخيار، فإن لم يتيسر الصلح وجب الرد إلى الكتاب والسنة عن طريق محكمة شرعية يتولاها

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) سورة الشورى، الآية ١٠.

علماء الحق تعرض عليهم المشكلة ويحكمون فيها بشرع الله كما أمر سبحانه ، هذا هو الواجب على كل دولة منتسبة إلى الإسلام؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

فالذي ننصح به رئيس العراق أن يتقي الله وأن يسحب جيوشه من دولة الكويت وينهي هذه المشكلة، وأن يرضى بحكم الله في ذلك إذا لم يتيسر الصلح.

ولاشك أن الرجوع إلى الحق خير وفضيلة، ويشكر صاحبه عليه، وهو خير من التمادي في الخطأ والباطل، وننصح الجميع بالاستقامة على دين الله، والحكم بشريعته والتواصي بطاعته وترك معصيته، وعدم تحكيم القوانين الوضعية وآراء الرجال، وهذا هو طريق العزة وطريق العدالة وطريق السعادة والكرامة.

ولاشك أن كل بلاء يحصل للمسلمين وكل شر ومصيبة فأسبابها الذنوب والمعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٠.

أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3].

فالواجب على الجميع التوبة إلى الله والرجوع إليه، والاستقامة على دينه، والندم على ما مضى من السيئات والمخالفات والعدوان. هذا هو الواجب على جميع الدول الإسلامية والعربية، وعلى جميع المسلمين.

وعلى الجميع أن يتقوا الله، وأن يعظموا شرعه، وأن يتوبوا إليه من تقصيرهم وذنوبهم، وأن يعلموا أن ما أصابهم فهو بسبب ذنوبهم وسيئاتهم، فالتوبة إلى الله فيها الخير العظيم والسعادة في الدنيا والآخرة، والله جل وعلا قد يملي للظالم ولا يأخذه بسرعة، بل يملي ولا يغفل سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[4]. وقال النبي صلى الله عليه

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.
(٢) سورة الروم، الآية ٤١.
(٣) سورة النساء، الآية ٧٩.
(٤) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

وسلم: ((إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته))[1]، ثم تلا قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2].

فنصيحتي لنفسي ولجميع المسلمين في كل مكان، أن يتقوا الله ويتوبوا إليه، ويستقيموا على دينه، وأن يخلصوا له العبادة، وأن يحذروا ما حرم عليهم سبحانه .

ولاشك أن الرجوع إلى الحق، والحرص على تحكيم الشرع والحذر مما يخالفه، هو طريق أهل الإيمان وسبيلهم، وهو طريق العزة والكرامة، وهو طريق الإنصاف والحكمة، وهو الواجب على كل المسلمين دولاً وشعوباً وأفراداً وجماعات.

وأما ما وقع من الحكومة السعودية؛ من طلب الاستعانة من دول شتى للدفاع وحماية أقطار المسلمين؛ لأن عدوهم لا يؤمن هجومه عليهم، كما هجم على دولة الكويت، فهذا لا بأس به، وقد صدر من هيئة كبار العلماء وأنا واحد منهم بيان بذلك، أذيع في الإذاعة ونشر في الصحف، وهذا لا شك في جوازه، إذ لا بأس أن يستعين المسلمون بغيرهم للدفاع عن

(١) رواه البخاري في (تفسير القرآن)، باب (قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا اخذ القرى)) برقم ٤٦٨٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٣.

(٢)سورة هود، الآية ١٠٢

بلاد المسلمين، وحمايتهم وصد العدوان عنهم، وليس هذا من نصر الكفار على المسلمين الذي ذكره العلماء في باب (حكم المرتد)، فذاك أن ينصر المسلم الكافر على إخوانه المسلمين، فهذا هو الذي لا يجوز، أما أن يستعين المسلم بكافر؛ ليدفع شر كافر آخر أو مسلم معتد، أو يخشى عدوانه، فهذا لا بأس به. وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن استعان بدروع أخذها من صفوان بن أمية، استعارها منه وكان صفوان كافراً في قتاله لثقيف يوم حنين، وكانت خزاعة مسلمها وكافرها مع النبي صلى الله عليه وسلم في قتاله لكفار قريش يوم الفتح، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنكم تصالحون الروم صلحاً آمناً، ثم تقاتلون أنتم وهم عدواً من ورائكم))[1]، فهذا معناه الاستعانة بهم على قتال العدو الذي من ورائنا.

والمقصود أن الدفاع عن المسلمين وعن بلادهم يجوز أن يكون ذلك بقوة مسلمة، وبمساعدة من نصارى أو غيرهم عن طريق السلاح، وعن طريق الجيش الذي يعين المسلمين على صد العدوان عنهم، وعلى حماية بلادهم من شر أعدائهم ومكائدهم.

---

(١) رواه أبو داود في (الملاحم)، باب (ذكر ما يذكر من ملاحم الروم) برقم ٤٢٩٢.

والله جل وعلا يقول في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]، فأمرنا بأخذ الحذر من أعدائنا، وقال عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ أي للأعداء الكفار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]، وهكذا من يعتدي علينا ولو كان مسلماً أو ينتسب إلى الإسلام فإذا خشي المسلمون عدوانه، جاز لهم أيضاً أن يستعينوا بمن يستطيعون الاستعانة به؛ لصد عدوان الكافر، ولصد عدوان المعتدي وظلمه عن بلاد المسلمين وعن حرماتهم.

والواجب على المسلمين التكاتف والتعاون على البر والتقوى ضد أعدائهم، وإذا احتاجوا فيما بينهم لمن يساعدهم على عدوهم، أو على من يريد الكيد لهم والعدوان عليهم ممن ينتسب للإسلام، فإن لهم أن يستعينوا بمن يعينهم على صد العدوان، وحماية أوطان المسلمين وبلادهم كما تقدم.

وأكرر نصيحتي لجميع زعماء المسلمين، ولجميع الدول العربية والإسلامية: أن يتقوا الله، ويحكموا شريعته في كل شيء، وأن يحذروا ما يخالف شرعه، وأن يبتعدوا عن الظلم مهما كان نوعه، هذا هو طريق النجاة، وهذا هو طريق السعادة والسلامة.

---

(١) سورة النساء، الآية ٧١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، ووفق جميع المسلمين للاستقامة على دينه، والتوبة إليه من جميع الذنوب، وأصلح أحوالنا جميعاً، ووفق قادة المسلمين جميعاً وعامة المسلمين لكل ما فيه رضاه، ولكل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

٤٥- وصية لجميع المسلمين بمناسبة غزو العراق للكويت

س: سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز هناك هلع وفزع أصاب بعض المسلمين في هذا البلد؛ من جراء قرب توقع الحرب، حيث بادر الكثير بشراء السلع والمواد الغذائية بكميات كبيرة بغية تخزينها، إضافة إلى قيام البعض الآخر بالاستعداد لمغادرة مدينة الرياض؛ خوفاً من نشوب الحرب، فهل هناك كلمة توجهونها لهم بهذا الشأن؟ (١)

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن وصيتي لجميع المسلمين في المملكة العربية السعودية، وفي دول الخليج، وفي كل مكان: أن يتقوا الله عز وجل وأن يستقيموا على دينه في جميع الأوقات، ولاسيما في مثل هذه الظروف التي لا تخفى على الجميع، وهي ما جرى من الأحداث في الخليج؛ بأسباب عدوان حاكم العراق على دولة الكويت.

---

(١) إجابة صدرت من مكتب سماحته ، ونشرت في ج ٦ من هذا المجموع ص١٣٧.

والواجب على المسلمين دائماً أن يتقوا الله سبحانه وتعالى وأن يستقيموا على دينه، وأن يحذروا ما حرم الله عليهم من قول وعمل؛ لأن الطاعات هي سبب الخير في الدنيا والآخرة، وهي سبب الأمن والسعادة وإطفاء الفتن. أما المعاصي فهي أسباب الشر في الدنيا والآخرة.

وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه طاعة الله واتباع شريعته، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه معصية الله، والكفر به، والانحراف عن دينه.وهذه الأحداث التي وقعت في الخليج، أسبابها ما قدمت أيدي العباد؛ من مخالفة لأمر الله، وانتهاك لمحارم الله، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[(١)]، وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[(٣)] الآية، فالواجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، وأن يراقب ربه، وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي، والمبادرة بالتوبة الصادقة من جميع الذنوب، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية ٤١.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٩.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2]، والتوبة النصوح: هي المشتملة على الندم على ما مضى من المعاصي، وعلى الإقلاع منها وتركها، والحذر منها، وعلى العزم الصادق على عدم العودة إليها؛ طاعة لله، وتعظيماً له، وإخلاصاً له، ورغبة فيما عنده، وحذراً من عقابه سبحانه وتعالى .

وبهذا تدفع الشرور، ويحصل الأمن، ويشتت الله الأعداء ويذلهم، ويجعل دائرة السوء عليهم، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

ومن نصر الله: الاستقامة على طاعته، والتوبة إليه من جميع المعاصي، والإعداد لجهاد الأعداء، والصبر والمصابرة في جهادهم، وبذلك يحصل النصر والتأييد لأولياء الله وأهل طاعته، ويحصل الإذلال والهزيمة على أعداء الله.

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[4].

---

(١) سورة النور، الآية ٣١.

(٢) سورة التحريم، الآية ٨.

(٣) سورة محمد، الآية ٧.

(٤) سورة الحج، الآية ٤٠، ٤١.

فوصيتي للجميع: التوبة إلى الله، والضراعة إليه، وطلب النصر والتأييد على أعداء الله، والمبادرة بكل ما يرضي الله ويقرب إليه ظاهراً وباطناً، والإيمان بأنه سبحانه هو الذي بيده النصر كما قال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾[1]، ليس النصر بالأسباب، وإنما هي أسباب، وليس النصر بالجيوش، وإنما هي أسباب، قال جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ*وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

فالنصر من عنده عز وجل ولكنه سبحانه أمر بالأسباب، وأمر بالإعداد للعدو وأخذ الحذر، وأمر بإعداد الجيوش والسلاح المناسب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[4].

هكذا يجب على المسلمين أن يعدوا العدة، وأن يجاهدوا عدوهم بكل ما يستطيعون من أنواع السلاح والمصابرة.وأبشر

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٤) سورة النساء، الآية ٧١.

إخواني جميعاً أن الله سينصر دينه، وسينصر حزبه، وسيهزم عدوه.

ولا شك، أن حاكم العراق تعدى وظلم وبغى على جيرانه، وأحدث فتنة عظيمة وسوف يجد عقابها وجزاءها، إلا أن يتوب إلى الله توبة صادقة، ويؤدي الحق لأهله. والواجب جهاده حتى يخرج من الكويت، ويرجع إلى الحق والصواب،والمجاهدون لهذا الطاغية على خير عظيم، فمن أخلص لله في جهاده، فهو إن عاش، عاش حميداً مأجوراً عظيم الأجر، وإن قتل، قُتل شهيداً؛ لكونه جاهد في سبيل الله؛ لإنقاذ وطن مسلم، ولنصر مظلومين، ولردع ظالم تعدى وبغى وظلم، مع كفره وخبث عقيدته الإلحادية.

ووصيتي للمسلمين جميعاً: أن يحسنوا ظنهم بالله، وأن يطمئنوا لنصره عز وجل فهو سبحانه الناصر لأوليائه وأهل طاعته، وهو الذي يقول جل وعلا: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فالعاقبة لأهل الإيمان المتقين لله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[2].

وقد خان الأمانة هذا الطاغية طاغية العراق وكفر النعمة وأساء إلى جيرانه بعد ما أحسنوا إليه وساعدوه في أوقاته الحرجة، ولكنه كفر النعمة، وأساء الجوار، وظلم وتعدى، وسوف يجد العاقبة الوخيمة.

---

(١) سورة هود، الآية ٤٩.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٨.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من ذنب أجدر من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، من البغي، وقطيعة الرحم))[1]، وهذا قد بغى وظلم، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3]، ولا مانع من أخذ الأسباب وقت الحرب، ولا مانع من كون المسلمين يتخذوا الأسباب التي تنفعهم في وقت الحرب، فهم مأمورون بأخذ الأسباب في جميع الأمور، كما أنهم مأمورون بأخذ السلاح والإعداد للعدو، فهم مأمورون أيضاً بالأسباب الأخرى؛ كحاجاتهم وحاجات بيوتهم من الطعام والزاد وغير ذلك، كل ذلك مأمورون به ولا حرج فيه، لكن مع حسن ظنهم بالله، ومع الاستقامة على دينه، ومع التوبة إليه سبحانه من جميع الذنوب.هذا هو الواجب على الجميع، والأسباب هم مأمورون بها، وهي حق، ولكنها مع التوكل، والتوكل على الله واجب في جميع الأمور، وهو يشمل أمرين:

أحدهما: الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه الناصر،

---

(١) رواه الترمذي في (صفة القيامة والرقائق والورع)، باب منه، برقم ٢٥١١، وابن ماجة في (الزهد)، باب (البغي)، برقم ٤٢١١.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١٩.

(٣) سورة الشورى، الآية ٨.

وأنه مصرف الأمور، وأن بيده كل شيء سبحانه وتعالى .

والأمر الثاني: الأخذ بالأسباب من جميع الوجوه؛ لأن الله أمر بها، قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾[3] الآية، وقد لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين، وأخذ بالأسباب يوم الخندق، وهكذا يوم الفتح، كل هذا من باب الأسباب، فالإعداد للعدو، وهكذا بقية الأسباب؛ من توقي شر الحروب، وإعداد ما يحتاجه العوائل والبيوت، كل ذلك أمر مطلوب وليس فيه مخالفة لأمر الله، وليس فيه أيضاً إخلال بالتوكل، بل التوكل يشمل الأمرين: الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه الناصر جل وعلا مع الأخذ بالأسباب، هذا ما يجب على المسلمين. ونسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يهزم حاكم العراق، ويشتت شمله، وأن يدير عليه دائرة السوء، وينصر المسلمين عليه، ويعينهم على كل خير، وأن ينصر المظلومين، ويعيد إليهم بلادهم، وأن يهديهم وجميع المسلمين سواء السبيل.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧١.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠٢.

ونسأل الله أن يجعل العاقبة حميدة للجميع، وأن يجعل هذه الحـــوادث عظة للمؤمنين، وسبباً لاستقامتهم على دينهم، وسبباً لتوبة الجميع من كل ذنب إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلـــى آلــه وصحبه وسلم.

٤٦- محاضرة مهمة بسبب اجتياح حاكم العراق للكويت

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد: [١]

فإن الله جل وعلا وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، حتى يميز الخبيث من الطيب، وحتى يتضح أهل الإيمان والتقوى من أهل النفاق والزيغ والكفر والضلال، وحتى يتبين الصابرون المجاهدون من غيرهم، وحتى يظهر للناس من يريد الحق، ويطلب إقامته، ممن يريد خلاف ذلك. قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢]، ومعنى الفتنة هنا: الاختبار والامتحان؛ ليتبين بعد الامتحان الصادقون من الكاذبين، والأبرار من الفجار، والأخيار من الأشرار، وطالب الحق من طالب غيره، ويرجع من أراد الله له

(١) محاضرة ألقيت في جامع (الملك خالد) بأم الحمام بالرياض، في ١٦ رجب عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١/١/٣١، ونشرت في هذا المجموع ج ٦ ص٩٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

السعادة إلى ما عرفه من الحق، ويستمر من سبقت له الشقاوة في باطله وضلاله. وقال جل وعلا: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]، ومعنى بلوناهم: اختبرناهم، بالحسنات: بالنعم؛ من العز والظهور في الأرض والمال والثروة، وغير هذا مما يعتبر من النعم.

والسيئات: يعني المصائب التي تصيب الناس من فقر، وحاجة، وخوف، وحروب، وغير ذلك. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ المعنى ليرجعوا إلى الحق والصواب، ويستقيموا على الهدى، وقال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، يعني اتقوها بالعمل الصالح، والاستقامة على طاعة الله، والجهاد في سبيله، ولزوم الحق.

والفتنة يدخل فيها الحروب، ويدخل فيها الشبهات التي يزيغ بها كثير عن الحق، ويدخل فيها الشهوات المحرمة، إلى أنواع أخرى من الفتن.

فأهل الإيمان يتقونها بطاعة الله ورسوله، والفقه في الدين، والإعداد لها قبل وقوعها، حتى إذا وقعت فإذا هم على بينة وبصيرة وعلى عدة، ويقول جل وعلا: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، المعنى: أنه شديد العقاب لمن خالف أمره وارتكب نهيه، و لم ينقد لشرعه سبحانه . وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]، فالإنسان يفتن بالمال والولد، ويمتحن، فإن اتقى الله في المال والولد فله السعادة، وإن مال مع المال إلى الشهوات المحرمة وإيثار العاجلة هلك، وهكذا إن مال مع الولد إلى ما حرم الله، وإلى متابعة الهوى هلك مع من هلك.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[3]. ومعنى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: لنختبرنكم؛ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين،﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ حتى نعلم علماً ظاهراً، والله سبحانه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وقد سبق علمه بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5]، فهو

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(٢) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٣) سورة محمد، الآية ٣١.

(٤) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٢.

سبحانه وتعالى عليم بكل شيء، ولكن يبلوهم حتى يعلم المجاهدين منهم والصابرين علماً ظاهراً يشاهده الناس، ويعلمه هو سبحانه علماً ظاهراً موجوداً بعدما كان في الغيب، يعلمه ظاهراً موجوداً في الوجود، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، حتى نعلمه علماً ظاهراً موجوداً في العالم.

وفي هذه الأيام، جرى ما جرى من الفتنة في الحادي عشر من المحرم من السنة الهجرية ١٤١١هـ، الثاني من أغسطس من الشهور الميلادية ١٩٩٠، جرى ما جرى من عدوان حاكم العراق على دولة الكويت المجاورة له، واجتاحها بجيوشه المدمرة الظالمة، واستحل الدماء والأموال وانتهك الأعراض، وشرد أهل البلاد، وجرت فتنة عظيمة بسبب هذا الظلم والعدوان، واستنكر العالم هذا البلاء، وهذا الحدث الظالم، وحشد الجيوش على الحدود السعودية، وبذل الناس الجهود الكبيرة: من رؤساء الدول، ومن مجلس الأمن، ومن غيرهم لحاكم العراق؛ ليخرج من هذا الظلم، ويسحب جيشه من هذه البلاد التي احتلها ظلماً، فلم يستجب، وأصر على ظلمه وعدوانه؛ لحكمة بالغة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1]، له سبحانه

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٨.

الحكمة البالغة في كل شيء، قد سبق في علمه جل وعلا أنه لا بد من حرب، وأن هذا البلاء الذي وقع لا يتخلص منه بمجرد الحلول السلمية، وهو القائل سبحانه في كتابه العظيم: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]. ونرجو أن يكون فيما وقع الخير، وأن يكون في ذلك الخير لنا وللمسلمين جميعاً، والشر على أعداء الإسلام؛ لأنه سبحانه أعلم وأحكم، ونرجو أن يكون فيما حدث عظة لنا ولغيرنا في الرجوع إلى الله، والاستقامة على دينه، وحساب النفوس وجهادها لله، والإعداد الكامل لأعدائنا أعداء الإسلام.

فالامتحان يفيد المؤمنين والعقلاء، ويوجب حساب النفس وجهادها، ويوجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، ويجاهدها لله، وأن يستقيم على أمره، وأن يتباعد عن نهيه، ويجب على الدول الإسلامية أن تحاسب نفسها أيضاً، وأن تستقيم على دين الله، ومتى استقام العباد على الحق، وأصلحوا أنفسهم وجاهدوها لله، وبذلوا المستطاع في نصر الحق، يسر

---

(١) سورة النساء، الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

الله أمورهم، ونصرهم على عدوهم، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ويقول سبحانه وبحمده: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[4]، يعني بسبب إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح يستخلفون في الأرض، ويمكن الله لهم دينهم، ويبدلهم بعد خوفهم أمنا.

فالواجب هو الاستقامة على أمر الله، وعلاج الفتن بما أمر الله به من التقوى والاستقامة، والجهاد الصادق، والإخلاص لله، والصبر والمصابرة، هكذا يجب.

وقد بين الله لعباده أسباب النجاة، ووسائل النصر فقال

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ*وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ*وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

فأمرهم سبحانه عند لقاء العداء، وعند وجود العدوان، وعند مباشرة الجهاد بصفات عظيمة:

أولها: الثبات على الحق والاستقامة عليه، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ ﴾، فالثبات على الحق لابد منه، والصبر عليه كما في الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وأهل الإيمان لا تشغلهم الشدائد عن الحق، بل يلزمون الحق في الشدة والرخاء.

والثاني: ذكر الله جل وعلا: ذكر الله بالقلب واللسان، والعمل بالقلب، تعظيماً له سبحانه ، ومحبة له، وخوفاً منه، وثقة به، وإخلاصاً له، واعتماداً عليه سبحانه وتعالى وإيماناً بأنه الناصر والنصر من عنده، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ

(١) سورة الأنفال، الآيات ٤٥ ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

﴿إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾، وإنما الأسباب تعين على ذلك، فما شرع الله من إعداد وسلاح وغير ذلك من الأسباب كلها تعين على ذلك، وهي بشرى من عند الله، كما قال الله عندما أمد رسوله صلى الله عليه وسلم بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]، وفي آية آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢].

فالمؤمن عند الشدائد يذكر الله ويعظمه، ويعلم أنه الناصر، وأنه الضار النافع، وأن بيده كل شيء، فبيده سبحانه الضر والنفع، وبيده سبحانه العز والنصر، وبيده جل وعلا تصريف الأمور، ولا يغيب عن علمه شيء، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى . وعلق على ذلك الفلاح، فقال عز من قائل: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٣]، فبذكر الله بالقلب واللسان والعمل؛ الفلاح والظفر والخير كله.

فالمؤمنون في الشدة والرخاء يلزمون ذكر الله وتعظيمه، والإخلاص له، وإقامة حقه، وترك معصيته، فيذكرون الله بإقامة الصلوات، والمحافظة عليها، وحفظ الجوارح عما حرم الله،

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٥.

وحفظ اللسان عما حرم الله، وذلك بأداء الحقوق والكف عما حرم الله، إلى غير ذلك مما يرضيه سبحانه ويباعد عن غضبه.

وذكر الله سبحانه يكون بالقلب واللسان والعمل، كما تقدم، وفي ذلك الفلاح والفوز والسعادة والظفر. ثم قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]، هذه هي الصفة الثالثة، وطاعة الله ورسوله هي من ذكر الله جل وعلا ، ولكن نص عليها لعظمها، وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي، في الجهاد وغيره.

ثم ذكر جل وعلا الصفة الرابعة: وهي الالتفاف والاجتماع والتعاون، وعدم الفشل، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، فالواجب على المسلمين التعاون والاتفاق، والصدق في جهاد الأعداء، وإخراج الظلمة مما وقعوا فيه، لابد من الاتفاق والصبر، وذكر الله والتعاون ضد العدو.

والعدو قد يكون مسلماً، وقد يكون كافراً، وقد يكون باغياً، وقد أمر الله بقتال الباغي حتى يفيء إلى أمر الله، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[١]، هذا إن كان مؤمناً، فكيف إذا كان كافراً بعثياً ظالماً؟ !

ومعنى ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: حتى ترجع إلى الحق، وترد ما ظلمت، وتستقيم مع العدالة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، وهذه صفة خامسة، فلابد من الصبر في جهاد الأعداء وقتالهم، وبذل المستطاع في ذلك، وقال سبحانه في آية البقرة، في صفة المؤمنين: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[٣]، يعني: حين القتال، ثم قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٤]، وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾[٥].

والصبر أنواع ثلاثة:

صبر على طاعة الله بالجهاد وأداء الحقوق.

وصبر عن معاصي الله، بالكف عما حرم الله قولاً وعملاً .

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٥) سورة النحل، الآية ١٢٧.

ونوع ثالث: هو الصبر على قضاء الله وقدره، مما يصيب الناس من جراح أو قتل أو مرض أو غير ذلك. لابد من الصبر، وتعاطي أسباب النصر، وأسباب العافية.

ثم ذكر سبحانه صفة سادسة وسابعة، فقال: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ﴾[1]، أي: لا تكونوا في جهادكم متكبرين ولا مرائين، بل يجب على المؤمنين في جهادهم لعدوهم الإخلاص لله، والصدق والتواضع لله، وسؤاله النصر جل وعلا.

وقد ذكر الله أمراً ثامناً، وحذر منه، وهو: الصد عن سبيل الله، وهو من صفة أعداء الله، فهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، أما المؤمنون فيجاهدون في تواضع لله، مخلصين له سبحانه لا متكبرين ولا مرائين، يدعون إلى سبيل الله من صد عنه، يدعون الناس إلى الحق والهدى، وإلى طاعة الله ورسوله. هكذا المؤمنون الصادقون أينما كانوا.

وهذه الفتنة أعني عدوان حاكم العراق على الكويت قد اشتبه فيها الأمر على بعض الناس، إذ ظن بعض الناس، أن الأولى فيها الاعتزال وعدم القتال مع هؤلاء أو هؤلاء، وهذا قد جرى في أول فتنة وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الفتنة التي وقعت بين أهل الشام وأهل العراق، بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه الذي قتل ظلماً من فئة بغت عليه وتعدت، والتبست عليها الأمور، ودخل فيها من هو حاقد على

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٧.

الإسلام، والتبست الأمور على بعض الناس حتى اشتبهت الأمور، وبقتل عثمان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، حصل بسبب ذلك فتنة عظيمة، فبايع الناس علياً رضي الله عنه بالخلافة، وقام معاوية رضي الله عنه وجماعة يطالبون بدم عثمان، وبايعه كثير من الناس على ذلك، وعظمت الفتنة واشتدت البلية، وانقسم المسلمون قسمين بسبب هذه الفتنة:

طائفة انحازوا إلى معاوية رضي الله عنه وأهل الشام، يطالبون علياً رضي الله عنه بتسليم القتلة.

وطائفة أخرى، هم: علي رضي الله عنه وأصحابه، طلبوا من معاوية وأصحابه الهدوء والصبر، وبعد تمام الأمر واستقرار الخلافة ينظر في أمر القتلة.

واشتد الأمر وجرى ما جرى من حرب الجمل وصفين، وظن بعض الناس في ذلك الوقت، أن الأولى عدم الدخول في هذه الفتنة، واعتزل بعض الصحابة ذلك، فلم يكونوا مع علي ولا مع معاوية.

والفتنة اليوم كذلك، حصل فيها اشتباه؛ لأن وقوع الفتن يسبب اشتباهاً كثيراً على الناس، وليس كل إنسان عنده العلم الكافي بما ينبغي أن يفعل، قد يقع له شبه تحول بينه وبين فهم الصواب.

وهذه الفتنة التي وقعت الآن ليست مما يعتزل فيها؛ لأن الحق فيها واضح، والقاعدة: أن الفتنة التي ينبغي

عدم الدخول فيها هي (المشتبهة)، التي لا يتضح فيها الحق من الباطل، والتي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به))[1]. رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دُخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم))[2]. رواه ابن ماجة وأبو داود.

فهذه الفتنة التي تشتبه ولا يتضح للمؤمن فيها الحق من الباطل، هي التي يشرع البعد عنها، وعدم الدخول فيها.

---

(١) رواه البخاري في (الفتن)، باب (تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم) برقم ٧٠٨١، ومسلم في (الفتن وأشراط الساعة)، باب (نزول الفتن كمواقع القطر) برقم ٢٨٨٦.

(٢) رواه أبو داود في (الفتن والملاحم)، باب (في النهي عن السعي في الفتنة) برقم ٤٢٥٩، وابن ماجة في (الفتن)، باب (التثبت في الفتنة) برقم ٣٩٦١.

أما ما ظهر فيه الحق، وعرف فيه المحق من المبطل والظالم من المظلوم، فالواجب أن ينصر المظلوم ويردع الظالم، ويردع الباغي عن بغيه وينصر المبغي عليه، ويجاهد الكافر المعتدي وينصر المظلوم المعتدى عليه، وفي هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، ثم شرحها للناس، فقال سبحانه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

فهذا وعده سبحانه لمن جاهد في سبيله ونصر الحق في هذه الآيات الكريمات، وفي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] وصفها بهذا الوصف العظيم: أنها تجارة، وأنها تنجي من عذاب أليم، ثم فسرها بقوله سبحانه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾،

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٢) سورة الصف، الآية ١٠.

(٣) سورة الصف، الآيات ١١ ١٣.

(٤) سورة الصف، الآية ١٠.

ومعلوم أن الجهاد من الإيمان، ولكن خصه بالذكر؛ لعظم شأنه، ومسيس الحاجة إلى بيان فضله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. بدأ بالأموال لعظم شأنها، وعموم نفعها في شراء السلاح، وتجهيز المجاهدين وإطعامهم، ولذلك بدأ بالمال قبل النفس في أكثر الآيات؛ لأن نفعه أوسع، ثم قال سبحانه وبحمده: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ثم فسر بعد ذلك الخير المذكور بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، كل هذا من ثواب الجهاد، ثم قال جل وعلا: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. وقال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[4]،

---

(١) سورة الصف، الآية ١٢.

(٢) سورة الصف، الآية ١٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٤) سورة الحجرات، الآية ٩.

يعني: حتى ترجع للحق: ﴿فَإِن فَاءتْ﴾[١]، أي: رجعت للحق: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

هذا بالنسبة للمؤمنين، كما جرى يوم الجمل وصفين في القتال بين المؤمنين، فقد أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الطائفة الباغية حتى ترجع إلى الحق، وبعد الرجوع إلى الحق ينظر في المسائل المشكلة، وتحل بالصلح والعدل الذي شرعه الله في قوله تعالى: ﴿فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾[٣]، أي: بالطرق الحكيمة الشرعية التي جعلها الله وسيلة لحل النزاع. ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ يعني: اعدلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ هذا في المؤمنين، تقاتل الفئة الباغية، وهي مؤمنة حتى ترجع، فكيف إذا كانت الطائفة الباغية ظالمة كافرة، كما هو الحال في حاكم العراق؟! فهو بعثي ملحد، ليس من المؤمنين، وليس ممن يدعو للإيمان والحق، بل يدعو إلى مبادئ الكفر والضلال، وبدأ يتمسح بالإسلام لما جرى ما جرى، فأراد أن يلبّس على الناس، ويدعو إلى الجهاد كذباً وزوراً ونفاقاً.

ولو كان صادقاً لترك الظلم، وترك البلاد لأهلها، وأعلن توبته إلى الله من مبادئه الإلحادية، وطريقته التي يمقتها الإسلام،

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٩.

ومصدر التشريع فيه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وحينئذ تحل المشكلات بالطرق السلمية بعد ذلك.

أما أن يدعو إلى الجهاد وهو مقيم على الظلم والعدوان والتهديد لجيرانه، فكيف يكون هذا الجهاد الظالم، وهذا الجهاد الكاذب، والنفاق الذي يريد به التلبيس؟

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً)) قالوا: يا رسول الله: نصرته مظلوماً، فكيف انصره ظالمًا؟ قال: ((أن تحجزه عن الظلم، فذلك نصرك إياه))[(١)].

وذكر البراء رضي الله عنه نصر المظلوم في الحديث الصحيح المتفق عليه، وهو قوله رضي الله عنه: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع "[(٢)]، وذكر منها: " نصر المظلوم ".

فنصر المظلوم واجب متعين على كل من استطاع ذلك، فإذا كان الظلم عظيماً، كان الواجب أشد. وإذا كان الظلم لفئات

---

(١) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه)، برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

(٢) رواه البخاري في (الأشربة)، باب (آنية الفضة) برقم ٥٦٣٥، ومسلم في (اللباس والزينة)، باب (تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال) برقم ٢٠٦٦.

كثيرة وأمة عظيمة، ويخشى من ورائه ظلم آخر وشر آخر، صار الواجب أشد وأعظم في نصر المظلوم وفي جهاد الظالم؛ حتى لا تنتشر الفتنة التي قام بها، وحتى لا يعظم الضرر به باجتياحه بلاد أخرى، ولو فعل ذلك لكان الأمر أشد وأخطر، ولكانت الفتنة به أعظم وأسوأ عاقبة، ولربما جرت أمور أخرى لا يعلم خطرها إلا الله.

ولعظم الأمر وخطورته، اضطرت المملكة العربية السعودية إلى الاستنصار بالجنسيات المتعددة من الدول الإسلامية وغيرها؛ لعظم الخطر، ووجوب الدفاع عن البلاد وأهلها، واتقاء شر هذا الظالم المجرم الملحد، وقد وفقها الله في ذلك والحمد لله على ما حصل. ونسأل الله أن يجعل العاقبة حميدة، وأن يخذل الظالم، ويسلط عليه من يكف ضرره، وأن يدير عليه دائرة السوء، وأن يهزم جمعه ويشتت شمله، ويقينا شره وشر أمثاله، وأن ينفع بهذه الجهود، وأن يدير دائرة السوء على المعاندين والظالمين، وأن يكتب النصر لأوليائه المؤمنين. وأن يرد هذه الجنود التي تجمعت لردع هذا الظالم إلى بلادها ويقينا شرها؛ فهي جاءت لأمر واحد، وهو الدفاع عن هذه البلاد، وإخراج هذا الجيش الظالم من الكويت، لما في التساهل في هذا الأمر وعدم المبادرة من الخطر العظيم؛ لأن الظالم لديه جيش كثير مدرب، حارب به ثماني سنين لجارته

إيران، وتجمع لديه جيش كثيف، ولديه نية سيئة وخبث عظيم، وقد يسر الله برحمته اجتماع جيوش عظيمة، لحربه ورده عن ظلمه، ولتنصر المظلوم، وتعيد الحق إلى أصحابه. وأسأل الله جل وعلا أن ينفع بالأسباب، ويحسن العاقبة للمظلومين، ويجعلها للجميع عظة وذكرى.

والله جل وعلا يقول: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[1]، فالحكومة السعودية مضطرة، ودول الخليج كذلك إلى الاستعانة بالقوات الإسلامية والأجنبية؛ لردع الظالم، والقضاء عليه، وإخراجه بالقوة من هذه البلاد التي احتلها لما أبى وعاند، و لم ينقد لدعاء الحق، وخروجه سلماً من البلاد التي احتلها، وانسحابه عن الحدود السعودية، ثم تكون المفاوضة بعد ذلك في مطالبه من جيرانه، فلما أبى واستكبر وعاند وركب رأسه، و لم يراع حق الجوار، ولا حق الإسلام، ولا حق الإحسان، وجب أن يقاتل وأن يجاهد، ووجب على الدولة أن تفعل ما تستطيع من الأسباب التي تعينها على قتاله وجهاده. ونسأل الله أن ينفع بهذه الأسباب، وأن ينصر الحق وحزبه، ويخذل الباطل وأهله، وأن يرد المظلومين إلى بلادهم موفقين ومهديين، وأن يخذل الظالم، وأن يدير عليه دائرة السوء، وأن

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٩.

يهزم جمعه ويشتت شمله، وأن يقينا شر هذه الفتنة، وأن يجعلها موعظة للمؤمنين جميعاً. ونسأل الله أن يجعلها سبباً للرجوع إلى الله والاستقامة على دينه، وإعداد العدة الكافية لجهاد أعدائه.

فالمسلمون يستفيدون من الفتن والمحن الفوائد المطلوبة:

ومن ذلك أن يحاسب كل واحد منا نفسه، وأن يجاهدها لله حتى تستقيم على الحق، وحتى يدع ما حرم الله عليه، فإن الطاعات من الجيش المجاهد من أسباب النصر، والمعاصي من أسباب الخذلان.

فعلى المجاهدين، وعلى المظلومين أن يصبروا ويصابروا، وأن يتقوا الله، وأن يستقيموا على دينه، وأن يحافظوا على حقه، وأن يتواصوا بالحق والصبر عليه. وبذلك يوفقون، ويجعل لهم النصر المؤزر، قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

فمتى صبر المسلمون واتقوا ربهم فإنهم لا يضرهم كيد الأعداء، وإن جرت عليهم المحن، وإن قتل بعضهم، وإن جرح بعضهم، وإن أصابتهم شدة، فلابد أن تكون لهم العاقبة

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

الحميدة بوعد الله الصادق، وفضله العظيم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3]، وقال سبحانه وبحمده: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[4]. فيجب علينا جميعاً رجالاً ونساءً في هذه البلاد وغيرها، وعلى جميع المسلمين في كل مكان، أن يستقيموا على دينه، وأن يحافظوا على أوامره، وينتهوا عن نواهيه، وأن يصدقوا في جهاد الأعداء، ومنها جهاد هذا العدو الظالم حاكم العراق وجنده الظالم، وأن يكونوا يداً واحدةً ضد هذا العدو الغاشم الكافر، وحزبه الملحد.

ومن أسباب النصر: تطبيق شريعة الله وتحكيمها في كل شيء، فالواجب على الدول الإسلامية والمنتسبة إلى الإسلام أن تحاسب أنفسها، وأن تجاهد في الله جهاد الصادقين، وأن تحكم شريعة الله في جميع شئونها؛ فهي سفينة النجاة، كما أن سفينة نوح جعلها الله سفينة النجاة لأهل الأرض كلهم من الغرق، كذلك شريعة الله التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي الشريعة

(١) سورة هود، الآية ٤٩.
(٢) سورة طه، الآية ١٣٢.
(٣) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.
(٤) سورة الطلاق، الآية ٤.

الإسلامية؛ هي سفينة النجاة لأهل الأرض كلهم أيضا، من استقام عليها وحافظ عليها، كتبت له النجاة في الدنيا والآخرة، وإن أصابه بعض ما قدره الله عليه مما يكره من شدة أو حرب أو غير ذلك، فإن له النجاة، والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

فالمؤمنون من قوم نوح عليه السلام عندما أصابتهم الشدة أمرهم الله سبحانه بركوب السفينة، ونجاهم الله بسبب إيمانهم، واتباعهم لنوح عليه السلام.

فهكذا المؤمنون في كل زمان، لابد لهم من صبر على الشدائد، واستقامة على الحق حتى يأتيهم الفرج من الله سبحانه كما قال تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ* نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1]. وقال سبحانه في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

فالواجب على جميع المسلمين في الجزيرة العربية وفي

---

(١) سورة فصلت، الآيات ٣٠ ٣٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآيتان ١٣، ١٤.

غيرها تقوى الله سبحانه وتعالى رجالاً ونساءً، حكاماً ومحكومين وأن يستقيموا على دينه، وأن يحاسبوا أنفسهم من أين أصيبوا، فما أصابنا شيء مما نكره إلا بسبب معصية اقترفناها، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وهذا الذي وقع بسبب تقصيرنا وسيئاتنا، فيجب علينا أن نرجع إلى الله، وأن نحاسب أنفسنا وأن نجاهد لله، وأن نستقيم على أداء حقه، وأن نحذر معصيته، وأن نتواصى بالحق وبالصبر عليه؛ حتى ينصرنا الله، ويكفينا شر أنفسنا، وشر أعدائنا، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3].

وقال سبحانه وبحمده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]، وقال عز من قائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
(٣) سورة المائدة، الآية ٢.
(٤) سورة محمد، الآية ٧.

عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[2]، فهؤلاء هم الرابحون في كل مكان، وفي كل عصر، بإيمانهم العظيم وعملهم الصالح، وتواصيهم بالحق، والصبر عليه.

وهذه الفتنة، هذا هو علاجها كما هو علاج كل فتنة بالصبر على الحق والجهاد، والثبات عليه بشتى الوسائل الممكنة، بالسلاح الممكن، والنصيحة الممكنة، وبكل طريقة أباحها الله، وشرعها لحل المشكلات، وردع الظالم وإحقاق الحق.

وإذا خاف المظلوم من أن يُغلب، واستعان بمن يأمنهم في هذا الأمر، وعرف منهم النصرة، فلا مانع من الاستنصار ببعض الأعداء الذين هم في صفنا ضد عدونا، ولقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الخلق بالمطعم بن عدي لما مات أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان كافراً، وحماه من قومه؛ لِمَا كان له من شهرة وقوة وشعبية، فلما توفي أبو طالب وخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعوهم إلى الله، لم يستطع الرجوع إلى مكة؛ خوفاً من أهل مكة، إلا بجوار المطعم بن عدي، وهو من رؤوس الكفار، واستنصر به في

(١)سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٢) سورة العصر، كاملة.

تبليغ دعوة الله، واستجار به فأجاره ودخل في جواره. وهكـــذا عنـــدما احتاج إلى دليل على طريق المدينة استأجر شخصاً من الوثنيين ليدلـــه إلى المدينة لما أمنه على هذا الأمر.

ولما احتاج إلى اليهود بعد فتح خيبر، ولاهم نخيلها وزروعها بالنصف يزرعونها للمسلمين، والمسلمون مشغولون بالجهاد لمـــصلحة المـــسلمين، ومعلوم عداوة اليهود للمسلمين، فلما احتاج إليهم عليه الصلاة والـــسلام وأمنهم، ولاهم على نخيل خيبر وزروعها.

فالعدو إذا كان في مصلحتنا وضد عدونا، فلا حرج علينا أن نستعين به ضد عدونا، وفي مصلحتنا، حتى يخلصنا الله من عدونا، ثم يرجع عدونا إلى بلاده.

ومن عرف هذه الحقيقة، وعرف حال الظالم وغشمه، وما يخشى منه من خطر عظيم، وعرف الأدلة الشرعية، اتضح له الأمر.

ولهذا درس هيئة كبار العلماء هذا الحادث، وتأملوه من جميع الوجوه، وقرروا أنه لا حرج فيما فعلت الدولة من هذا الاستنصار؛ للضرورة إليه، وشدة الحاجة إلى إعانتهم للمسلمين، وللخطر العظيم الذي يهدد البلاد لو استمر هذا الظالم في غشمه واجتياحه للبلاد، وربما ساعده قوم آخـــرون، وتمالأوا معه على الباطل.

فالأمر في هذا جلل وعظيم، ولا يفطن إليه إلا من نور

الله بصيرته، وعرف الحقائق على ما هي عليه، وعرف غشم الظالم، وما عنده من القوة، التي نسأل الله أن يجعلها ضده، وأن يهلكه ويكبته، وأن يكفينا شره وشر كل الأعداء، وأن يولي على العراق رجلاً صالحاً يحكم فيه بشرع الله، وينفذ في شعبه أمر الله، كما نسأله سبحانه أن يقيهم شر هذا الحاكم الظالم العنيد، الذي عذبهم وآذاهم، وعذب المسلمين وأحدث هذه الفتنة، وجر المسلمين إلى خطر عظيم.

نسأل الله أن يعامله بعدله، وأن يقضي عليه، وأن يريح المسلمين من فتنته، وأن يجعل العاقبة الحميدة لعباده المسلمين، وأن يرد المظلومين إلى بلادهم، وأن يصلح حالهم، وأن يقيم فيهم أمر الله، وأن يقينا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وقد رأيت أن أبسط القول في هذه المسألة لإيضاح الحق، وبيان ما يجب أن يعتقد في هذا المقام، وبيان صحة موقف الدولة فيما فعلت؛ لأن أناساً كثيرين التبس عليهم الأمر في هذه الحالة، وشكوا في حكم الواقع وجوازه بسبب الضرورة والحاجة الشديدة؛ لأنهم لم يعرفوا الواقع كما ينبغي، ولعظم خطر هذا الظالم الملحد أعني حاكم العراق صدام حسين.

ولهذا اشتبه عليهم الأمر، وظنوا واعتقدوا صحة ما

فعله؛ لجهلهم، ولالتباس الأمر عليهم وظنهم أنه مسلم يدعو إلى الإسلام؛ بسبب نفاقه وكذبه.

وربما كان بعضهم مأجوراً من حاكم العراق، فتكلم بالباطل والحقد؛ لأنه شريك له في الظلم، وبعضهم جهل الأمر وجهل الحقيقة، وتكلم بما تكلم به أولئك الظالمون؛ جهلاً منه بالحقيقة، والتبست عليه الأمور.

هذا هو الواقع، وهو أن هذا الظالم اعتدى وظلم، وأصر على عدوانه ولم يفيء إلى ترك الظلم، والله سبحانه قد أمرنا أن نقاتل الفئة الظالمة ولو كانت مؤمنة، حتى تفيء إلى أمر الله، فكيف إذا كانت الفئة الباغية كافرة ملحدة؟ فهي أولى بالقتال، وكفها عن الظلم، ونصر الفئة المظلومة المبغي عليها بما يستطيعه المسلمون من أسباب النصر والردع للظالم. وقد حاول معه الناس ستة أشهر، وطلبوا منه أن يراجع نفسه ويخرج من الكويت ويرجع عن ظلمه وبغيه فأبى فلم يبق إلا الحرب، ودعت الضرورة إلى الاستعانة بمن هو أقوى من المبغي عليه، على حرب هذا العدو الغاشم حتى تجتمع القوى في حربه وإخراجه.

نسأل الله أن يقضي عليه، ويرد كيده في نحره، وأن يدير عليه دائرة السوء، وأن يكفي المسلمين شره وشر غيره، وأن ينصرهم على أعدائهم، ويصلح حالهم، وأن يمنحهم الاستقامة

على دينه إنه سميع قريب.

ومن الواجب على الجميع الاتعاظ بهذه الفتنة، والاستفادة منها في إصلاح أحوالنا، والاستقامة على طاعة الله ورسوله، وأن نحاسب أنفسنا حتى نستقيم على الحق، وندع ما سواه، فالله سبحانه يجعل البلايا عظة وعبرة لمن يشاء كما قال جل وعلا: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

كما نسأل الله سبحانه أن يجعل في هذه الحرب خيراً لنا، وأن يجعل عاقبتها حميدة.

ويجب أن لا ننسى ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يوم الأحزاب وهم خير الناس، فقد تجمعت عليهم الأحزاب الكافرة، وجاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم بقوة قوامها عشرة آلاف مقاتل، وحاصروا المدينة، وقال أهل النفاق: (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً)، هكذا ذكر الله عنهم سبحانه في سورة الأحزاب في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ

---

(١) سورة النساء، الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1]، حتى نصر الله نبيه، وأرسل الرياح التي أكفأت قدورهم، وقلعت خيامهم، وشردهم كل مشرد، فرجعوا خائبين والحمد لله، بعد الشدة العظيمة التي وقعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم .

وهكذا يوم أحد، حين تجمع الكفار، وأغاروا على المدينة، وحاصروها، وجرى ما جرى من جروح وقتل لمن قتل من الصحابة، حتى أنزل الله نصره وتأييده، وسلم الله المسلمين وأدار على أعدائه دائرة السوء، ورجعوا إلى مكة صاغرين، وأنجى الله نبيه بعدما قُتل سبعون من الصحابة، وجُرح النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة كثيرة من أصحابه، واجتهد المشركون في قتله، فوقاه الله شرهم.

ولما استنكر المسلمون هذا الحدث، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني :يوم بدر ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [2]؛

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم هو والمسلمون أصابهم ما أصابهم يوم أحد؛ بسبب أمر فعله الرماة الذين أمرهم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

النبي صلى الله عليه وسلم أن يمسكوا ثغراً وهو جبل الرماة ولا يتركوه حتى لا يدخل منه جيش العدو، فلما رأى الرماة العدو قد انكشف وانهزم، ظنوا أنها الفيصلة، فتركوا الثغر وصاروا يجمعون الغنيمة، وتركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل العدو من ذلك الثغر، وحصل ما حصل من الهزيمة والمصيبة العظيمة على المسلمين، فأنزل الله قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه﴾ يعني: تقتلونهم ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، أي: من الهزيمة للعدو، يعني بذلك الرماة، فشلوا وتنازعوا وتركوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصبروا، عندما وقع منهم هذا سلط الله عليهم العدو، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصيبهم مثل هذه الهزيمة والقتل والجراح بسبب ما وقع من بعضهم من الذنوب، فكيف بحالنا؟

فالواجب على أهل الإسلام أينما كانوا أن يحاسبوا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

أنفسهم، وأن يجاهدوها في الله، ويتفقدوا عيوبهم، ويتوبوا إلى الله منها، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[١].

والمعنى: انظروا ما قدمتم للآخرة، فإن كنتم قدمتم أعمالاً خيرة، فاحمدوا الله عليها، واسألوه الثبات. وإن كنتم قدمتم أعمالاً سيئة، فتوبوا إلى الله منها، وارجعوا إلى الحق والصواب.

فالواجب على أهل الإيمان أينما كانوا أن يتقوا الله دائماً، ويحاسبوا أنفسهم دائماً، ولاسيما وقت الشدائد وعند المحن، كحالنا اليوم، يجب الرجوع إلى الله، والتوبة إليه وحساب النفس وجهادها لله، وما سُلِّطَ علينا هذا العدو إلا بذنوبنا، فلابد من جهاد النفس، ولابد من الضراعة إلى الله، وسؤال الله سبحانه وتعالى أن ينصرنا على عدونا، وأن يذل عدونا، وأن يكفينا شره وشر أنفسنا وشر الشيطان.

لابد من الضراعة إلى الله، وسؤاله التأييد، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[٢]، فلابد من الضراعة إلى الله، وسؤاله جل وعلا النصر.

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٣.

والنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلة الواقعة، قام يناجي ربه، ويدعوه ويبكي، ويسأل ربه النصر، حتى جاءه الصديق رضي الله عنه بعدما سقط عنه رداؤه وقال: (حسبك يا رسول الله، إن الله ناصرك، إن الله مؤيدك) فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الناس، وسيد ولد آدم يتضرع إلى الله، فكيف بحالنا ونحن في أشد الضرورة إلى التوبة إلى الله، وإلى البكاء من خشيته، وإلى طلب النصر منه سبحانه وتعالى في ليلنا ونهارنا؟!

فالغفلة شرها عظيم، والمعاصي خطرها كبير، فالواجب الإقلاع عنها والتوبة إلى الله سبحانه فالذي عنده تساهل في الصلاة يجب أن يحافظ عليها ويبادر إليها، ويصلي في الجماعة، والذي يتعامل بالربا يجب أن يترك ذلك، وأن يتوب إلى الله منه، والذي عنده عقوق لوالديه يتقي الله ويبر والديه، والقاطع لأرحامه يتقي الله ويصل أرحامه والذي يشرب المسكر يتقي الله ويقلع عن ذلك، ويتوب إلى الله، والذي يغتاب الناس يحذر ذلك، ويحفظ لسانه ويتقي الله.

وهكذا يحاسب كل إنسان نفسه في كل عيوبه، ويتقي الله. وهكذا الموظف المقصر في وظيفته وفي أمانته يتقي الله، ويؤدي حق الله وحق عباده، وهكذا الرؤساء كل واحد منهم سواء كان ملكاً أو رئيس جمهورية أو وزيراً كل واحد منهم

عليه أن يحاسب نفسه لله، ويجاهدها لله، ويتوب إلى الله سبحانه من سيئ عمله، وهكذا كل موظف، وكل جندي، عليه أن يجاهد نفسه، ويطيع الله ورسوله، ويطيع رئيسه في المعروف، ويتوب إلى الله من سيئات عمله وتقصيره.

وهذا كله من أسباب النصر والعاقبة الحميدة، فلابد من الصدق مع الله وجهاد النفس، والتوبة الصادقة من سائر الذنوب من الرؤساء والمرؤوسين.

ولابد من الدعاء والضراعة إلى الله، وطلبه النصر والتأييد، والعون على العدو، وسؤال الله أن يخذل العدو ويرد كيده في نحره، ولابد مع ذلك من الأسباب الحسية: من قوة وجيش وسلاح، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]. فيجب على أهل الإيمان أن يعدوا العدة المناسبة لجهاد الأعداء بكل ما يستطيعون، والله سبحانه يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، فعلى المسلمين أن يعدوا ما استطاعوا من القوة؛ من السلاح والرجال والتدريب، فإذا فعلوا ذلك كفاهم الله شر عدوهم، وجاءهم النصر من عند الله، يقول الله سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧١.

﴿الصَّابِرِينَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، ويقول سبحانه وبحمده: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[3].

كما يجب على المسلم أن يلح في الدعاء، ويسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[6].

فعلينا أن نلح في الدعاء، ولا نستبطئ الإجابة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: يقول صلى الله عليه وسلم: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت ودعوت فلم أره يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء))[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٦) سورة النساء، الآية ٣٢.

(٧) رواه البخاري في (الدعوات)، باب (يستجاب للعبد ما لم يعجل) برقم ٦٣٤٠، ومسلم في (الذكر والدعاء)، باب (أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل) برقم ٢٧٣٥.

فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء، وإن تأخرت الإجابة، فالله حكيم عليم، في تأخير الإجابة، يؤخرها سبحانه لحكم بالغة؛ حتى يتفطن الإنسان إلى أسباب التأخير، ويحاسب نفسه، ويجتهد في أسباب القبول؛ من التوبة النصوح، والعناية بالمكسب الحلال، وإقبال القلب على الله، وجمعه عليه سبحانه حين الدعاء، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والنتائج المفيدة.

فلو أن كل إنسان يعطى الإجابة في الحال، لفاتت هذه المصالح العظيمة، ومما يوضح ما ذكرت أن نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يجمع بينه وبين ولده يوسف، فتأخرت الإجابة مدة طويلة، ومكث يوسف في السجن بضع سنين، والداعي نبي كريم، هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام.

فعلم بذلك أن الله سبحانه له حكم عظيمة في تأخير الإجابة وتعجيلها، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة،إما أن يصرف عنه من الشر مثلها))، فقال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله: إذن نكثر، قال: ((الله أكثر))[1]. رواه الإمام أحمد في مسنده.

---

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم ١٠٧٤٩.

والمقصود أن المشروع للمسلم عندما تتأخر الإجابة أن يتأمل، ما هي الأسباب، لماذا تأخرت الإجابة؟ لماذا سُلط علينا العدو؟ لماذا هذا البلاء؟

يتأمل ويحاسب نفسه ويجاهدها حتى تحصل له البصيرة بعيوب نفسه، وحتى يعالجها بالعلاج الشرعي. والدولة تعالج نقصها، والشخص يعالج نقصه ويداويه، كل داء له دواء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ودواء الذنوب التوبة إلى الله سبحانه، والاستقامة على طاعته هذا هو دواء الذنوب.

فالواجب على كل إنسان أن يعالج ذنبه ومعصيته بالتوبة النصوح ويحاسب نفسه، ويعلم أن ربه سبحانه ليس بظلام للعبيد. فالله سبحانه لم يظلمك بل أنت الظالم لنفسك، تأمل وحاسب نفسك، وجاهدها، وهذا الحاكم الظالم أعني حاكم العراق صدام حسين يرمي السعودية بالصواريخ، فماذا فعلت معه السعودية؟ لقد ساعدته مساعدة عظيمة على عدوه، ساعدته بالمساعدات التي ذكرها صدام في كتابه لخادم الحرمين الشريفين، وذكر أشياء كثيرة من المساعدات وأخفى الكثير.

والمطلوب منه الآن الخروج من الكويت وسحب جيشه منها، وبعد ذلك يحصل التفاوض في بقية المشاكل، فهل هذا

هو جزاء الإحسان للكويت؛ بأن يخرجهم من ديارهم وقد أحسنوا إليه كثيراً؟ وهل جزاء ما عملت السعودية أن يضربها بالصواريخ ويحشد جيوشه على حدودها؟ هذا هو جزاء المحسن عند صدام حسين، والله يقول سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1]، لقد أحسنت إليه السعودية عند الملمات، وواسته عند الشدائد، والكويت كذلك، ودول الخليج كذلك، كلهم ساعدوه ومدوه بما يستطيعون، ثم كانت هذه هي العاقبة من اللئيم الغشوم، لقد طلبوا منه أن يخرج من الكويت، وأن يسحب جيوشه منها، ثم يكون بعد ذلك التفاوض والنظر في المشاكل التي بينه وبين الكويت، وحلها بالوسائل السلمية.

لكنه من خبثه وظلمه يحث أنصاره وأذنابه على أن يؤذوا الناس في البلدان الأخرى، ثم من تدليسه ونفاقه وخبثه يضرب اليهود الآن؛ حتى يفرق الجمع الموجود، وحتى يرفع عنه الحصار الآن الذي وقع.

لماذا ترك اليهود قبل الكويت ويضربها الآن؟ كان ينبغي له أن يضرب اليهود، لأنهم هم العدو، بدل أن يضرب جيرانه ومن أحسن إليه.

لكن خبثه وظلمه وغشمه ونفاقه ومكره، حمله على أن

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٦٠.

يضرب اليهود الآن، حتى يفرق هؤلاء المجتمعين لحربه، وحتى يخرج من هذا الحصار المحيط به، ولكنها لم ترد عليه، حتى يظل هذا الحصار، وحتى يقضي الله فيه أمره سبحانه وتعالى وحتى يخيب الله آماله، ويرد كيده في نحره، بحوله وقوته سبحانه .

نسأل الله أن يرد كيده في نحره، وأن يستجيب دعوات المسلمين ضده، فهو ظالم ملبس مخادع منافق، يجمع كل شر وكل حيلة، وكل بلاء للخداع والظلم والعدوان.

ولكن نسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يقضي عليه، وأن يدير عليه دائرة السوء، وأن يخذل الله أنصاره وأعوانه، وأن يرد من هو حائر في أمره على البصيرة والهدى، وأن يقضي على أنصاره الظالمين المعتدين، وأن يهلكهم معه، ويسلط عليهم جنداً من عنده، إنه جواد كريم.

كما نسأله سبحانه أن ينصر المسلمين عليه وحزبه، وأن ينصر من نصر المسلمين عليه وعلى أعوانه حتى يقضي الله على هذا الظالم، وحتى يخرجه من الكويت صاغراً ذليلاً.

كما نسأله سبحانه أن يولي على العراق رجلاً صالحاً يخاف الله ويراقبه، ويحكم في العراقيين شريعة الله، ويبسط فيهم العدل والإحسان.

وعلينا أيها الأخوة، وعلى كل مسلم في كل مكان، أن

نتقي الله سبحانه وأن نستقيم على دينه، وأن نجاهد أنفسنا في ذلك، مع سؤاله سبحانه النصر المعجل لأوليائه وأهل طاعته المظلومين، وأن يكبت هذا المعتدي، وأن يسلط عليه جنداً من عنده، وأن يقضي عليه، وأن يولي على العراق من يخاف الله فيهم، ويحسن إليهم ويحكم فيهم بشرع الله، إنه جل وعلا جواد كريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله وسلم على نبينا محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

٤٧ - أسئلة وأجوبة بعد المحاضرة

س: يقول بعض الناس الذين يشككون في فتوى هيئة كبار العلماء، بشأن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن بلاد المسلمين، وقتال حاكم العراق بعدم وجود الأدلة القوية التي تدعمها.. فما تعليق سماحتكم على ذلك؟[١]

ج: قد بينا ذلك فيما سبق، وفي مقالات عديدة، وبينا أن الرب جل وعلا أوضح في كتابه العظيم: أنه سبحانه أباح لعباده المؤمنين إذا اضطروا إلى ما حرم عليهم أن يفعلوه، كما

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٤١١/٧/١٦هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١١٦.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[1]، ولما حرم الميتة والدم والخنزير والمنخنقة والموقوذة، وغيرها قال في آخر الآية: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

والمقصود: أن الدولة في هذه الحادثة قد اضطرت إلى أن تستعين ببعض الدول الكافرة على هذا الظالم الغاشم؛ لأن خطره كبير، ولأن له أعواناً آخرين، لو انتصروا لظهروا وعظم شرهم؛ فلهذا رأت الحكومة السعودية وبقية دول الخليج أنه لابد من دولة قوية تقابل هذا العدو الملحد الظالم، وتعين على صده وكف شره وإزالة ظلمه.

وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية لما تأملوا هذا ونظروا فيه، وعرفوا الحال، بينوا أن هذا أمر سائغ، وأن الواجب استعمال ما يدفع الضرر، ولا يجوز التأخر في ذلك، بل يجب فوراً استعمال ما يدفع الضرر عن المسلمين، ولو بالاستعانة بطائفة من المشركين فيما يتعلق بصد العدوان وإزالة الظلم، وهم جاؤوا لذلك وما جاءوا ليستحلوا البلاد ولا ليأخذوها، بل جاؤوا لصد العدوان وإزالة الظلم ثم يرجعون إلى بلادهم، وهم الآن يتحرون المواضع التي يستعين بها العدو، ولا يتعمدون قتل الأبرياء، ولا قتل

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

المدنيين، وإنما يريدون قتل الظالمين المعتدين وإفساد مخططهم، والقضاء على أسباب إمدادهم وقوتهم في الحرب.

ولكن بعض المرجفين المغرضين يكذب على الناس، ويقول: إنهم حاصروا الحرمين، وأنهم فعلوا، وأنهم تركوا... كل هذا من ترويج الباطل، والتشويش على الناس؛ لحقد في قلوب بعض الناس، أو لجهل من بعضهم وعدم بصيرة، أو لأنه مستأجر من حاكم العراق ليشوش على الناس.

والناس أقسام: منهم من جهل الحقائق والتبست عليه الأمور، ومنهم من هو جاهل لا يعرف الأحكام الشرعية، ومنهم من هو مستأجر من الطغاة الظلمة ليشوش على الناس، ويلبس عليهم الحق، والله المستعان.

س: تقوم بعض الجهات المختصة، بتوجيه الناس لفعل بعض الأمور لتلافي أخطار الغازات السامة، والغارات الجوية الضارة، فهل على المسلم من حرج في اتباع تلك التعليمات؟[1]

ج: المسلم مأمور بأخذ الحذر، واتباع التعليمات التي تقي الشر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج ٦ ص١١٧.

﴿حِذْرَكُمْ﴾[1]، فالمؤمن إذا أخذ بالأسباب النافعة والواقية بإذن الله من الشر، لا بأس عليه، كأن يستعمل الكمامات التي تمنع وصول الغازات السامة إليه، وغيرها من أسباب الوقاية عند الحاجة إلى ذلك، وكحمل السلاح إذا صال عليه صائل ليصد هذا الصائل، وكما يقتل الحية والعقرب في الصلاة وغيرها لدفع شرهما.

فالإنسان مأمور بالأسباب النافعة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]، وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [3]، وكما في آية صلاة الخوف من الأمر بالتهيؤ بالسلاح؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾[4] الآية.

س: معلوم أن هناك جيوشاً غير إسلامية تقاتل حاكم العراق معنا، فهل قتالنا معهم تحت راية واحدة يعتبر جهاداً؟ ومن قُتل منا هل يعتبر شهيداً؟[5]

---

(١) سورة النساء، الآية ٧١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٧١.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٢.

(٥) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١١٧.

ج: المجاهد في هذا السبيل إن أصلح الله نيته وهو يجاهد لدفع الظلم ونفع المسلمين، فهو مجاهد في سبيل الله، وهو شهيد إن قتل.

وهذه الجيوش ليست تحت راية الكفرة، بل كل جيش تحت قيادة قائده؛ فالجيوش السعودية تحت قائدها خالد بن سلطان، وتحت القائد الأعلى خادم الحرمين الشريفين، والجيوش المصرية تحت قائدها المصري، والجيوش السورية تحت قائدها السوري، والجيوش الإنجليزية تحت قائدها الإنجليزي، وهكذا، ولكن بينهم اتفاق على التنظيم، لابد منه، والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]، فلابد من التنظيم والتعاون بين الجميع؛ حتى لا يحدث الفشل، وحتى لا يطمع العدو.

والنبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل وسأله قائلاً: إذا جاءني رجل يريد مالي؟ قال: ((لا تعطه مالك))، قال: فإن قاتلني؟ قال: ((قاتله)). قال: فإن قتلني؟ قال: ((فأنت شهيد)) قال: فإن قتلته؟ قال: ((هو في النار)) [2]. أخرجه مسلم في صحيحه.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه) برقم ١٤٠.

فإذا كان هذا في إنسان يدافع عن ماله، فكيف فيمن يدافع عن دينه وعن إخوانه المسلمين وعن حرماته؟! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد))[1].

وأنت أيها المسلم المجاهد في هذه الحرب، إن أصلح الله نيتك، تقاتل عن دين الإسلام وعن نفوس المسلمين وأموالهم وبلادهم، وعن عامة المسلمين وحرماتهم، وتصد عنهم عدواً ملحداً، أكفر من اليهود والنصارى، وتجاهد لإزالة ظلمه ودفع شره، فالأمر عظيم، والجهاد من أهم الواجبات في هذا السبيل.

والمقاتل مع صدام متوعد بالنار؛ لأنه أعانه على الظلم والعدوان، ويخشى أن يكون كافراً إذا وافقه على بعثيته وإلحاده، أو استحل قتل المسلمين، فالمقصود أنه شريك له في الظلم والعدوان، وفي كفره تفصيل، وهو متوعد بالنار حتى لو كان من المسلمين؛ لقتاله مع الظالمين لإخوانه المسلمين، وإخوانه المظلومين.

(١) رواه الترمذي في (الديات)، باب (ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد) برقم ١٤٢١.

أما المقاتل المسلم الذي هو ضد الظالم فهو على خير عظيم، إن قتل فهو شهيد، وإن أسر أو جرح فهو مأجور. وبكل حال فله أجر المجاهدين سلم أو قتل إذا أصلح الله نيته.

س: يشكك كثير من الناس، في أن القتال ضد صدام من الجهاد في سبيل الله، بل هو من أجل المصالح المادية؛ من نفط وأرض، ولو أن المسلمين قاموا بقتال اليهود لما وقفت معهم دول التحالف.

فاليهود قد ظلموا واعتدوا على أرض المسلمين كما فعل حاكم العراق أهلكه الله ومع هذا لم يسترد الحق إلى أهله منذ أربعين سنة وحتى الآن... نرجو من سماحتكم توضيح هذا الأمر.[1]

ج: اليهود لهم حالة أخرى: اعتدوا على أرض فلسطين، والواجب على المسلمين جهادهم حتى يخرجوهم من بلاد المسلمين، وحتى ينتصر إخواننا الفلسطينيون عليهم، ويقيموا دولتهم الإسلامية على أرضهم، وهذا لاشك في

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٤١١/٧/١٦هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١١٩.

وجوبه على الدول الإسلامية حسب الطاقة. ولكن لا يجوز إقحام هذا في هذا، فعدم قيام الدول الإسلامية بجهاد اليهود في الوقت الحاضر جهاداً مباشراً، لا يبيح لصدام قتال المسلمين في الجزيرة العربية ولا في الكويت ولا غيرها، ولا يبيح لأحد من المسلمين أن يعينه على ذلك، ولا يجوز للدول الإسلامية أن تمكنه من عدوانه وظلمه، بل يجب صده وكف عدوانه، وإزالة ظلمه عن المسلمين بكل ما يستطاع من القوة، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[2] الآية.

فإذا كانت الفئة الباغية المؤمنة يجب قتالها حتى تفيء إلى أمر الله وترجع عن ظلمها، فقتال الفئة الكافرة الباغية؛ مثل صدام وأتباعه البعثيين أولى بالقتال، حتى يفيئوا إلى الحق ويرجعوا عن الظلم.

وبما ذكرنا، يعلم أن اليهود لهم شأن آخر، وقتالهم واجب مستقل. وعدوان هذا الظالم على الكويت عدوان مستقل، يجب

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٩.

أن يُصد ويُقاتل، ويُتخلص منه.

ولا يجوز أن يكون تقصير المسلمين في الجهاد مع الفلسطينيين ضد اليهود، مسوغاً لخذلانهم في جهاد عدو الله صدام، الذي هو أكفر من اليهود والنصارى، وأضل منهم. وقد اعتدى على شعب آمن، ثم عزم على الاعتداء على بقية دول الخليج، ونواياه الخبيثة معلومة، وشره معلوم، وقتاله متعين. فإذا صدقت العزائم، وهدى الله الجميع وأعانهم سبحانه على قتال صدام وجنده، وصدوهم عن عدوانهم، واستنقذوا الكويت من أيديهم، ففي إمكانهم إن شاء الله أن يجاهدوا اليهود ويستنقذوا القدس من أيديهم، وذلك جهاد آخر وواجب آخر.

كما أنه يجب على المسلمين أن يجاهدوا غير اليهود من الكفرة إذا استطاعوا ذلك، حتى يدخلوا في دين الله أفواجاً، أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها كما قال الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2]. فالمسلمون عليهم أن

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩.

يقاتلوا الكفرة جميعاً، حتى يكون الدين كله لله، إلا من أدى الجزية من أهل الجزية، فإذا عجزوا عن ذلك، فإنهم لا يلامون إذا قاتلوا من تعدى عليهم دون غيرهم؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

فاليهود قد تعدوا على فلسطين، فعلى المسلمين أن يقاتلوا مع الفلسطينيين ضدهم، وتعدي صدام على الكويت وحشد الجيوش على السعودية بعدوان جديد من ظالم عنيد ملحد، أكفر من اليهود والنصارى والعياذ بالله فيجب صده وقتاله؛ لأن الشيوعيين والبعثيين أكفر من أهل الكتاب. كفى الله المسلمين شرهم جميعاً.

س: هل يتعين على جميع المسلمين الوقوف مع المملكة، ومقاتلة هذا الظالم الباغي؟ [2]

ج: هذا اعتقادنا، فكما يجب عليهم أن يقاتلوا اليهود حسب الطاقة، فكذلك يجب عليهم أن يقاتلوا صدام حسب الطاقة من باب أولى، وأن يكونوا مع الحق ضد الظالم في كل زمان ومكان. هذا واجبهم جميعاً حسب الطاقة والقدرة؛ لأن

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢١.

في ذلك نصراً للمظلوم وردعاً للظالم، والله جل وعلا أمر بذلك، وأذن فيه في قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[١] الآية، كما سبق. وفي قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ*إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. والرسول صلى الله عليه وسلم أمر بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، قيل: يا رسول الله: نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: ((تحجزه عن الظلم، فذلك نصرك إياه))[٣]، فإذا كان المسلم الظالم يجب أن يردع عن ظلمه، فالكافر الظالم أولى بذلك؛ لكفره وظلمه مثل حاكم العراق وأشباهه من الملاحدة الظلمة.

س: هل يجوز لعن حاكم العراق؛ لأن بعض الناس يقولون: إنه ما دام ينطق بالشهادتين نتوقف في لعنه؟ وهل يجزم بأنه كافر؟ وما رأي سماحتكم في رأي من يقول بأنه كافر؟ [٤]

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٢) سورة الشورى، الآيتان ٤١، ٤٢.

(٣) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح برقم ٢٢٥٥.

(٤) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢١.

ج: هو كافر، وإن قال: لا إله إلا الله، حتى ولو صلى وصام، مادام لم يتبرأ من مبادئ البعثية الإلحادية، ويعلن أنه تاب إلى الله منها وما تدعو إليه، ذلك أن البعثية كفر وضلال، فما لم يعلن هذا فهو كافر. كما أن عبد الله بن أُبي كافر، وهو يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: لا إله إلا الله، ويشهد أن محمداً رسول الله، وهو من أكفر الناس، وما نفعه ذلك؛ لكفره ونفاقه.

فالذين يقولون: لا إله إلا الله من أصحاب المعتقدات الكفرية؛ كالبعثيين والشيوعيين وغيرهم، ويصلون لمقاصد دنيوية، فهذا لا يخلصهم من كفرهم؛ لأنه نفاق منهم، ومعلوم عقاب المنافقين الشديد، كما جاء في كتاب الله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[1]، وصدام بدعواه الإسلام أو دعواه الجهاد، أو قوله أنا مؤمن، كل هذا لا يغني عنه شيئاً، ولا يخرجه من النفاق، ولكي يعتبر من يدعي الإسلام مؤمناً حقيقياً، فلابد من التصريح بالتوبة مما كان يعتقده سابقاً، ويؤكد هذا بالعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾[2]. فالتوبة الكلامية، والإصلاح الفعلي، لابد معه من بيان، وإلا فلا

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٠.

يكون المدعي صادقاً، فإذا كان صادقاً في التوبة، فليتبرأ من البعثية، وليخرج من الكويت ويرد المظالم على أهلها، ويعلن توبته من البعثية وأن مبادئها كفر وضلال، وأن على البعثيين أن يرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه، ويعتنقوا الإسلام، ويتمسكوا بمبادئه قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً، ويستقيموا على دين الله، ويؤمنوا بالله ورسوله، ويؤمنوا بالآخرة إن كانوا صادقين. أما البهرج والنفاق فلا يصلح عند الله ولا عند المؤمنين. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[(١)]، ويقول جل وعلا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ*يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ*فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

هذا حال صدام وأشباهه، ممن يعلن الإسلام نفاقاً وخداعاً، وهو يذيق المسلمين أنواع الأذى والظلم، ويقيم على عقيدته الإلحادية البعثية.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٨ ١٣.

س: هل يعتبر عمل المتطوعين في التعاون مع رجال الأمن من الرباط، أم لا؟[1]

ج: عمل المتطوعين في كل بلد ضد الفساد مع رجال الأمن يعتبر من الجهاد في سبيل الله، لمن أصلح الله نيته، وهو من الرباط في سبيل الله ؛ لأن الرباط هو لزوم الثغور ضد الأعداء، وإذا كان العدو قد يكون في الباطن، واحتاج المسلمون أن يتكاتفوا مع رجال الأمن ضد العدو الذي يخشى أن يكون في الباطن، يرجى لهم أن يكونوا مرابطين، ولهم أجر المرابط لحماية البلاد من مكائد الأعداء الداخليين.

وهكذا، التعاون مع رجال الهيئة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يعتبر من الجهاد في سبيل الله، في حق من صلحت نيته؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا

---

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل))[1]. رواه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

س: يسأل بعض الأطباء والعاملين في النفط. هل إذا أخلصوا النية، وأهم يقومون بعملهم من أجل الله تعالى وحدث أن قتلوا بالصواريخ التي يطلقها حاكم العراق، هل يعتبرون من الشهداء؟[2]

ج: إذا كانوا مسلمين فهم شهداء، إذا ضربوا بالصواريخ أو غيرها مما يقتلهم، حكمهم حكم الشهداء، وهكذا كل مسلم يقتل مظلوماً في أي مكان؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد))[3]، ولما ثبت في صحيح مسلم، عن النبي صلى الله

---

(١) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (كون النهي عن المنكر من الإيمان) برقم ٥٠.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٤١١/٧/١٦هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢٣.

(٣) رواه الترمذي في (الديات)، باب (ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد) برقم ١٤٢١.

عليه وسلم أنه أتاه رجل فقال: يا رسول الله: يأتيني الرجل يريد مالي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تعطه مالك))، فقال الرجل: يا رسول الله: فإن قاتلني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قاتله))، فقال الرجل: يا رسول الله: فإن قتلني؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((فأنت شهيد)) قال الرجل: فإن قتلته؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((هو في النار)) [1].

وهذا حديث عظيم يدل على أن من قتل من المسلمين مظلوماً فهو شهيد. فلله الحمد والمنة على ذلك.

س: أفادكم الله: نرجو إخبارنا عن غزوة الخندق، وهل هي مشابهة لما نحن فيه الآن؟[2]

ج: غزوة الخندق محنة عظيمة امتحن الله بها المسلمين، وأقام بها الحجة على الكافرين، ونصر بها رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين، فقد اجتمع فيها أحزاب الكفار وغزوا المدينة؛ ولذلك تسمى غزوة الأحزاب، والرسول صلى

---

(١) رواه مسلم في (الإيمان)، باب (الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه) برقم ١٤٠.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٦/٧/١٤١١هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢٨.

الله عليه وسلم حفر خندقاً حول المدينة، وأشار عليه بهذا سلمان الفارسي رضي الله عنه وصار هذا الخندق بينه وبين الأعداء، ونفع الله به كثيراً، وبقي الكفار محاصرين المدينة نحو شهر. وفي هذه الغزوة أنزل الله تعالى قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا*هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا*وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

هكذا ظهر النفاق والعياذ بالله فالمشركون تجمعوا لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال لها غزوة الأحزاب؛ لأن قريشاً جمعت أحزاباً كثيرة من غطفان وغير غطفان، ومن الأحابيش وغيرهم، حتى قال أصحاب السير: إنهم عشرة آلاف قصدوا المدينة للقضاء على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن الله خيب ظنهم، وردهم خائبين خاسئين، والحمد لله، وأنزل الله عليهم جنوداً لم يروها من الملائكة، وأرسل عليهم ريحاً زلزلهم الله جل وعلا بها، وشتت شملهم، وردهم خائبين سبحانه وتعالى .

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٩ ١٢.

وقد بلغت الشدة مع المسلمين أمراً عظيماً، وظهر النفاق، وقال المنافقون: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1]، يعني: ما وعدنا الله من النصر إلا غروراً. هذا ظن الكافرين والمنافقين أعاذنا الله من شرهم ،وليست غزوة الخندق مشابهة لحوادث الساعة من كل الوجوه، بل هي أعظم وأشد بالنسبة إلى غير أهل الكويت، أما مصيبة الكويت فهي أشد، لكونهم أخرجوا من بلادهم ونهبت أموالهم، وسفكت دماء الكثير منهم عامل الله من ظلمهم بما يستحق، وأدار عليه دائرة السوء إنه سميع قريب.

س: إنني أحب الجهاد، وقد امتزج حبه في قلبي، ولا أستطيع أن أصبر عنه، وقد استأذنت والدتي فلم توافق، ولذا تأثرت كثيراً، ولا أستطيع أن أبتعد عن الجهاد. سماحة الشيخ: إن أمنيتي في الحياة هي الجهاد في سبيل الله، وأن أقتل في سبيله وأمي لا توافق. دلني جزاك الله خيراً على الطريق المناسب. [2]

ج: جهادك في أمك جهاد عظيم، الزم أمك وأحسن

---

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الملك خالد يوم الخميس ١٤١١/٧/١٦هـ، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص١٢٩.

(٢) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل الجهاد) برقم ٢٧٨٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد) برقم ١٨٦٤.

إليها، إلا إذا أمرك ولي الأمر بالجهاد فبادر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا استنفرتم فانفروا))[1].

وما دام ولي الأمر لم يأمرك فأحسن إلى أمك، وارحمها، واعلم أن برها من الجهاد العظيم، قدمه النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد في سبيل الله، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قيل له: يا رسول الله: أي العمل أفضل؟ قال: ((الصلاة لوقتها))، قيل: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قيل: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))[2]. متفق على صحته، فقدم برهما على الجهاد، وجاء رجل يستأذنه، قال: يا رسول الله: أحب أن أجاهد معك، فقال له صلى الله عليه وسلم: ((أحيٌّ والداك))؟ قال: نعم. قال: ((ففيهما فجاهد)). متفق على صحته،

---

(١) رواه البخاري في (مواقيت الصلاة)، باب (فضل الصلاة لوقتها) برقم ٥٢٧، ومسلم في (الإيمان)، باب (بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال) برقم ٨٥.

(٢) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (الجهاد بإذن الأبوين) برقم ٣٠٠٤، ومسلم في (البر والصلة والآداب) ، باب (بر الوالدين وأنهما أحق به) برقم ٢٥٤٩.

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: ((ارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما))(١). فهذه الوالدة ارحمها، وأحسن إليها حتى تسمح لك، وهذا كله في جهاد الطلب، وفيما إذا لم يأمرك ولي الأمر بالنفير، وأما إذا نزل البلاء بك، فدافع عن نفسك وعن إخوانك في الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهكذا إذا أمرك ولي الأمر بالنفير، فانفر ولو بغير رضاها؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ *إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)،ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا استنفرتم فانفروا))(٣). متفق على صحته. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

---

(١) رواه أبو داود في (الجهاد)، باب (الرجل يغزو وأبواه كارهان) برقم ٢٥٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ٣٨، ٣٩.

(٣) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل الجهاد) برقم ٢٧٨٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد) برقم ١٨٦٤.

٤٨- حكم الاستعانة بالكفار في قتال الكفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، وقائد المجاهدين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: [١]

فقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم الاستعانة بالكفار في قتال الكفار على قولين:

أحدهما: المنع من ذلك ، واحتجوا على ذلك بما يلي:

أولاً: ما رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من المشركين كان معروفاً بالجرأة والنجدة، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى بدر في حرة الوبرة، فقال: جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((تؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا، قال: ((ارجع، فلن أستعين بمشرك))، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا في الشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال له أول مرة، فقال: ((تؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا. قال: ((ارجع، فلن أستعين بمشرك))، ثم لحقه في البيداء، فقال مثل قوله، فقال له: ((تؤمن بالله ورسوله؟)) قال: نعم، قال: ((فانطلق))[٢]. أ هـ.

---

(١) كلمة لسماحته نشرت في هذا المجموع ج ٦ ص١٨٣.

(٢) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (كراهة الاستعانة في الغزو بكافر) برقم ١٨١٧.

ثانياً: واحتجوا أيضاً بما رواه الحاكم في صحيحه من حديث يزيد بن هارون: أنبأنا مستلم بن سعيد الواسطي، عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب، عن أبيه، عن جده: خبيب بن يساف، قال: أتيت أنا ورجل من قومي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزواً، فقلت: يا رسول الله: إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، فقال: ((أسلما)) فقلنا: لا ، قال: ((فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين)) قال: فأسلمنا وشهدنا معه... "[1]. الحديث، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وخبيب صحابي معروف. أ. هـ ذكره الحافظ الزيلعي في نصب الراية (٤٢٣) ثم قال: ورواه أحمد، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه في مسانيدهم، والطبري في معجمه من طريق ابن أبي شيبة. قال في التنقيح: ومستلم ثقة، وخبيب بن عبد الرحمن أحد الثقات الأثبات. والله أعلم.

ثم قال الزيلعي: حديث آخر: روى إسحاق بن راهويه في مسنده، أخبرنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن سعيد بن المنذر، عن أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، حتى إذا خلف ثنية الوداع

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند المكيين)، حديث خبيب رضي الله عنه برقم ١٥٣٣٦.

نظر وراءه، فإذا كتيبة حسناء، فقال: ((من هؤلاء؟)) قالوا: هذا عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود، وهم رهط عبد الله بن سلام. فقال: ((هل أسلموا؟)) قالوا: لا، إنهم على دينهم، قال: ((قولوا لهم فليرجعوا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين))[1]. انتهى.

ورواه الواقدي في كتاب المغازي، ولفظه: فقال: ((من هؤلاء؟)) قالوا: يا رسول الله: هؤلاء حلفاء ابن أُبي من يهود، فقال عليه السلام: ((لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك)) انتهى.

قال الحازمي في كتاب الناسخ والمنسوخ: وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة، فذهب جماعة إلى منع الاستعانة بالمشركين، ومنهم أحمد مطلقاً، وتمسكوا بحديث عائشة المتقدم، وقالوا: إن ما يعارضه لا يوازيه في الصحة، فتعذر إدعاء النسخ. وذهبت طائفة، إلى أن للإمام أن يأذن للمشركين أن يغزو معه، ويستعين بهم بشرطين:

أحدهما: أن يكون في المسلمين قلة، بحيث تدعو الحاجة

(١) رواه الحاكم في المستدرك في (الجهاد)، باب (إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين) برقم ٢٦٠٤، وأورده ابن أبي شيبة في المصنف في (كتاب المغازي)، باب (هذا ما حفظ أبو بكر في أحد وما جاء فيها) برقم ٣٥٧٠٨.

إلى ذلك.

والثاني: أن يكونوا ممن يوثق بهم في أمـــر المـــسلمين، ثم أســـند إلى الشافعي أن قال: الذي روى مالك أن النبي صلى الله عليـــه وســـلم رد مشركاً أو مشركين، وأبى أن يستعين بمشرك كان في غزوة بدر، ثم إنـــه عليه السلام استعان في غزوة خيبر بعد بدر بسنتين بيهود من بني قينقـــاع، واستعان في غزوة حنين سنة ثمان بصفوان بن أمية، وهو مـــشرك. فـــالرد الذي في حديث مالك،إن كان لأجل أنه مخير في ذلك: بين أن يستعين به، وبين أن يرده، كما له رد المسلم لمعنى يخافه، فليس واحد مـــن الحـــديثين مخالفاً للآخر، وإن كان لأجل أنه مشرك، فقد نـــسخه مـــا بعـــده مـــن استعانته بالمشركين. ولا بأس أن يستعان بالمشركين على قتال المـــشركين إذا خرجوا طوعاً، ويرضخ لهم ولا يسهم لهم، ولا يثبت عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أنه أسهم لهم. قال الشافعي: ((ولعله عليه السلام إنمـــا رد المشرك الذي رده في غزوة بدر رجاء إسلامه، قال: وذلك واسع للإمام أن يرد المشرك ويأذن له)). انتهى، وكلام الشافعي كله نقله البيهقي عنه(١). أ هـــ.

وقال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم ١٩٨، ١٩٩ ج١٢ ما نصه: "قوله: عن عائشة رضي الله عنها أن

---

(١) (نصب الراية) للزيلعي ج٣ ص ٤٢٣، ٤٢٤، ط١، مطبعة دار المأمون.

النبي صلى الله عليه وسلم خرج قبل بدر فلما كان بحرة (الوبرة) هكـــذا ضبطناه بفتح الباء، وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم، قال: وضبطه بعضهم بإسكانها، وهو موضع على نحو أربعة أميال من المدينة . قوله صلى الله عليه وسلم: ((فارجع فلن أستعين بمشرك))، وقد جـــاء في الحـــديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه، فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقـــه، وقـــال الـــشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجـــة إلى الاستعانة به، استعين به وإلا فيكره، وحمل الحديثين على هذين الحـــالين، وإذا حضر الكافر بالإذن رضخ له ولا يسهم، والله أعلم "[1] أ هـــ.

وقال الوزير ابن هبيرة في كتابه (الإفصاح عن معاني الـــصحاح) ج٢ ص ٢٨٦ ما نصه: "واختلفوا: هل يستعان بالمشركين على قتـــال أهـــل الحرب أو يعاونون على عدوهم، فقال مالك وأحمد: لا يستعان بهـــم ولا يعاونون على الإطلاق. واستثنى مالك: إلا أن يكونوا خدماً للمـــسلمين فيجوز. وقال أبو حنيفة: يستعان بهم ويعاونون على الإطلاق، ومتى كان حكم الإسلام هو الغالب الجاري عليهم. فإن كان حكم الشرك هو

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج١٢ ص ١٩٨، ١٩٩، دار الفكر للطباعة ١٤٠٣هـــ.

الغالب كره. وقال الشافعي: يجوز ذلك بشرطين: **أحدهما**: أن يكون بالمسلمين قلة، وبالمشركين كثرة. **والثاني**: أن يعلم من المشركين حسن رأي في الإسلام وميل إليه، فإن استعين بهم رضخ لهم و لم يسهم لهم. إلا أن أحمد قال في إحدى روايته: يسهم لهم. وقال الشافعي: إن استؤجروا أعطوا من مال لا مالك له بعينه. وقال في موضع آخر: ويرضخ لهم من الغنيمة. قال الوزير: وأرى ذلك مثل الجزية والخراج "[1] أ هـ.

القول الثاني: جواز الاستعانة بالمشركين في قتال المشركين عند الحاجة أو الضرورة. واحتجوا على ذلك بأدلة منها قوله جل وعلا في سورة الأنعام: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[2]، الآية، واحتجوا أيضاً بما نقله الحازمي عن الشافعي رحمه الله فيما ذكرنا آنفاً في حجة أصحاب القول الأول، وسبق قول الحازمي رحمه الله نقلاً عن طائفة من أهل العلم أنهم أجازوا ذلك بشرطين:

أحدهما: أن يكون في المسلمين قلة بحيث تدعو الحاجة إلى ذلك.

---

(١) (الإفصاح عن معاني الصحاح) لابن هبيرة ج٢ ص ٤٣٨ ط٢، المكتبة الحلبية سنة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٩.

الثاني: أن يكونوا ممن يوثق بهم في أمر المسلمين، وتقدم نقل النـــووي عن الشافعي أنه أجاز الاستعانة بالمشركين بالشرطين المذكورين وإلا كره، ونقل ذلك أيضاً عن الشافعي الوزير ابن هبيرة كما تقدم .

واحتج القائلون بالجواز أيضاً: بما رواه أحمد وأبو داود عن ذي مخمر، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ستـــصالحون الـــروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمـــون))[1] الحديث. و لم يذمهم على ذلك فدل على الجواز، وهو محمول على الحاجة أو الضرورة كما تقدم .

وقال المجد بن تيمية في (المحرر في الفقه) ص ١٧١ ج٢ ما نصه: (ولا يستعين بالمشركين إلا لضرورة، وعنه إن قوي جيشه عليهم وعلى العـــدو ولو كانوا معه، ولهم حسن رأي في الإسلام جاز، وإلا فلا)[2] انتهى.

وقال: الموفق في (المقنع) ج١ ص ٤٩٢ ما نصه: (ولا يستعين بمشرك إلا عند الحاجة)[3].

---

(١) رواه أبو داود في (الملاحم)، باب (ذكر ما يذكر من ملاحم الروم) برقم ٤٢٩٢.

(٢) (المحرر في الفقه) للمجد ابن تيمية ج٢ ص ١٧١، مكتبة المعارف، الرياض ط ٢، ١٤٠٤هـ.

(٣) (المقنع) للموفق ابن قدامة ج١ ص ٤٩٢، ط. المؤسسة السعيدية بالرياض، الطبعة الثالثة.

وقال في المغني ج٨ ص ٤١٤، ٤١٥: " (فصل): ولا يستعان بمشرك، وبهذا قال ابن المنذر والجوزجاني وجماعة من أهل العلم. وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة به. وكلام الخرقي يدل عليه أيضاً عند الحاجة، وهو مذهب الشافعي؛ لحديث الزهري الذي ذكرناه، وخبر صفوان بن أمية. ويشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به؛ لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخذل والمرجف، فالكافر أولى.

ووجه الأول ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر حتى إذا كان بحرة الوبرة أدركه رجل من المشركين كان يذكر منه جراءة ونجدة، فسر المسلمون به، فقال: يا رسول الله جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا، قال: ((فارجع فلن أستعين بمشرك)) قالت: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالبيداء أدركه ذلك الرجل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتؤمن بالله ورسوله؟)) قال: نعم، قال:

((فانطلق))[1]. متفق عليه، ورواه الجوزجاني.

وروى الإمام أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن خبيب، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزوة، أنا ورجل من قومي ولم نُسلم، فقلنا: إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، قال: ((فأسلمتما؟)) قلنا: لا، قال: ((فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين))[2]، ولأنه غير مأمون على المسلمين فأشبه بالمخذل والمرجف، قال ابن المنذر: والذي ذكر أنه استعان بهم غير ثابت "[3] أ هـ.

وقال الحافظ في التلخيص بعدما ذكر الأحاديث الواردة في جواز الاستعانة بالمشركين، والأحاديث المانعة من ذلك ما نصه: ويجمع بينه يعني حديث عائشة وبين الذي قبله يعني حديث صفوان بن أمية، ومرسل الزهري بأوجه ذكرها المصنف منها. وذكره البيهقي عن نص الشافعي: أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرس فيه الرغبة في الإسلام، فرده رجاء أن يسلم، فصدق ظنه. وفيه نظر من جهة التنكر في سياق

---

(١) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (كراهة الاستعانة في الغزو بمشرك) برقم ١٨١٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند المكيين)، حديث خبيب رضي الله عنه برقم ١٥٣٣٦.

(٣) المغني لابن قدامة ج٨ ص ٤١٤، ٤١٥. ط٣ دار المنار ١٣٦٧هـ.

النفي. ومنها: أن الأمر فيه إلى رأي الإمام. وفيه النظر بعينه. ومنها: أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها، وهذا أقربها، وعليه نص الشافعي.

وقال في (الفروع) ج٦ ص ٢٠٥ ما نصه: "ويكره أن يستعين بكافر إلا لضرورة، وذكر جماعة: لحاجة، وعنه يجوز مع رأي فينا. زاد جماعة وجزم به في المحرر: وقوته بهم (بالعدو)"[١].

وقال الصنعاني رحمه الله في (سبل السلام) ج٤ ص ٤٩، ٥٠ على شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: ((ارجع فلن أستعين بمشرك))[٢] ما نصه: "والحديث من أدلة من قال لا يجوز الاستعانة بالمشركين في القتال، وهو قول طائفة من أهل العلم. وذهب الهادوية وأبو حنيفة وأصحابه إلى جواز ذلك، قالوا: لأنه صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية يوم حنين، واستعان بيهود بني قينقاع ورضخ لهم. أخرجه أبو داود في المراسيل، وأخرجه الترمذي عن الزهري مرسلاً، ومراسيل الزهري ضعيفة. قال الذهبي: لأنه كان خطاء، ففي إرساله

---

(١) الفروع لابن مفلح ج٦ ص ٢٠٥ ط٢ سنة ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٧م دار مصر للطباعة.

(٢) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (كراهة الاستعانة في الغزو بمشرك) برقم ١٨١٧.

شبهة تدليس. وصحح البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي أنه ردهم.
قال المصنف: ويجمع بين الروايات: بأن الذي رده يوم بدر تفرس فيه الرغبة في الإسلام فرده؛ رجاء أن يسلم، فصدق ظنه، أو أن الاستعانة كانت ممنوعة فرخص فيها، وهذا أقرب. وقد استعان يوم حنين بجماعة من المشركين تألفهم بالغنائم. وقد اشترط الهادوية أن يكون معه مسلمون يستقل بهم في إمضاء الأحكام. وفي شرح مسلم: أن الشافعي قال: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة استعين به، وإلا فيكره. ويجوز الاستعانة بالمنافق إجماعاً لاستعانته صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي وأصحابه"[1].

وهذا آخر ما تيسر نقله من كلام أهل العلم، والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

---

(١) (سبل السلام) للصنعاني ج٤، ص ٤٩، ٥٠، ط ٤، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م، دار إحياء التراث العربي.

٤٩-من أفضل الجهاد
في وقتنا هذا جهاد حاكم العراق (١)

قال سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: إن من أفضل الجهاد ومن أعظمه في وقتنا هذا جهاد حاكم العراق؛ لبغيه وعدوانه، واجتياحه دولة الكويت، وسفكه الدماء، ونهبه الأموال، وهتكه الأعراض، وتهديده الدول المجاورة له من دول الخليج العربي.

وأكد سماحته أن ذلك عدوان عظيم، وجريمة شنيعة، وبغي سافر يستحق عليه الجهاد من المسلمين.

ونصح سماحة الشيخ ابن باز في كلمة وجهها عبر مجلة (الدعوة) المسلمين بعامة ودول الخليج العربي بخاصة: أن يجاهدوا ذلك الظالم، وأن يجتمعوا على جهاده.

كما نصح الذين يساعدون حاكم العراق ويقفون معه: أن يتقوا الله، وأن يتوبوا إليه، وأن يكونوا مع الحق أينما دار؛ لأنه أحق بالاتباع وأحق بالنصر.

وفيما يلي نص كلمة سماحته:

---

(١) نشرت في ج٧ ص٣٧٦ من هذا المجموع.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد دلت الأدلة الشرعية على فضل الجهاد، وأنه من أفضل القربات، وأنه ذروة سنام الإسلام، كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))[1].

وقد أمر الله بالجهاد في كتابه العظيم في مواضع كثيرة، وأثنى على أهله كثيراً، ووعدهم خيراً كثيراً فقال سبحانه: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند الأنصار)، من حديث معاذ بن جبل، برقم ٢١٥١١، والترمذي في (الإيمان)، باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم ٢٦١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) سورة الصف، الآيات ١٠-١٣.

اللّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْه حَقًّا فِي التَّوْرَاة وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْده منَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِه وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم))[2]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما عليها))[3].

فالجهاد له شأن عظيم وفضل كبير، والمجاهد في سبيل الله له وعد من الله بالمغفرة والجنة، ووعد بالنصر والفتح القريب، وهذا يسر كل مؤمن.

ويقول جل وعلا في نصر دينه بالجهاد وغيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]، ويقول عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*الَّذِينَ

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١١٨٣٧، وأبو داود في (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.

(٣) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله) برقم ٢٨٩٢.

(٤) سورة محمد، الآية ٧.

إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله))[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد))[3].

وجاءه رجل فقال يا رسول الله: الرجل يأتيني يريد مالي؟ قال: ((لا تعطه مالك)) قال: فإن قاتلني؟ قال: ((قاتله)) قال: فإن قتلني؟ قال: ((فأنت شهيد)) قال: فإن قتلته؟ قال: ((فهو في النار))[4]. أخرجه مسلم في صحيحه.

---

(1) سورة الحج ، الآيتان ٤٠، ٤١ .

(٢) رواه البخاري في (العلم)، باب (من سأل وهو قائم عالماً جالساً) برقم ١٢٣، ومسلم في (الإمـــارة)، باب (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) برقم ١٩٠٤.

(٣) رواه الترمذي في (الديات)، باب (ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد) برقم ١٤٢١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في (الإيمان)، باب (الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حـــق كـــان القاصد مهدر الدم في حقه) برقم ١٤٠.

والآيات والأحاديث في فضل وعظيم أجر أهله كثيرة جداً، وفي وقتنا هذا من أفضل الجهاد ومن أعظم الجهاد، جهاد حاكم العراق؛ لبغيه وعدوانه، واجتياحه دولة الكويت، وسفكه الدماء، ونهبه الأموال، وهتكه الأعراض، وتهديده الدول المجاورة له من دول الخليج.

ولاشك أن هذا العمل عدوان عظيم، وجريمة شنيعة، وبغي سافر يستحق عليه الجهاد من المسلمين.

ومن جاهده بنية صالحة فله أجر عظيم، فإن قتل فهو شهيد؛ لأنه قتل في نصره للمظلومين، وحماية للمسلمين من شر حاكم العراق وعدوانه، ومن قتل مع حاكم العراق فهو متوعد بالنار؛ لأنه ساعد الظلمة، وقاتل في سبيل الظلم والعدوان.

فنصيحتي للمسلمين جميعاً ولدول الخليج بصفة خاصة: أن يجاهدوا هذا الظالم، وأن يجتمعوا على ذلك؛ فهو جهاد عظيم، وأهله موعودون بالنصر وبالأجر العظيم والعاقبة الحميدة.

ونصيحتي للذين يساعدون حاكم العراق ويقفون معه: أن يتقوا الله، وأن يتوبوا إليه، وأن يكونوا مع الحق أينما دار؛ لأنه أحق بالاتباع وأحق بالنصر.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، قالوا: يا رسول الله نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: ((تحجزه عن الظلم، فذلك نصرك إياه))[١].

وهذا قد ظلم العباد، وتعدى على أهل الكويت، وهدد غيرهم من جيرانه، مع كونه ملحداً، فقد اجتمع في حقه إلحاده وكفره مع بغيه وظلمه، فلو كان مسلماً سليماً لوجب جهاده حتى يفيء ويرد الحق إلى أهله، لقول الله سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

وهذا لم يفئ، بل بغى، ولم تزل المظالم لديه، فالواجب قتاله حتى يرد الحق إلى أهله، هذا لو كان مسلماً، فكيف وحاله معلومة من الإلحاد؟!

فالواجب قتاله حتى يرد المظالم إلى أهلها، وحتى يخرج بجيشه من الكويت بدون قيد ولا شرط، ولا توبة لظالم حتى يرد المظالم إلى أهلها.

---

(١) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٩.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يعينهم على جهاد هذا الظالم الباغي، وأن ينصرهم عليه، وأن يهزم جمعه ويشتت شمله، وأن يجعل دائرة السوء عليه إنه جل وعلا جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

وقد أجاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على عدد من الأسئلة، حيث أوضح أن المشروع للمسلمين نحو إخوانهم المجاهدين: الدعاء لهم بالتوفيق والنصر، والإعانة وأن يدعوا لإخوانهم المجاهدين بالنصر والتأييد والإعانة على حرب أعدائهم، وأن يدعوا على عدوهم ويقنتوا قنوت النوازل؛ أن يهزم الله جمعه ويشتت شمله، وأن يعين المسلمين عليه، وأن يرد حق المظلومين إليهم، وأن يخذل الظالم ويرد كيده وشره عليه.

وأضاف سماحته في إجابة على سؤال حول قنوت النوازل: بأنه سنة مؤكدة في جميع الصلوات، وهو الدعاء على الظالم بأن يخزيه الله ويذله، ويهزم جمعه ويشتت شمله، وينصر المسلمين عليه.

وأجاب على سؤال حول التبرع بالدم: بأن المشروع للمسلمين إذا أصيب إخوانهم بشيء من الجراحات واحتاجوا إلى دم من إخوانهم الأحياء، أن يتبرعوا لهم بذلك، بشرط أن يكون

التبرع بالدم لا يضر المتبرع إذا قرر الطبيب المختص ذلك.

وقال سماحته في رد على سؤال عن الواجب على المسلم في هذه الأوقات: إن الواجب عليه حسن الظن بالله والإيمان بأنه سبحانه هو الذي ينصر عباده، وأن النصر بيده، وأن المنع والعطاء بيده والضرر والنفع، فهو سبحانه القائل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وهو القائل جل وعلا: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وهو القائل جل وعلا فيما رواه عنه النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني))[3]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله))[4].

ويقول جل وعلا: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[6]، أي: كافيه.

---

(١) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٠.

(٣) رواه مسلم في (الذكر والدعاء والتوبة)، باب (فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى) برقم ٢٦٧٦

(٤) رواه مسلم في (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) برقم ٢٨٧٧

(٥) سورة المائدة، الآية ٢٣.

(٦) سورة الطلاق، الآية ٣.

وأوضح سماحة الشيخ ابن باز: أن الواجب على المسلمين حسن الظن بالله، والتوكل عليه والاعتماد عليه، والثقة به، والإيمان بأنه هو الذي ينصر أولياءه، وأن النصر بيده سبحانه وتعالى وهو القائل جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] هذا مع تعاطي الأسباب.

وقال: فالمؤمن مأمور بتعاطي الأسباب التي تعينه على قتال عدوه؛ من السلاح وأخذ الحيطة والاستعانة بالجنود والقوة، كل هذا مأمور به، مع التوكل على الله وحسن الظن به كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3].

وأشار سماحته، إلى أن الواجب على أهل الإسلام أن يعدوا العدة لأعدائهم، وأن يأخذوا حذرهم، وأن يستعينوا بأنواع الأسباب المباحة والمشروعة، مع الثقة بالله والاعتماد عليه.

وبين سماحته أن التوكل يجمع أمرين:

أحدهما: الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه مصرف الأمور، وأنه الضار النافع، وأنه بيده النصر سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٧١.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ثانيهما: العناية بالأسباب الشرعية والمباحة.

وقال: كل هذا داخل في التوكل.

وفي إجابة لسماحته، حول ما ينبغي للمسلم إزاء الإشاعات والأخبار المتداولة، قال سماحته: ينبغي للمسلم ألا يتحدث إلا بالشيء الثابت عنده؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع))[1]، فإذا شك فليقل: يروى أو يذكر، ولا يجزم بذلك، ولكن إذا كان لديه شيء ثابت قد شاهده أو علمه بطريق ثابتة، أو سمعه من جهة يوثق بها، فلا بأس أن يحدث بذلك إذا رأى المصلحة في الحديث به.

وأضاف سماحته قائلاً: مع الحرص على تطمين المسلمين، وحثهم على حسن الظن بالله ، وإشاعة الأخبار السارة بينهم، وترك الأخبار التي تحزنهم، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))[2] .

---

(١) رواه مسلم في (المقدمة)، باب (النهي عن الحديث بكل ما سمع) برقم ٥.

(٢) رواه البخاري في (العلم)، باب (ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة) برقم ٦٩، ومسلم في (الجهاد والسير)، باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) برقم ١٧٣٤.

٥٠- جهاد حاكم العراق واجب على الدول الإسلامية لإنقاذ إخوانهم من الظلم[(١)]

الحمد لله الذي أمر بالجهاد في سبيله، ووعد عليه بالأجر العظيم والنصر المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله، أفضل المجاهدين وأصدق المناضلين، وأنصح العباد أجمعين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الكرام الذين باعوا أنفسهم لله، وجاهدوا في سبيله حتى أظهر الله بهم الدين، وأعز بهم المؤمنين، وأذل بهم الكافرين رضي الله عنهم، وأكرم مثواهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين، وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين،

---

(١) نشرت في مجلة (الدعوة)، العدد ١٢٧٧ في ١٤١١/٧/١٦هـ، ونشرت في هذا المجموع ج٧ ص٣٦٢.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين.

وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين، وهو فرض كفاية على المسلمين؛ إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية، التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي؛ كما لو استنفره الإمام أو حصر بلده العدو، أو كان حاضراً بين الصفين.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة. ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ* لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ* إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ

﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1].

أ- المبادرة إلى الجهاد:

ففي هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالاً، أي: شيباً وشباباً، وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ويخبرهم عز وجل بأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة، ثم بين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾[2] الآية.

ثم يعاتب نبيه صلى الله عليه وسلم عتاباً لطيفاً على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ﴾[3]، ويبين عز وجل أن في عدم الإذن لهم تبياناً للصادقين، وفضيحة للكاذبين. ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستأذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي؛ لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك، ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد والنفير مع أهله، ثم يذكر سبحانه أن الذي

(١) سورة التوبة، الآيات ٤١ ـ ٤٥.
(٢) سورة التوبة، الآية ٤٢.
(٣) سورة التوبة، الآية ٤٣.

يستأذن في ترك الجهاد هو عادم الإيمان بالله واليوم الآخر، المرتاب فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أعظم حث وأبلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله، والتنفير من التخلف عنه، وقال تعالى في فضل المجاهدين: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله على الله عز وجل وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع، وجعل ثمنه لأهله الجنة، وأنهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون. ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك في أشرف كتبه وأعظمها: التوراة، والإنجيل والقرآن. ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله؛ ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم، ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس، حتى يستوفوا أجرهم كاملاً في الدنيا والآخرة. ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

البيع؛ لما فيه من الفوز العظيم، والعاقبة الحميدة، والنصر للحق والتأييد لأهله، وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم، ونصر أوليائه عليهم، وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ب- التجارة العظيمة:

في هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة. ففي ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد. ومن المعلوم، أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه كما يتضمن أداء الفرائض، وترك المحارم. ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله؛ لكونه أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه، وللترغيب فيه؛ لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب

---

(١) سورة الصف، الآيات ١٠-١٣.

الحميدة التي سبق بيان الكثير منها. ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين؛ من المغفرة والمساكن الطيبة في دار الكرامة؛ ليعظم شوقهم إلى الجهاد وتشتد رغبتهم فيه، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به. ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئاً معجلاً يحبونه، وهو النصر على الأعداء، والفتح القريب على المؤمنين، وفي ذلك غاية التشويق والترغيب.

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جداً، وفيما ذكر سبحانه في هذه الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي، ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة، والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة. والله المستعان.

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين، والتحذير من تركه والإعراض عنه، فهي أكثر من أن تنحصر، وأشهر من أن تذكر، ولكن نذكر منها طرفاً يسيراً؛ ليعلم المجاهد الصادق شيئاً مما قاله نبيه ورسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم في فضل الجهاد ومنزلة أهله.

ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير

من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة))[2] أخرجه مسلم في صحيحه، وفي لفظ له: ((تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مكلوم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك))[4].

---

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل رباط يوم في سبيل الله برقم) ٢٨٩٢.

(٢) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله) برقم ٢٧٨٧، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

(٣) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

(٤) رواه البخاري في (الذبائح والصيد)، (باب المسك) برقم ٥٥٣٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) برقم ١٨٧٦.

متفق عليه. عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[١]، رواه أحمد والنسائي، وصححه الحاكم، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور))[٢]. وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار))[٣]. رواه البخاري في صحيحه.

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه به، مات على

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١١٨٣٧، وأبو داود في (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.
(٢) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (من قال: إن الإيمان هو العمل) برقم ٢٦، ومسلم في (الإيمان)، باب (كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) برقم ٨٣.
(٣) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (من اغبرت قدماه في سبيل الله) برقم ٢٨١١.

شعبة من نفاق))[1]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم))[2]. رواه أحمد وأبو داود، وصححه ابن القطان، وقال الحافظ في (البلوغ): رجاله ثقات.

ج: المترلة العالية للمجاهدين:

والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين، وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية، والثواب الجزيل، وفي الترهيب من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جداً.

وفي الحديثين الأخيرين وما جاء في معناهما، الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد، وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملة الربوية من أسباب ذل المسلمين، وتسليط الأعداء عليهم، كما هو الواقع، وأن ذلك الذل لا يترع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم؛ بالاستقامة على أمره

---

(١) رواه مسلم في (الإمارة)، باب (ذم من مات و لم يغز..) برقم ١٩١٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة)، مسند عبد الله بن عمر برقم ٤٩٨٧، وأبو داود في (البيوع)، باب (النهي عن العينة) برقم ٣٤٦٢.

والجهاد في سبيله. فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعاً بالرجوع إلى دينه، وأن يصلح قادتهم، ويصلح لهم البطانة، ويجمع كلمتهم على الحق، ويوفقهم جميعاً للفقه في الدين، والجهاد في سبيل رب العالمين؛ حتى يعزهم الله ويرفع عنهم الذل، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومن الجهاد في سبيل الله، ما يقوم به المسلمون اليوم من قتال عدو الله حاكم العراق؛ لظلمه، وعدوانه باجتياحه دول الكويت، وسفك دماء الأبرياء، ونهب أموالهم، وهتك الأعراض، وامتناعه عن الفيئة بإخراج جيشه من البلد.

ولا شك أن جهاده من أعظم الجهاد في سبيل الله، وأن ذلك واجب على الدول الإسلامية؛ لإنقاذ إخوانهم من ظلمه، ورد بلادهم إليهم، وإخراجه من بلادهم بالقوة؛ لإصراره على الظلم والعدوان، وعدم فيئته إلى الحق والخروج من الظلم؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

فأمر سبحانه في هذه الآية الكريمة بقتال الفئة الباغية من

---

(١) سورة الحجرات الآية ٩.

المؤمنين حتى تفيء إلى أمر الله، فإذا كانت الفئة الباغية من المؤمنين تقاتل حتى تفيء إلى الحق، فقتال الفئة الباغية من غير المؤمنين؛ كحاكم العراق وأشباهه، أعظم وأوجب. وبذلك يعلم، أن جهاده جهاد إسلامي عظيم، والمقتول فيه من المسلمين يعد شهيداً، وله أجر عظيم إذا أصلح الله نيته، ولا يضرهم في ذلك من ساعدهم من الدول غير الإسلامية؛ لكونهم مضطرين إليهم؛ ولأنها مساعدة في ردع الظالم الكافر، ونصر المظلوم.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر))[1]، وقد أيد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وهو على دين قومه بمكة المكرمة، وأيد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أيضاً بعد موت عمه أبي طالب لما رجع إلى مكة من دعوته أهل الطائف بالمطعم بن عدي، وهو كافر على دين قومه.

وقد قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[2].

والأدلة في ذلك كثيرة بينها أهل العلم في كتاب الجهاد، وكتبنا فيه رسالة مستقلة أوضحنا فيها كلام أهل العلم في

---

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) برقم ٣٠٦٢، ومسلم في (الإيمان)، باب (غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه) برقم ١١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٩.

ذلك، وقد صدر من المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في ٢١/٢/١٤١١هـ التأييد لما ذكرنا، كما أصدر المؤتمر المذكور في وثيقة مكة ما يؤيد ذلك أيضاً، وفي ذلك إيضاح للحق، وإزالة للشبهة التي التبست على بعض الناس، والله سبحانه ولي التوفيق.

د: إعداد القوة:

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يعدوا للكفار العدة بما استطاعوا من القوة، وأن يأخذوا حذرهم كما في قوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]. وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب، والحذر من مكائد الأعداء، ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، كما يدخل في ذلك إعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها، وتوجيههم إلى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده؛ في الكر والفر، والأرض والجو والبحر، وفي سائر الأحوال؛ لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر، ولم

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) سورة النساء الآية ٧١.

يذكر نوعاً دون نوع، ولا حالاً دون حال، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى، والجهاد قد يكون ابتداء، وقد يكون دفاعاً. فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالإعداد، وأخذ الحذر؛ ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم، وما يرونه من المكيدة في ذلك.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الحرب خدعة))[1]، ومعناه: أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا يدركه بالقوة والعدد، وذلك مجرب ومعروف، وذلك من دون إخلال بالعهود والمواثيق. وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود، والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود رضي الله عنه بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم، واختلاف كلمتهم، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم. وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه، ومكره لهم، كما قال عز وجل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]. ومما

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١٢٩٢٨، والترمذي في (الجهاد)، باب (ما جاء في الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب) برقم ١٦٧٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

تقدم يتضح لذوي البصائر: أن الواجب امتثال أمر الله، والإعداد لأعدائه، وبذل الجهود في الحيطة والحذر، واستعمال ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية، مع الإخلاص لله والاعتماد عليه، والاستقامة على دينه، وسؤاله المدد والنصر؛ فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم، إذا أدوا حقه، ونفذوا أمره، وصدقوا في جهادهم، وقصدوا بذلك إعلاء كلمته وإظهار دينه. وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم، وأعلمهم أن النصر من عنده؛ ليثقوا به، ويعتمدوا عليه، مع القيام بجميع الأسباب.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

بي شَيْئًا﴾ الآية[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

وقد سبق في هذا المعنى آيات سورة (الصف)، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله، وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم، نصرهم الله وأيدهم، وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدهم وكثرة أعدائهم، كما قال عز وجل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥]، وقال عز وجل:

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٩، ١٠.
(٤) سورة الصف، الآيات ١٠ ١٣.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

ولما غير المسلمون وتفرقوا، ولم يستقيموا على تعاليم ربهم إلا من رحم الله وآثر أكثرهم أهواءهم، أصابهم من الذل والهوان وتسلط الأعداء ما لا يخفى على أحد، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي، والتفرق والاختلاف، وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد. وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد؛ من التراع والاختلاف، والإخلال بالثغر الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلزومه، جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل والجراح والهزيمة ما هو معلوم، ولما استنكر المسلمون ذلك، أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

(٣) سورة الروم، الآية ٤١.

قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ولو أن أحداً يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة، لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يوم أحد، وهم خير أهل الأرض ويقاتلون في سبيل الله، ومع ذلك جرى عليهم ما جرى؛ بسبب معصية الرماة، التي كانت عن تأويل لا عن قصد المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتهاون بأمره، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين، ظنوا أن الأمر قد انتهى، وأن الحراسة لم يبق لها حاجة. وكان الواجب أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بتركه. ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر، وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة، ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون. وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله حقاً، وأنه بشر، يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك، وليس بإله يعبد، وليس مالكاً للنصر، بل النصر بيد الله سبحانه يتزله على من يشاء.

ولا سبيل إلى استعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم، إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وتحكيمهم شرع الله

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

سبحانه في أمورهم كلها، واتحاد كلمتهم على الحق، وتعاونهم على البر والتقوى، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمة الله عليه: " لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها "، وهذا قول جميع أهل العلم، والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه، والاعتصام بحبله، والصدق في ذلك والتعاون عليه، ولا صلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينه، والجهاد في سبيله، وأن يجمعهم على الهدى، وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق، وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وتحكيم شريعته والتحاكم إليها، والاجتماع على ذلك، والتعاون عليه، وأن يصلح قادتهم. إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

٥١- واجب المسلمين تجاه عدوان العراق على دولة الكويت

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى من يراه من المسلمين سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين، وأعاذني وإياهم من أخلاق المغضوب عليهم والضالين. آمين [(١)].

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٣)] وقال عز وجل: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)[(٤)]. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ

---

(١) صدرت من مكتب سماحته، ونشرت في هذا المجموع ج٦ ص١٣٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

﴿الْغَرُورُ﴾[(١)]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[(٢)]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ*وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٤)]. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[(٥)]. وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٦)].وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[(٧)]. وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) سورة لقمان، الآية ٣٣.

(٢) سورة البينة، الآية ٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

(٥) سورة الحشر، الآيات ١٨-٢٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٧) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]. والآيات في هذا الأمر بالتقوى، وطاعة الله ورسوله، وبيان عاقبة المتقين كثيرة جداً.

وقد أوضح الله سبحانه فيما ذكرنا من الآيات: أنه عز وجل خلق الثقلين لعبادته، وأمرهم بها، كما ذكر سبحانه أنه أمر جميع الناس بعبادته وتقواه، وهكذا أمر المؤمنين بوجه خاص بتقواه والقيام بحقه، كما أمرهم سبحانه بالاعتصام بحبله والتمسك بشرعه، وأمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله عز وجل وأمرهم عز وجل أن يتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منهم خاصة، بل تعم الجميع. وأوضح سبحانه أن من أسباب محبة الله العباد، ومن علامات الصدق في محبة العبد ربه ومحبة الله له، أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به،

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.
(٢) سورة الذاريات، الآية ١٥.
(٣) سورة القلم، الآية ٣٤.
(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

ويتمسك بشرعه في قوله وعمله وعقيدته، كما أوضح سبحانه أن من صفات المؤمنين وأخلاقهم العظيمة، أنهم أولياء فيما بينهم، وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فالواجب على جميع المسلمين في كل مكان أن يعبدوا الله وحده، وأن يتقوه؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأن يتحابوا في الله، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ لأن في ذلك سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، ولأن ذلك أيضاً من أسباب نصرهم على أعدائهم وحمايتهم من مكائدهم وشرهم. كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢].

والتقوى: هي طاعة الله ورسوله، والاستقامة على دينه، وإخلاص العبادة لله وحده، والتمسك بشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وعقيدة، وهي الإيمان والعمل الصالح، وهي الإسلام الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[٣].

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة لقمان، الآية ٨.

وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]. وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[3] الآية. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5]. وقال سبحانه موصياً لعباده المؤمنين بالصبر والتقوى، والحذر من أعداء الله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[6]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولا يخفى ما وقع في هذه الأيام من عدوان دولة العراق على دولة الكويت، واجتياحها بالجيوش والأسلحة المدمرة، وما

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

ترتب على ذلك من سفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الأعراض، وتشريد أهل البلاد، وحشد الجيوش على الحدود السعودية الكويتية، ولا شك أن هذا من دولة العراق عدوان عظيم، وجريمة شنيعة، يجب على الدول العربية والإسلامية إنكارها. وقد أنكرها العالم واستبشعها؛ لمخالفتها الشرع المطهر، والمواثيق المؤكدة بين الدول العربية والدول الإسلامية وغيرهم، إلا من شذ عن ذلك ممن لا يلتفت إلى خلافه، ولاشك أن ما حصل بأسباب الذنوب والمعاصي، وظهور المنكرات، وقلة الوازع الإيماني والسلطاني.

فالواجب على جميع المسلمين أن ينكروا هذا المنكر، وأن يناصروا الدولة المظلومة، وأن يتوبوا على الله من ذنوبهم وسيئاتهم، وأن يحاسبوا أنفسهم في ذلك، وأن يتعاونوا على البر والتقوى أينما كانوا، ويتناصحوا ويتواصوا بالحق والصبر عليه في جهاد أنفسهم، وفي جهاد عدوهم ومن اعتدى عليهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن يكونوا صفاً واحداً وجسداً واحداً وبناءً واحداً ضد العدو وضد الظالم سواء كان مسلماً أو غير مسلم كما قال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

وقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[١].

وقال عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه[٤]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والواجب على رئيس دولة العراق أن يتقي الله ويتوب إليه، وأن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت، ثم يحل المشكلة التي بينه وبين دولة الكويت بالحلول السلمية، والصلح العادل والتفاهم المنصف. فإن لم يتيسر ذلك فالواجب تحكيم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) سورة العصر، كاملة.

(٣) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٤) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

الشرع المطهر؛ بتكوين محكمة شرعية مكونة من جماعة من العلماء المعروفين بالعلم والفضل والعدالة؛ للحكم بينهم، كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[2] الآية. وقال عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[4]. أقسم سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الناس لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم.

ونسأل الله لجميع قادة المسلمين من العرب وغيرهم التوفيق والهداية لما فيه سعادة الجميع، وصلاح قلوبهم وأعمالهم، واستتباب الأمن بينهم، كما أسأله أن يعيذ الجميع من طاعة الهوى والشيطان، إنه سميع قريب.

وأما ما اضطرت إليه الحكومة السعودية من الأخذ بالأسباب

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة الشورى ، الآية ١٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

الواقية من الشر، والاستعانة بقوات متعددة الأجناس من المسلمين وغيرهم؛ للدفاع عن البلاد وحرمات المسلمين، وصد ما قد يقع من العدوان من رئيس دولة العراق، فهو إجراء مسدد وموفق، وجائز شرعاً، وقد صدر من مجلس هيئة كبار العلماء وأنا واحد منهم بيان بتأييد ما اتخذته الحكومة السعودية في ذلك، وأنها قد أصابت فيما فعلته؛ عملاً بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]. ولاشك أن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن المسلمين وعن بلادهم وحمايتها من كيد الأعداء، أمر جائز شرعاً، بل واجب متحتم عند الضرورة إلى ذلك؛ لما في ذلك من إعانة المسلمين وحمايتهم من كيد أعدائهم، وصد العدوان المتوقع عنهم.

وقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم بدروع استعارها من صفوان بن أمية يوم حنين، وكان كافراً لم يسلم ذلك الوقت، وكانت خزاعة مسلمها وكافرها في جيش النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ضد كفار أهل مكة. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنكم تصالحون الروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون وتغنمون))[3]. أخرجه

(١) سورة النساء، الآية ٧١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) رواه أبو داود في (الملاحم)، باب (ذكر ما يذكر من ملاحم الروم) برقم ٤٢٩٢.

الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح.

ونصيحتي لأهل الكويت وغيرهم من المسلمين في كل مكان، ولرئيس دولة العراق وجيشه: أن يجددوا توبة نصوحاً، وأن يندموا على ما سلف من الذنوب، وأن يقلعوا منها، وأن يعزموا عزماً صادقاً عل عدم العودة فيها؛ لأن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة، قد دلت على أن كل شر في الدنيا والآخرة وكل بلاء وفتنة فأسبابه المعاصي، وما كسبته أيدي العباد من المخالفة لشرع الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

ولما وقعت الهزيمة يوم أحد على المسلمين، وأصابهم ما أصابهم من القتل والجراح؛ بأسباب إخلال الرماة بموقفهم، وتنازعهم وفشلهم، وعصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بلزوم الموقف، وإن رأوا المسلمين قد انتصروا، واستنكر المسلمون ذلك،

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٣) سورة الروم، الآية ٤١.

وعظم عليهم الأمر، أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾، يعني: يوم بدر: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١].

وقد أخبر سبحانه في كتابه العظيم: أن التوبة سبب للفلاح، وتكفير السيئات، والفوز بالجنة والكرامة، فقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٣]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٤] الآية.

ومن أعظم مظاهر التوبة وأوجبها: الإخلاص لله وحده في جميع الأعمال، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله، وصغيره وكبيره والعناية بالصلوات الخمس، وإقامتها في أوقاتها من الرجال والنساء، والمحافظة عليها من الرجال في المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، والعناية بالزكاة والصيام وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

(٢) سورة النور، الآية ٣١.

(٣) سورة طه، الآية ٨٢.

(٤) سورة التحريم، الآية ٨.

والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، ويصلح قلوبهم وأعمالهم، ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يصلح قادتهم جميعاً، ويوفقهم لتحكيم شريعته، والتحاكم إليها والرضا بها، وترك ما يخالفها، وأن يصلح لهم البطانة، ويعينهم على كل خير، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا وإمامنا وسيدنا، إمام المتقين وقدوة المجاهدين، وخير عباد الله أجمعين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥٢- وجوب نصرة المسلمين وحكم الجهاد

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم / أ. ع. أ وفقه الله.آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: (١)

فقد وصلني كتابك وصلك الله بهداه وما ذكرت فيه عن حال الأمة الإسلامية وحال المسلمين كان معلوماً. نسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويعيد للأمة عزها وقوها، وأشكرك على غيرتك واهتمامك بالمسلمين، وحرصك على سلامتهم ونجاهم.

وبخصوص طلبك مني النصح والإرشاد: ماذا يجب عليك أن تفعله للمساهمة في نصرة المسلمين؟ وسؤالك عن حكم الجهاد؟

فأفيدك: إن حكم الجهاد بالنسبة لعموم المسلمين فرض كفاية، ولا حرج عليك إذا أحببت أن تجاهد مع إخوانك المسلمين المظلومين، إذا سمح لك والداك إن كانا موجودين؛

(١) رسالة جوابية صدرت من مكتب سماحته إلى الأخ / أ. ع. أ، ونشرت في هذا المجموع ج٨ ص٢٧٠.

للأحاديث الواردة في ذلك.

وأوصيك بالجد في طلب العلم، والتفقه في الدين على يد أهل العلم المعروفين بالعلم والفضل والعقيدة السلفية، من أنصار السنة المحمدية وغيرهم، مع العناية بكتب أهل السنة؛ كالكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من علماء السنة، مع الاجتهاد في الدعوة إلى الله حسب علمك، والاجتهاد في النصيحة لإخوانك وأهل بيتك وغيرهم بالأسلوب الحسن، والبلاغ بالتي هي أحسن، على أن يكون ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وكلام أهل العلم المعروفين بالعلم والفضل والعقيدة الصحيحة.

نسأل الله أن يرزقك البصيرة في دينه، وأن يوفقك ويعينك على كل خير، إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥٣- الجهاد فرض كفاية

س: لا يخفى على سماحتكم ما يمر به المسلمون في البوسنة والهرسك من تدمير، يقصد به استئصال المسلمين في أوربا، فهل بعد ذلك التدمير والإبادة وهتك الأعراض نشك أن الجهاد في تلك الأرض هو فرض عين؟[1]

ج: سبق أن بينا أكثر من مرة أن الجهاد فرض كفاية، لا فرض عين، وعلى جميع المسلمين أن يجاهدوا في نصر إخوانهم بالنفس، والمال، والسلاح، والدعوة والمشورة، فإذا خرج منهم من يكفي سلم الجميع من الإثم، وإذا تركوه كلهم أثموا جميعاً.

فعلى المسلمين في المملكة، وأفريقيا، والمغرب، وغيرها أن يبذلوا طاقاتهم، والأقرب فالأقرب، فإذا حصلت الكفاية من دولتين أو ثلاث أو أكثر سقط عن الباقين، وهم مستحقون للنصر والتأييد، والواجب مساعدتهم ضد عدوهم؛ لأنهم مظلمون، والله أمر بالجهاد للجميع، وعليهم أن يجاهدوا ضد أعداء الله حتى ينصروا إخوانهم، وإذا تركوا ذلك أثموا، وإذا قام به عدد يكفي سقط الإثم عن الباقين.

---

(١) سؤال مقدم لسماحته من المستفتي / ع. ف، ونشر في هذا المجموع ج٧ ص٣٣٥.

٥٤ - واقعة اعتداء العراق على الكويت عبرة وعظة لنا جميعاً

(في اختتام المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج، والذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وجه سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الكلمة التالية:)[١]

الحمد لله تعالى إن الدين النصيحة، وعلى علماء المسلمين أينما كانوا أن يناصروا الله، وأن يبينوا للحاكم ما يجب عليه، وما يحرم عليه؛ حتى يكونوا على بينة وعلى بصيرة، وأن يكون ذلك بالأسلوب المناسب وبالأسلوب الطيب، الذي يدعو للقبول والرضا وعدم النفرة.

وكذلك يجب التناصح بين العلماء في بيان الدعوة إلى الله، وتوجيه الناس إلى الخير في المساجد والمجتمعات، وتشجيع من يقوم بواجبه في الدعوة إلى الله عز وجل .

(١) نشرت في مجلة الدعوة في ١٤١١/٣/١هـ، وفي هذا المجموع ج٦ ص١٤٧.

وهكذا تشجيع الخطباء؛ في تحري الخطب المناسبة التي تنفع الناس على مقتضى الكتاب والسنة، وألا يتكلم إلا عن علم وبصيرة بما يحل ويحرم.

فالمسلمون أشد حاجة إلى الدعوة والنصيحة، وغيرهم في حاجة إلى الدعوة والبلاغ والبيان لعلهم يهتدون.

وهذه الواقعة التي وقعت من حاكم العراق على دولة الكويت وما جاء بعدها، فيها عبرة وعظة، وفيها ذكرى لنا جميعاً.

نسأل الله أن ينفعنا بذلك، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وأن يوفقنا إلى ما فيه صلاح قلوبنا، وصلاح أعمالنا، وأن يهدينا جميعاً لما يرضيه ويقربنا إليه.

والواجب على كل مسلم ومسلمة الجهاد بالنفس، والحساب لها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]، ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

والواجب على الأمير والحاكم والقاضي وكل مسؤول، أن يتقي الله، ويحاسب نفسه، ويجاهدها في الله، وأن يستقيم على

(١) سورة الحشر، الآية ١٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

دين الله، وأن يحذر محارم الله، وأن يقدم التوبة النصوح من كل ما سلف. وهكذا كل مؤمن وكل مؤمنة، والواجب على الجميع جهاد النفس؛ لعلها تستقيم، وتبتعد عن طاعة الهوى والشيطان، لعلها تلزم الحق.

والواجب شكر الله عند السراء، والصبر عند البلاء، مع التوبة من التقصير والذنوب. هذا هو الواجب على جميع المسلمين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))[1]. رواه مسلم.

فالمؤمن يشكر عند الرخاء والنعمة، ويصبر عند البلاء، يجاهدها ويتوب إلى الله، ويستقيم على دين الله، ويبتعد عن محارم الله، يناصر إخوانه، يدعوهم إلى الخير، يحاسب أهل بيته، ويدعوهم إلى الخير، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

وهكذا مع إخوانه ومع زملائه وجيرانه، ينصحهم لله، ويدعوهم إلى الحق بالأسلوب الحسن الطيب، ويحذرهم من مغبة المعاصي والشرور؛ لعلهم يتوبون ويرجعون.

---

(١) رواه مسلم في (الزهد والرقائق)، باب (المؤمن أمره كله خير) برقم ٢٩٩٩.

ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً والمسلمين لكل ما فيه رضاه وصلاح العباد، وأن يوفق شعب العراق، وأن يعينهم على إبدال هذا الرئيس الفاجر الخبيث بأصلح منه، ينفعهم في الدنيا والآخرة، وأن يعينهم على طاعة الله.

نسأل الله أن يبدلهم بخير منه، ممن يرحم العباد، ويحكم فيهم شرع الله، ويعينهم على طاعة الله.

ونسأل الله أن يوفق شعب العراق بإمام صالح، وبحاكم صالح، يعينهم على طاعة الله، ويرحم صغيرهم، ويواسي كبيرهم، ويعينهم على كل خير ويحكم شرع الله عز وجل فيهم.

ونسأل الله أن يزيل الحاكم صدام، وأن يدير عليه دائرة السوء، وأن يترل في قلبه من الرعب والخوف ما يحمله على سحب جيوشه من الكويت ومن الحدود، إنه جل وعلا جواد كريم.

وأشكركم مرة أخرى على جهودكم وأعمالكم، ونسأل الله أن يتقبل من الجميع، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

٥٥ - كلمة لعموم المسلمين
إثر بدء عمليات تحرير الكويت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد[١]:

إن ما حصل من الجهاد لعدو الله صدام حاكم العراق جهاد شرعي من المسلمين، ومن ساعدهم في ذلك؛ لكونه قد ظلم وتعدى واجتاح بلاداً آمنة بغير حق، ولهذا وجب جهاده على الدول الإسلامية؛ لإخراجه من الكويت دون قيد أو شرط؛ نصرة للمظلومين، وإقامة للحق وردعاً للظالم؛ لأن الله سبحانه أمر بذلك، وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والواجب على المسلمين بهذه المناسبة تقوى الله سبحانه وتعالى والاستقامة على دينه، والحذر عما نهى عنه، وحسن الظن بالله والتوكل عليه، والإيمان بأنه سبحانه هو الذي بيده النصر والضر والنفع، ولكنه قد شرع الأسباب وأمر بها؛ للاستعانة بها على طاعة الله، وأداء حقه، وترك معصيته، وردع

---

(١)نشرت في صحيفة (المسلمون) بتاريخ ١٤١١/٧/٣هـ، وكذلك في جريدة (الرياض) بتاريخ ١٤١١/٧/٥هـ، وفي هذا المجموع ج٧ ص ٣٨٤.

الطاغية عن ظلمه، وحماية بلاد المسلمين وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

وينبغي لكل مؤمن ومؤمنة أن يضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لطلب النصر، وتأييد الحق وأهله، وردع الظالم المعتدي، وإبطال كيده، وطلب إدارة السوء عليه، والله ولي التوفيق.

٥٦ - تحرير دولة الكويت من أيدي المعتدين الظالمين نعمة من الله عظيمة ونصر عزيز ضد الظلم والعدوان والإلحاد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: [١]

فإن ما منَّ الله به على المسلمين المجاهدين في سبيله من تحرير الكويت من أيدي الغاصبين الظالمين والمعتدين الملحدين من أعظم نعم الله سبحانه على أهل الكويت وغيرهم من المسلمين، وغيرهم من محبي الحق والعدل، فجدير بجميع المسلمين في المملكة العربية السعودية والكويت وسائر دول الخليج وغيرهم، أن يشكروا الله على ذلك، وأن يستقيموا على دينه، وأن يحذروا أسباب غضبه؛ لما منَّ الله به سبحانه عليهم من هزيمة المعتدين، ونصر المظلومين، وإجابة دعاء المسلمين.

وقد وعد الله سبحانه عباده بالنصر والعاقبة الحميدة، إذا نصروا دينه، واستقاموا عليه، واستنصروا به سبحانه وأعدوا

(١) نشرت في صحيفة (الرياض) في ١٤١١/٩/١٢هـ، في العدد ٨٣١٢، ونشرت في هذا المجموع ج٦ ص ١٥٦.

العدة لعدوهم، وأخذوا حذرهم من مكائده، كما قال عز وجل في كتابه المبين: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على وجوب الالتجاء إلى الله سبحانه في جميع الأمور، والاستعانة به وحده والاستنصار به، والاستقامة على دينه، والحذر من أسباب غضبه سبحانه، كما تدل على أنه عز وجل هو الذي بيده النصر لا بيد غيره، كما قال سبحانه:

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٩، ١٠.

(٢) سورة الحج، الآيتان ٤١،٤٠.

(٣) سورة محمد، الآية ٧.

(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

ولكنه سبحانه مع ما وعد به عباده من النصر، أمرهم بالإعداد لعدوهم، وأخذ الحذر منه، فقال عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[5]، وعلق نصرهم سبحانه على أسباب عظيمة، وهي نصر دينه: بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاستقامة على الإيمان، والعمل الصالح. فالواجب على جميع المسلمين في الكويت وغيرها، أن يأخذوا بهذه الأسباب، وأن يستقيموا عليها، وأن يتواصوا بها أينما كانوا؛ لأن الأخذ بها والاستقامة عليها من أعظم الأسباب للنصر في الدنيا، والأمن ورغد العيش والسعادة في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة، والكرامة وحسن العاقبة في

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٥) سورة النساء، الآية ٧١.

جميع الأمور، كما أوضح ذلك سبحانه في الآية الكريمة السابقة من سورة (النور)، وهي قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[١] الآية. وكما أوضح ذلك أيضاً سبحانه في قوله عز وجل في سورة (الصف): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. في هذه الآيات الكريمات، أوضح سبحانه أن الإيمان بالله ورسوله وهو يشمل أداء ما أوجب الله من الطاعات، وترك ما حرم الله من المعاصي، مع الجهاد في سبيله وهو شعبة من الإيمان هما سبب المغفرة لجميع الذنوب، والفوز بالجنة والمساكن الطيبة فيها، كما أنهما هما السبب في حصول النصر والفتح القريب.

فجدير بأهل الإسلام أينما كانوا أن يأخذوا بهذه الأسباب، ويتواصوا بها، ويستقيموا عليها أينما كانوا؛ لأنها هي سبب

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ – ١٣.

عزهم ونصرهم وأمنهم في الدنيا، وهي سبب فوزهم ونجاتهم في الآخرة، وهي أيضاً سبب الربح والفوز بأنواع الكرامة وأنواع السعادة في هذه الدنيا وفي الآخرة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١]. وأصل الإيمان وأساسه: توحيد الله والإخلاص له، وترك الإشراك به، كما قال عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٢]، والمعنى: أمر وأوصى. وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٣]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٤]. ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن، أمره أن يدعوهم أولاً إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ وما ذاك إلا لأن هذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين العظمى، من استقام عليها وأدى حقها استقام على بقية أمور الدين؛ من

---

(١) سورة العصر، كاملة.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٣) سورة الزمر، الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة البينة، الآية ٥.

الصيام والحج، وسائر ما أمر الله به ورسوله، وعلى ترك كل ما نهى الله عنه ورسوله، ومن أعظم شعب الإيمان، ومن تحقيق شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، تحكيم شرع الله بين عباده في كل شئونهم، كما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في سورة (المائدة): ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[1] الآية، ثم قال بعد ذلك سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾، إلى أن قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].
وقال عز وجل في سورة (المائدة) أيضاً: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3]، و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4]، و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5]، وقال سبحانه في سورة (النساء): ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.
(٢) سورة المائدة، الآيتان ٤٩، ٥٠
(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤.
(٤) سورة المائدة، الآية ٤٥.
(٥) سورة المائدة، الآية ٤٧.

﴿تَسْلِيمًا﴾[1]. فأوضح سبحانه في هذه الآيات الكريمات، أن الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأمة في كل زمان ومكان، أن يحكموا شرع الله في جميع ما شجر بينهم، وفي جميع شئونهم الدينية والدنيوية، وحذر سبحانه من اتباع الهوى وطاعة أعداء الله في عدم تحكيم شريعته، وأخبر سبحانه أن حكمه هو أحسن الأحكام، وأن جميع الأحكام المخالفة لحكمه كلها من أحكام الجاهلية.

وأخبر سبحانه أن الحكم بغير ما أنزل كفر وظلم وفسق، وبين سبحانه أنه لا إيمان لمن لم يحكِّم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، وينشرح صدره لذلك، ويسلم له تسليماً.

فالواجب على جميع حكام المسلمين أن يلتزموا بحكمه سبحانه وأن يحكموا شرعه بين عباده، وألا يكون في أنفسهم حرج من ذلك، وأن يحذروا اتباع الهوى المخالف لشرعه، وألا يطيعوا من دعاهم إلى تحكيم أي قانون أو نظام، يخالف ما دل عليه كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبين سبحانه أنه لا إيمان لأهل الإسلام إلا بذلك، فكل من زعم أن تحكيم القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله أمر جائز، أو أنه أنسب للناس من تحكيم شرع الله، أو أنه لا فرق بين تحكيم شرع الله، وتحكيم

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

القوانين التي وضعها البشر المخالفة لشرع الله عز وجل فهو مرتد عن الإسلام، كافر بعد الإيمان، إن كان مسلماً قبل أن يقول هذا القول أو يعتقد هذا الاعتقاد، وكما صرح بذلك أهل العلم والإيمان من علماء التفسير وفقهاء المسلمين في باب (حكم المرتد). ومن أشكل عليه شيء مما ذكرنا، فليراجع ما ذكره العلماء في تفسير الآيات السابقات، كالإمام: ابن جرير، والإمام البغوي، والحافظ ابن كثير، وغيرهم من علماء التفسير، وليراجع ما ذكره العلماء في باب (حكم المرتد)، وهو: المسلم يكفر بعد إسلامه، حتى يتضح له الحق وتزول عنه الشبهة. أما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم ذلك؛ لرشوة دفعت إليه من المحكوم له، أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه، أو لأسباب أخرى، فإنه قد أتى منكراً عظيماً، وكبيرة من الكبائر، كما أنه قد أتى نوعاً من الكفر والظلم والفسق، لكنه لا يخرجه عمل ذلك من ملة الإسلام، ولكنه يكون بذلك قد أتى معصية عظيمة، وتعرض لعذاب الله وعقابه، وهو على خطر عظيم من انتكاس القلب والردة عن الإسلام. نعوذ بالله من ذلك. وقد يطلق بعض العلماء، أنه أتى بذلك كفراً أصغر وظلماً أصغر وفسقاً أصغر، كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء، وجماعة من السلف رحمهم الله .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم

الفقه في دينه، ويوزعهم شكر نعمه، وأن يصلح قادتهم، ويولي عليهم خيارهم، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وأن يعيذنا والمسلمين جميعاً من مضلات الفتن وأسباب النقم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٥٧ - لقاء جريدة (المسلمون) مع سماحته حول الفتنة التي أحدثها حاكم العراق بغزوه للكويت

س: سماحة الشيخ: بعد أن هدأ غبار الحرب الآن، كيف السبيل في رأي سماحتكم إلى إزالة غبار الفتنة التي نشأت عن أزمة الخليج؟[١]

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلا شك أن الفتنة التي فجر أسبابها حاكم العراق فتنة عظيمة، وترتب عليها شرور كثيرة. والحمد لله الذي منَّ بالقضاء عليها، وتحرير دولة الكويت، ودحر الظالم والقضاء عليه وعلى عدوانه.

ولا شك أن ذلك من نعم الله العظيمة، فنشكر الله على ذلك ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يوفقهم لما يرضيه.

والواجب على المسلمين في مقابل هذه النعمة أن يشكروا الله عز وجل كثيراً، وأن يستقيموا على دينه، وأن يحذروا أسباب غضبه، وأن يجتهدوا في رأب الصدع

---

(١) حوار مع سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله أجراه الدكتور: عبد القادر طاش لجريدة (المسلمون) ، ونشر هذا الحوار في ٢٢ شعبان ١٤١١هـ بالعدد رقم ٣١٨، ونشر في هذا المجموع ج٦ ص ١٧٠.

ولَمِّ الشمل، على طاعة الله ورسوله واتباع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، والتواصي بالحق والصبر عليه.

هذا هو الطريق لإزالة غبار هذه الفتنة، والسلامة من شرها ومكائدها، ومكائد من دعا إليها، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[2]، ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[3]. هذا هو السبيل لإزالة غبار هذه الفتنة وآثارها السيئة.

إن السبيل الوحيد هو جمع الكلمة على طاعة الله ورسوله، والتواصي بالحق والصبر عليه من الرؤساء والأعيان والعلماء والعامة، حتى يستقيم الجميع على طاعة الله ورسوله، وحتى تكون محبتهم في الله وبغضهم في الله، وموالاتهم في الله ومعاداتهم في الله.

فنسأل الله أن يسلك بنا وبهم صراطه المستقيم، وأن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

يهدينا وإياهم لكل ما فيه رضاه، وأن يعيذنا وكافة المسلمين في كل مكان من أسباب غضبه، وأسباب النزاع الذي يؤدي بالناس إلى ما لا تحمد عقباه.

س: ما هو أبرز درس من الدروس المستفادة من هذه المحنة العظيمة التي أصابت الأمة؟

ج: إن أبرز درس: أن الفتن والحوادث تبين للناس العدو من الصديق، وتقسمهم إلى محق ومبطل، وحاسد وراغب في الخير، ومنصف وجائر.

فالواجب على المؤمن عند وجود المحن أن يكون مع الحق، لا مع هواه ولا مع الباطل، بل يجب أن يكون مع الحق، يدور معه أينما دار، ومن كان مع الحق دعا إليه ونصره، ومن كان مع الظلم والشرك والبدعة، خالفه، ودعا إلى تركه وعدم التعاون معه.

ففي هذه الفتنة، معلوم أن حاكم العراق ظالم معتد على دولة آمنة مسلمة، بغى عليها واعتدى ظلماً وعدواناً، وهو بعثي ملحد. إن واجب المسلمين جميعاً أن يكونوا مع الحق ضد الظالم والمعتدي. ومن المؤسف أن تكون جماعة من الفئة الكافرة تنصر المحق وتردع الظالم، بينما دول تنتسب إلى الإسلام تقف مع المبطل والظالم. إن هذا لمن العجائب والغرائب. فالواجب على من ينتسب للإسلام ومن يدعي الإسلام، أن يكون مع الإسلام حقيقة، وأن يكون مع طالب الحق ومع ناصر

الحق، لا مع الظالم والمعتدي، ولو كان قريبه أو أخاه. فالواجب نصر المحق وردع الظالم، والقضاء على ظلمه بالطرق المناسبة التي يحصل بها المطلوب. كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) قيل يا رسول الله: نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: ((تحجزه عن الظلم، فذلك نصرك إياه))[1]، وهذا الحديث العظيم من جوامع الكلم، فالواجب على أهل الإسلام أن يطبقوه، وأن يلتزموا به مع القريب والبعيد.

س: أدت الفتنة إلى اندفاع بعض القيادات والجماعات الإسلامية إلى تأييد الباغي، فماذا تقولون لهم الآن بعد أن انتهت الحرب؟

ج: نقول لهم: إن باب التوبة مفتوح، فالواجب على من حاد عن الصواب أن يرجع إلى الصواب، وأن يتوب إلى الله، وأن يندم على ما فرط فيه من الخطأ، وأن يعود إلى الرشد والهدى والحق، والله يمحو بالتوبة ما قبلها من الخطأ والضلال، كما قال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

﴿تُفْلِحُونَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))[٣]. والتوبة النصوح تشمل أموراً ثلاثة: الأمر الأول: الندم على الخطأ والزلل والظلم والعدوان. والثاني: الإقلاع عن الذنب وتركه، والحذر منه؛ رغبة فيما عند الله، وتعظيماً له سبحانه. والثالث: العزم الصادق على عدم العودة إليه؛ إخلاصاً لله، ومحبة وتعظيماً له.

وهناك شرط رابع لابد منه أيضاً، فيما يتعلق بحق المخلوقين: فلابد أن يتخلص من الظلم المالي والدموي والعرضي، لابد من توبة، بأن تُرد المظلمة، أو تستبيح المظلومين.

وإذا استوفى الإنسان هذه الشروط؛ رغبة فيما عند الله، وتعظيماً له سبحانه تاب الله عليه ومحا عنه سيئاته، كما قال تعالى في حق الكفرة: ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٤]، وقال سبحانه في حق الجميع: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥].

---

(١) سورة النور، الآية ٣١.
(٢) سورة التحريم، الآية ٨.
(٣) رواه ابن ماجة في (الزهد)، باب (ذكر التوبة) برقم ٤٢٥٠.
(٤) سورة الأنفال، الآية ٣٨.
(٥) سورة الزمر، الآية ٥٣.

أجمع أهل العلم أن المراد بها: التائبون.

س: هناك من يقول: إن بعض الدول والجماعات في العالم العربي والإسلامي تخلوا عنا، ووقفوا ضدنا وناصروا طاغية العراق، لذلك ينبغي أن نعيد النظر في علاقتنا بهم، ونوقف مساعداتنا لهم، وننصرف إلى شئوننا الذاتية، ونقتصر على أنفسنا، فما رأيكم في مثل هذا القول؟

ج: الواجب على الدول الإسلامية وعلى رؤسائها التعاون على البر والتقوى، ومن أراد الخير وندم على ما فرط منه من الظلم، فالمشروع أن يتعاون معه على البر والتقوى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وإذا أساء إليك بعض الناس، فمن الأحسن لك أن تقابل إساءته بالإحسان والصفح والعفو، إذا لم يستمر على الإساءة، واستقام على الحق و لم يعتد، فإن الرجوع إلى الحق ليس عيباً، ولا ينبغي أن تطغى الحزازات والعدوات على المصلحة العامة للمسلمين، فإن عاقبة ذلك وخيمة. ولكن ينبغي السير في إزالتها بالعفو والصفح والإصلاح. وعلى من أساء أن يظهر التوبة، والاعتذار عما جرى منه، وأن يبدل سيئاته حسنات. فالحسنة تمحو السيئة إذا صدق صاحبها، أما إذا استمر المعتدي على عدوانه، و لم يرغب في

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠.

الصلح والتعاون، فالواجب حينئذ عدم التعاون معه، إذا كان التعاون معه يضر الدعوة الإسلامية، أو يضر المجتمع الإسلامي، أو يفضي إلى فساد الأخلاق.

س: انساقت بعض الجماهير ومنهم بعض شباب الصحوة الإسلامية في بعض البلدان وراء بعض القيادات التي رفعت شعارات تناصر النظام العراقي العلماني، مما يدل على أن هناك قصوراً أو خللاً في منهج الدعوة، وقلة العلم الشرعي الذي تربى عليه هؤلاء الشباب.

فكيف يمكن أن نعالج مثل هذا الخلل؟ وما هو دور العلماء في ذلك؟

ج: لاشك أن هذا واقع، وأن نقص العلم يسبب وقوع المجتمع في أخطاء كثيرة. والواجب على العلماء في كل مكان بذل الدعوة، وبذل النصيحة، ونشر العلم بين الناس، ولا سيما بين الشباب الذين يرغبون في العلم، ويدعون إلى الله عز وجل . وعلى طالب العلم أن يقبل على العلم، ويسعى إلى أن يتبصر، ولا يعجل. والواجب على الشباب، وعلى غيرهم ممن ليس عندهم العلم الكافي، ألا يعجلوا في الأمور، وأن يتفقهوا في الدين، ويستمعوا لتوجيه العلماء مما يقال ويكتب؛ حتى يكونوا على بينة، وعليهم أن يتدبروا ما يطلعون عليه أو يقال لهم أو يسمعونه في إذاعة أو غيرها، ويعرضوه على الأدلة الشرعية، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم، وممن يوثق فيهم؛

حتى يكونوا على بينة، ويتحروا أهل العلم الذين يعرفون بنشر الحق والعناية به، وإقامة الأدلة عليه، ويستفيدوا من علمهم.

أما الاندفاع مع الشعارات التي يروج لها فلان أو فلان أو يؤيدها فلان أو فلان، فهذا لا ينبغي لعاقل، وإن كثرة الكلام والبلاغة ليست دليلاً على الحق، بل الدليل على الحق هو ما قاله الله سبحانه وما قاله رسوله صلى الله عليه وسلم مع العناية بدراسة القواعد الشرعية، والأسس المرعية التي دل عليها قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي المعيار الذي يستنبط منه، ويؤخذ عن طريقه الحق عند عدم وجود النص من الكتاب أو السنة. أما قول فلان، وما أذاعته الإذاعة الفلانية، فهذا لا ينبغي لعاقل أن يغتر به، بل ينبغي للعاقل أن يكون الكتاب والسنة والقواعد الشرعية، هي التي ينبني عليها ما يختاره وما يرده. وينبغي أيضاً ألا يستقل بنفسه في بعض المسائل التي تخفى عليه، بل ينبغي أن يستفيد من إخوانه، وأن يسأل من يثق به من أهل العلم، وألا يعجل في الأمور؛ حتى يطمئن إلى أن هذا هو الحق، لا لأنه قاله فلان أو الحاكم الفلاني أو الرئيس الفلاني أو الزعيم الفلاني.

س: ترك الشورى وعدم تطبيق الشريعة، كان من أبرز الأسباب التي أدت إلى طغيان حاكم العراق، فهل من كلمة توجهونها عبر جريدة (المسلمون) لقادة المسلمين

وأعيانهم في هذا المجال؟

ج: الشورى من أهم المهمات في الدول الإسلامية والجماعات الإسلامية؛ لذلك ينبغي العناية بالشورى الإسلامية، وهي من صفات المؤمنين كما قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١]، وقال جل وعلا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٢].

فالتشاور في الأمور التي ليس فيها دليل واضح من أهم المهمات، أما إذا كان النص صريحاً من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تشاور، إنما الشورى تكون فيما قد يخفى من المسائل، التي تبدو للحاكم أو للجماعة أو للمركز الإسلامي ومن فيه أو لغير ذلك، هذا محل الشورى، والشورى تكون في معرفة الحق، أو في كيفية تنفيذه والدعوة إليه، أو في معرفة الباطل، وفي أدلته، وكيفية القضاء عليه ودفعه ومحاربته.

وهناك أمر ينبغي أن يلاحظ، وهو أن الشورى محكومة من أهل العلم والبصيرة، وأعيان الناس العارفين بأحوال المجتمع، يتشاورون ويتعاونون، لا من هب ودب، ولا من الناس الملاحدة، أو من الناس المعروفين بالعقائد الزائفة، بل من الناس المعروفين بالعقل الراجح والعلم والفضل، والتبصر في أحوال الناس إن كانوا من أعيان المجتمع؛ حتى يحصل التعاون معهم في معرفة الحق

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

فيما قد يخفى دليله، أو في الأمور التي تحتاج إلى نظر وعناية في كيفية تنفيذ الحق، أو كيفية ردع الباطل والقضاء عليه.

س: في أثناء الأزمة حصل شيء من الاختلاف بين طلبة العلم والخطباء وإن كان محدوداً والحمد لله فماذا تقولون في ذلك؟

ج: لاشك أنه وقع بعض الاختلاف في بعض المسائل، من بعض المحاضرين وبعض الخطباء وفي بعض الندوات، عن حسن ظن، أو عن جهل من بعض إخواننا. والواجب على الجميع الرجوع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أن الواجب على الخطيب وعلى المحاضر في الندوات، أن يتثبت في الأمور، وألا يتعجل، حتى يطمئن أنه على الحق والهدى بالأدلة الشرعية، فلا ينبغي أن يعجل في فتوى أو إصدار أحكام على غير بصيرة. وعلى كل طالب علم، وعلى كل من يشارك في الندوات، أو يلقي المحاضرات، أو يقوم بخطب الجمعة أو غيرها، أن يتثبت في الأمور، وألا يحكم على أي شيء بأنه حرام أو واجب أو مستحب أو مباح أو مكروه إلا على بصيرة؛ حتى لا يضل الناس بسببه.

وأما مسألة الاستعانة بالدول الأجنبية، فإن بعض إخواننا ظن أن هذا لا يجوز، وأن ما أقدمت عليه الدولة السعودية، من الاستعانة ببعض الدول الأجنبية غلط. فهذا غلط من قائله.

فالدولة السعودية كانت محتاجة إلى هذا الشيء، بل مضطرة؛ لما عند حاكم العراق من قوة كبيرة، ولأنه باغت دولة الكويت واجتاحها ظلماً وعدواناً، فاضطرت الدولة السعودية إلى الاستعانة ببعض المسلمين وبعض الدول الأجنبية؛ لأن الواقع خطير، والمدة ضيقة ليس فيها متسع للتساهل.

فهي في هذا الأمر قد أحسنت، وفعلت ما ينبغي لردع الظالم وحصره؛ حتى لا يقدم على ضرر أكبر، وحتى يسحب جيشه من الدولة المظلومة. والمقصود: أن الاستعانة بالمشرك أو بدولة كافرة عند الحاجة الشديدة أو الضرورة، وفي الأوقات التي لا يتيسر فيها من يقوم بالواجب، ويحصل به المطلوب من المسلمين أمر لازم لردع الشر الذي هو أخطر وأعظم، فإن قاعدة الشرع المطهر هي: " دفع أكبر الضررين بأدناهما "، وتحصيل كبرى المصلحتين، أما أن يتساهل الحاكم أو الرئيس أو ولي الأمر أو غيرهم من المسؤولين حتى يقع الخطر وتقع المصيبة، فذلك لا يجوز، بل يجب أن يتخذ لكل شيء عدته، وأن تنتهز الفرص لردع الظلم والقضاء عليه، وحماية المسلمين من الأخطار، التي لو وقعت لكان شرها أخطر وأكبر.

وقد درس مجلس هيئة كبار العلماء هذه المسألة، وهي: الاستعانة بغير المسلمين عند الضرورة في قتال المشركين والملاحدة، وأفتى بجواز ذلك عند الضرورة إليه، للأسباب التي ذكرناها آنفاً. والله المستعان.

٥٨ رسائل الشيخ ابن باز إلى الشعب الكويتي، وأهالي الشهداء والشعب العراقي والشباب والعلماء وطلبة العلم(١)

أ: الشعب الكويتي:

نحمد الله لكم أن يسر لكم تحرير بلادكم، ونشكر الله على ذلك، ونسأله سبحانه أن يضاعف الأجر والمثوبة لإخوانكم المسلمين الذين ساهموا في هذا الأمر العظيم، وأن يجزيهم خيراً، وأن يوفق المسلمين جميعاً لكل ما فيه رضاه، وأن يكونوا أبداً متعاونين على البر والتقوى و على ردع الظلم.

إن عليكم أيها الأخوة في الكويت، أن تشكروا الله على النعمة العظيمة بتحرير بلادكم من الظالم المعتدي، وعليكم أن تستقيموا على دين الله، وأن تتوبوا إلى الله من جميع الذنوب، وأن تتناصحوا وتتعاونوا على البر والتقوى؛ حتى تستمر النعمة ويكفيكم الله شر الأعداء.

---

(١) صدرت من مكتب سماحته بعد تحرير دولة الكويت من العدوان العراقي، ونشرت في هذا المجمـــوع ج٦ ص ١٨٠.

ب: أهالي الشهداء:

إلى أولياء وأهالي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وفي نصر المظلوم وردع الظالم، وإقامة الحق، إنهم في هذا الأمر على خير عظيم، ونرجو لهم الشهادة والنجاة من النار، والسعادة، ونعزي ذويهم وأقاربهم وأصحابهم، ونسأل الله أن يرحمهم ويغفر لهم، وأن يجبر مصيبة ذويهم، ويحسن عزاءهم، ويعوضهم عنهم خيراً، وأن يرزقهم الصبر والاحتساب، وأن يغفر للميتين، ويصلح أحوال الأحياء، إنه جواد كريم.

وفي الحقيقة إنها نعمة من الله؛ فالقتل في سبيل الحق وإنقاذ المسلمين من الشر، وردع الظالمين، ونصر دين الله، والقضاء على الفساد، من نعم الله العظيمة، ومن الجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يهنأ أولياؤهم بهذا الخير العظيم الذي رزقهم الله، وهو الشهادة.

ج: الشعب العراقي:

أوصيكم أيها الشعب العراقي بتقوى الله، والتوبة إليه مما سلف منكم من شر وخطأ، وظلم وعدوان، وأن تجتهدوا في اختيار الحاكم الصالح الذي يُحكم فيكم شرع الله، ويقودكم إلى الجنة والكرامة.

وأن تحذروا شر صدام وأمثاله، وأن تحرصوا على عدم بقائه في الحكم، وأن تجتهدوا في كل ما يقرب إلى الله

ويبعد عن غضبه، ومن أسباب ذلك اختيار الحاكم الصالح الذي يُحكّم شرع الله، ويدعو إلى دين الله، ويحارب البدع والأهواء، ويبتعد من الإلحاد والدعوة إليه.

وينبغي لكم أن تختاروا الحاكم من أهل السنة لا من البعثيين، ولا من غيرهم ممن يخالف شرع الله ؛ حتى يقودكم إلى طاعة الله، ويباعدكم عن أسباب غضبه وانتقامه.

د: شباب الصحوة:

أوجه رسالتي هذه، إلى جميع الشباب الذين وفقهم الله إلى التمسك بالدين، والدعوة إليه، والتفقه فيه في جميع بلاد الله. وأوصيهم بتقوى الله، والتثبت في الأمور وعدم العجلة، كما أوصيهم بالعناية بالقرآن الكريم؛ تلاوة وتدبراً وحفظاً ومراجعة ومدارسة، وأوصيهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظاً لها وعناية بها ومذاكرة فيها. وأوصيهم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والأسلوب الحسن والكلام الطيب، لا بالعنف والشدة، وإنما باللين والتبصر، كما قال عز وجل: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، وأوصيهم بعدم العجلة في كل الأمور، والتثبت والتشاور والتعاون على الخير؛ حتى يفقهوا الدين

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

كما ينبغي، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))[1]، فالعجلة قد تفضي إلى شر عظيم، فالواجب التثبت والعناية بالأدلة الشرعية، والحرص على حلقات العلم عند أهل العلم المعروفين بالاستقامة وحسن العقيدة.

هـ: العلماء وطلبة العلم:

أوصي العلماء جميعاً وطلبة العلم بتقوى الله، والعناية بتحقيق الأدلة الشرعية، لا بتقليد فلان أو فلان، كما أوصيهم جميعاً بالعناية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومراجعة كلام العلماء؛ حتى يعرفوا الحق بالدليل لا بقول فلان وتقليد فلان، كما أوصي طلبة العلم أن يتفقهوا في الدين، وأن يأخذوا العلم من أدلته الشرعية، ويتعاونوا على البر والتقوى، ويتواصوا بالحق والصبر عليه، وينشروا العلم بين الناس؛ في المساجد وفي غير المساجد، وفي الخطب والندوات، وحلقات العلم في المدارس والجامعات، وأينما كانوا، وأسأل الله للجميع التوفيق.

---

(١) رواه البخاري في (العلم)، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) برقم ٧١، ومسلم في (الزكاة)، باب (النهي عن المسألة) برقم ١٠٣٧.

٥٩ - لقاء أجراه مندوب مجلة المجتمع حول الغزو العراقي للكويت[1]

س: لقد بغى النظام البعثي الكافر في العراق على الكويت، وروع أهلها، واغتصب أرضها وضمها إلى حكمه، ولقد أجاز البعض هذا الفعل بدعوى أنه تمهيد للوحدة بين المسلمين.

فهل تجيز الشريعة الإسلامية هذا المسلك الذي سلكه النظام العراقي؛ لتحقيق الوحدة الإسلامية؟

ج: بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه، أما بعد:

فلا ريب أن ما عمله حاكم العراق مع الكويت منكر عظيم، وعدوان شنيع لا تجيزه الشريعة الإسلامية، بل تنكره وتحذر منه؛ لما اشتمل عليه من الظلم والعدوان وسفك الدماء ونهب الأموال بغير حق، هذا لو كان مسلماً، فكيف وهو كافر بعثي ملحد، وإن ادعى الإسلام في بعض الأحيان، أو مدح بعض شعائر الإسلام في بعض الأوقات. فالكافر عند الحاجة ينافق، ثم يعود إلى أصله ومعدنه. كما قال الله سبحانه وتعالى في

(١) لقاء مع سماحة الشيخ، أجراه الأستاذ: عبد الله المحلي لمجلة (المجتمع) في ١٤١٢/٥/١٨هـ العدد ٩٧٧، ونشر في هذا المجموع ج٧ ص: ٣٨٥

أمثاله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[1]. ومن زعم أن هذا التصرف الذي فعله حاكم العراق تجيزه الشريعة الإسلامية؛ تمهيداً لوحدة المسلمين، فهو غالط غلطاً كبيراً، وليس ذلك مما تجيزه الشريعة، وليس ذلك أيضاً مما يعتبر تمهيداً لوحدة المسلمين، فإن الوحدة إنما يسعى لها، ويقوم بالدعوة إليها أهلها المستقيمون عليها المحافظون على حدودها الداعون إليها قولا وعملا وعقيدة، لا من حاربها بقوله وعمله وعقيدته.

س: لقد وقف البعض ضد قوات التحالف التي حررت الكويت، بدعوى أنها تضم غير المسلمين، ووقفوا مع النظام الكافر في العراق، بدعوى أنه نظام يسوس المسلمين.

فهل تجيز الشريعة الإسلامية الوقوف مع النظام الكافر الذي يسوس المسلمين حتى ولو كان ظالماً لمجرد تعاطف الغربيين من النصارى مع المظلومين من المسلمين؟

ج: لا تجوز مناصرة الظالمين ولو كانوا مسلمين، فكيف بغير المسلمين؟ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، قيل يا رسول الله: نصرته مظلوماً، فكيف

(١) سورة النساء، الآيتان ١٤٢، ١٤٣.

أنصره ظالماً؟ قال: ((تحجزه عن الظلم))[١].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المظلوم، ولو كان المظلوم كافراً، فكيف إذا كان المظلوم مسلماً؟ فإن الأمر يكون أشد إثماً، وأعظم جريمة في حق الظالم، والله يقول سبحانه في كتابه العظيم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢]، وليس من البر ولا من التقوى نصر الظالم، وإعانته على ظلمه.

أما الاستعانة ببعض الدول الكافرة لنصر المظلومين من المسلمين ضد الظالم، والوقوف في صفهم ضده، فهذا شيء لا حرج فيه، وقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أريقط الديلي وهو وثني في الدلالة على طريق المدينة، حين هاجر إليها عليه الصلاة والسلام واستعان بدروع صفوان بن أمية في حرب هوازن يوم حنين، وهو كافر[٣]، واستعان باليهود في تعمير مزارع خيبر بالنصف من ثمارها، لما كان المسلمون مشغولين عنها بالجهاد. والأدلة في ذلك كثيرة، وهي دالة على جواز الاستعانة بمن يراه ولي الأمر من أهل الشرك

---

(١) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) وذلك قبل أن يسلم.

على أهل الشرك، عند الحاجة إلى ذلك، وعند غلبة الظن في أن المستعان به ينفع المظلومين وينصرهم ولا يضرهم، لما ذكرنا من الأدلة، ولغيرها من الأدلة التي ذكرها أهل العلم في هذه المسألة.

س: تراكض البعض في مبايعة طاغية العراق، لمجرد أنه رفع بعض الشعارات الإسلامية، بالرغم من ماضيه القبيح في حربه للإسلام، وفتكه بالمسلمين، وبالرغم من استمرار حاضره على منواله المعروف. فهل تقبل الشريعة الإسلامية مبايعة طاغية سفاح، يعلن الكفر منهجاً له؛ لمجرد مدحه لبعض شعارات الإسلام؟ وما رأي الشريعة فيمن بايع أو أيد أو ناصر هذا الطاغوت؟

ج: لا ريب أن مبايعة مثل هذا الطاغوت ومناصرته من أعظم الجرائم، ومن أعظم الجناية على المسلمين، وإدخال الضرر عليهم؛ لأن من شرط البيعة أن يكون المبايع مسلماً، ينفع المسلمين ولا يضرهم.

أما حاكم العراق فهو بعثي ملحد، قد أضر المسلمين بأنواع من الضرر في بلاده، ثم اعتدى على جيرانه، فجمع بين أنواع الظلم، علاوة على ما هو عليه من العقيدة الباطلة البعثية، ولو أظهر بعض الشعارات الإسلامية، فالمنافقون يصلون مع الناس ويتظاهرون بالإسلام، وذلك لا ينفعهم لفساد عقيدهم.

وقد أخبر الله عنهم سبحانه في كتابه العظيم بصفاقم الذميمة، وأخلاقهم المنكرة، وأخبر أن مصيرهم هو الدرك الأسفل من النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء﴾[1] الآية، وقال عز جل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾[2]. نسأل الله لحاكم العراق وأنصاره من الظالمين أن يردهم إلى الهداية، وأن ينقذهم مما هم فيه من الضلال، وأن يكفي المسلمين شرهم وشر غيرهم، إنه خير مسؤول.

س: يميل البعض إلى تفسير الكارثة التي حلت بالكويت، على أنها عقاب من الله تعالى للكويتيين؛ للفساد الذي انتشر في بلادهم، ويرى بعض آخر أن الكويت كانت من البلدان التي تحارب الفساد، وتنشط في الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي أقل فساداً من كثير من البلاد الإسلامية، وأن شعبها من أنشط الشعوب الإسلامية في الأعمال الخيرية والدعوة للإسلام، وأن ما حل بهم بلاء من الله لإيمانهم، فكيف يرى فضيلتكم

(١) سورة النساء، الآيتان ١٤٢، ١٤٣.

(٢) سورة النساء، الآيتان ١٤٥، ١٤٦.

تفسير هذه الكارثة من منظور إسلامي؟

ج: لا ريب أن المعاصي لها آثار سيئة على المجتمع الذي تظهر فيه، ولا تنكر؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1]، ولقوله عز وجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2].

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه))[3].

فالمعاصي شرها عظيم، وعواقبها وخيمة، وكل ما أصاب المسلمين من العقوبات والنقمات وتسليط الأعداء، كله بأسباب الذنوب والمعاصي، كما قال الله جل وعلا فيما أصاب الناس يوم أحد وفيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو أفضل الخلق وفيهم الصحابة، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء قال فيهم جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، مسند أبي بكر الصديق برقم ١ و ١٦، وابن ماجة في (الفتن)، باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) برقم ٤٠٠٥.

﴿تُحِبُّونَ﴾، والجواب محذوف تقديره: سلط عليكم العدو، ثم قال بعدها: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يعني: يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني: يوم بدر ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

فبين سبحانه أن ما أصابهم بأسباب ما حصل من الرماة، الذين أخلوا بالموقف، وعصوا الرسول عليه الصلاة والسلام فسلط عليهم العدو، حتى قتلوا من قتلوا وجرحوا من جرحوا، وحصلت الهزيمة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أصيب وجرح، وكسرت البيضة على رأسه، وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام .

فالمعاصي شرها كبير وعواقبها سيئة، والواجب على جميع المسلمين الحذر منها، والبدار بالتوبة إلى الله منها.

س: ما هي الكلمة التي توجهونها لحكام الكويت وشعبها، بعد أن منَّ الله تعالى عليهم بالنصر على عدوهم، وتحرير بلدهم؟

ج: أوصي أهل الكويت وغيرهم بالبدار إلى التوبة

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

والإصلاح، والحرص على إقامة شريعة الله في أرضهم وبلادهم، وعلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادهم. هذا هو الواجب عليهم سواء أصابتهم عقوبة أم لم تصبهم عقوبة .

ولاشك أن هذه المصيبة التي أصابتهم بسبب حاكم العراق، لاشك أنها موعظة وذكرى، ونسأل الله أن يجعلها كفارة للذنوب، وحطاً من خطايا المسلمين في الكويت وغيرها. ولكن يجب على أهل الكويت حكومة وشعباً أن يتقوا الله، وأن يصلحوا ذات بينهم، وأن يحكِّموا شريعة الله في جميع شئونهم، وأن يبادروا بالتوبة النصوح من جميع الذنوب، وأن يحاسبوا أنفسهم ويجاهدوها لله؛ حتى لا تصيبهم مصائب أخرى، وحتى يسلموا من عقاب الله في الدنيا والآخرة.

وهذا هو واجب المسلمين جميعاً، عليهم أن يتقوا الله أينما كانوا، وأن يحاسبوا أنفسهم، وأن يتوبوا إلى الله من سالف ذنوبهم، وأن يحكِّموا شرعه المطهر فيما بينهم، وأن يستقيموا على الحق حتى يلقوا ربهم سبحانه وتعالى. هذا هو طريق النجاة، وهذا هو سبيل السلامة في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]،

(١) سورة الحشر، الآية ١٨.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. فالواجب على أهل الإسلام أينما كانوا، أن يتقوا الله، وأن يحاسبوا أنفسهم أبداً، وأن يحذروا المعاصي، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منها، وأن يستقيموا على طاعة الله ورسوله حتى يلقوا ربهم، وأن يتواصوا بذلك، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، كما قال الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(٥) سورة النور، الآية ٣١.

(٦) سورة التوبة، الآية ٧١.

هذا وعده سبحانه لمن استقام على دينه، أن يرحمه في الدنيا بالتوفيق والنصر، وفي الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار. رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

وقد يمهل الله سبحانه بعض الكفرة والعصاة ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ لحكمة بالغة، وأسرار عظيمة، ومنها: أن ذلك يكون أشد لعقوبتهم في الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[1]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد به الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة))[2].

نسأل الله لنا ولجميع المسلمين العافية من غضبه وأسباب عقابه، والتوفيق لحسن العاقبة؛ إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

(٢) رواه الترمذي في (الزهد)، باب (ما جاء في الصبر على البلاء) برقم ٢٣٩٦.

٦٠ - نداء عام لمساعدة المسلمين في البوسنة والهرسك

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى من تبلغه هذه الرسالة من المسلمين حكومات وشعوباً وفقهم الله لما فيه رضاه، ونصر بهم الحق، آمين:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: [١]

فإن إخوانكم من المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك يعذبون من أعداء الله، ويقتلون ويعاملون بأنواع العذاب والظلم. فالواجب عليكم جميعاً مساعدتهم بأنواع المساعدات؛ بالمال والجاه والدعاء؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه[٤]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

---

(١) صدرت من مكتب سماحته، ونشرت في هذا المجموع ج٦ ص: ٤١٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٢.

(٤) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

الجسد بالسهر والحمى))[1]. متفق على صحتهما.

ولما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من الأمر بنصر المظلوم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه))[2]. متفق على صحته.

ولما أوجب الله من نصر المسلمين ضد أعداء الله، فإن إخوانكم من المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك في صراع مع أعداء الله من الصرب وأنصارهم، فالواجب على جميع المسلمين أن يساعدوهم بالمستطاع؛ للأدلة المذكورة من الآيات والأحاديث، ولقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم))[4]. وهم أحق الناس بالمساعدة من الزكاة

(١) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٢) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلم المسلم) برقم ٢٤٤٢، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٠.

(٣) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٤) رواه البخاري في (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب (الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، برقم ٧٢٨٨ ومسلم في (الحج)، باب (فرض الحج مرة في العمر) برقم ١٣٣٧.

وغيرها؛ دعماً لنضالهم، وسداً لحاجاتهم، وإعانة لهم على الصمود أمام أعداء الله سبحانه وتعالى .

ونوصي جميع لجان الإغاثة في المملكة العربية السعودية وغيرها بالعناية بشأنهم، وجمع التبرعات لهم من الزكاة وغيرها.

والله المسؤول أن يوفق المسلمين حكومات وشعوباً لكل خير، وأن ينصر بهم دينه، ويخذل بهم أعداءه، وأن يعينهم على نصر إخوانهم المظلومين في كل مكان.

وأن يوفق إخواننا المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك وغيرهما لكل ما فيه رضاه، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يجمعهم على الحق، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، وأن يكتب لهم النصر على أعدائه سبحانه ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
والرئيس العام لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
في المملكة العربية السعودية

٦١ - نداء إلى الأمة الإسلامية
لمساعدة شعب البوسنة والهرسك

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى من يبلغه من المسلمين في كل مكان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: [١]

فليس يخاف عليكم ما يعانيه شعب البوسنة والهرسك من ظلم واضطهاد، وتقتيل وتشريد، وحرب لا هوادة فيها، تدمر الأخضر واليابس من قبل طغمة كافرة معتدية، ظالمة حاقدة على الإسلام والمسلمين، هم أولئك الصرب الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً أن يبادروا إلى مساعدتهم بجميع أنواع المساعدات؛ من النقود والغذاء والدواء، وغير ذلك من أنواع المساعدات، كل على حسب قدرته؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]، وقوله سبحانه:

---

(١) صدر من مكتب سماحته بتاريخ ٨/٢/١٤١٤هـ، ونشر في هذا المجموع ج٨ ص٢٠٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) سورة التغابن، الآية ١٦.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه))[4]. متفق على صحته، ومعنى لا يسلمه: لا يخذله.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا))[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله مثل الصائم القائم))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يكذبه، ولا يحقره، ولا يخذله))[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٤.

(٤) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلم المسلم) برقم ٢٤٤٢، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٠.

(٥) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) برقم ٢٨٤٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله) برقم ١٨٩٥.

(٦) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله) برقم ٢٥٦٤.

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والإنفاق في سبيل الله، ومساعدة المظلومين وردع الظالمين كثيرة جداً.

فأوصيكم أيها المسلمون جميعاً بالمساعدة العاجلة لإخوانكم، بواسطة اللجان الموثوقة والهيئات المأمونة، ومن الهيئات الموثوقة (الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك)، التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير المكرم / سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .

فأوصي الجميع بدعمها بصفة مستمرة، حتى ينصر الله المسلمين وأعوانهم في البوسنة والهرسك، ويخذل الظالمين، وتضع الحرب أوزارها، وهم مستحقون للمساعدة من الزكاة أو غيرها. مع العلم بأن التبرعات تودع في (بنك الرياض)، و(مصرف الراجحي)، و(البنك الأهلي).

والله المسؤول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وينصر إخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك على أعداء الله من الصرب وغيرهم، وأن يكبت أعداء الإسلام أينما كانوا، كما أسأله سبحانه أن يوفق المجاهدين في سبيله في كل مكان، وينصرهم على عدوهم، إنه جل وعلا سميع الدعاء قريب الإجابة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٦٢- وجوب نصر المسلمين المظلومين في البوسنة وغيرها على جميع المسلمين وغيرهم حسب الاستطاعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد: [١]

فإن من عرف أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك، وما جرى عليهم من الظلم من الكروات والصرب وأنصارهم، يتألم كثيراً ويحزن لخذلان إخوانهم لهم، وعدم نصرهم النصر الكافي، الذي يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، واستعادة ما أخذه عدوهم من أرضهم.

وقد أوجب الله سبحانه نصر المظلومين وردع الظالمين من المسلمين وغيرهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ﴾[٢] الآية.

فإذا كانت الطائفة المؤمنة الباغية يجب أن تقاتل حتى تفيء إلى الحق، فالظالمة الكافرة من باب أولى، وقال تعالى

---

(١) نشرت في هذا المجموع ج٨ ص٢٥٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٩.

﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]، والمعنى: يجب أن لا يتولاهم أحد ولا ينصرهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[3].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة، الأمر بنصر المظلوم، فقال عليه الصلاة والسلام: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، قيل يا رسول الله: نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟! قال: ((تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه))[4]، فنصر المظلوم وردع الظالم من أي جنس، كان واجب شرعاً و عقلاً وفطرة.

فالواجب على جميع الدول الإسلامية، وعلى مجلس الأمن، وعلى مجلس هيئة الأمم، أن ينصروا المظلومين في البوسنة وغيرها بالمال والسلاح والرجال، وأن يردعوا الظالمين

(١) سورة الشورى، الآية ٨.

(٢) سورة الشورى، الآية ٤٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٤) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

بجميع الوسائل الرادعة؛ حتى يقف الظالم عند حده، وحتى يُعطى المظلوم جميع حقوقه، وبذلك تبرأ الذمة، ويستحق الثواب الجزيل من الله عز وجل من فعل ذلك ابتغاء وجهه، وبذلك أيضاً يأمن العباد، وتستوفى الحقوق، ويقف الظالمون عند حدودهم، وقد قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة))[3]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عز وجل: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا))[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة العصر، كاملة.

(٣) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (الظلم ظلمات يوم القيامة) برقم ٢٤٤٧، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٧٨.

(٤) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٧٧.

في حاجته))[1].

والآيات والأحاديث في وجوب نصر المظلوم وردع الظالم، والتعاون على الخير والتواصي بالحق والصبر عليه كثيرة معلومة.

والله المسئول، أن ينصر المظلومين في كل مكان، وأن يذل الظالمين ويخذلهم، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، وأن ينصرهم بالحق وينصر الحق بهم، وأن يعيد الجميع من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه مسلم في (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) برقم ٢٦٩٩.

٦٣- دعوة إلى المبادرة بإسعاف المسلمين في البوسنة والهرسك

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، أما بعد: (١)

فإن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، تهيب بالمجتمع الدولي وبالحكومات الإسلامية إلى المبادرة بإسعاف المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك بالقوة العسكرية، التي تعينهم على الدفاع عن أنفسهم، وتردع الصرب الظالمين عن عدوانهم.

ولاشك أن كل من له أدنى معرفة بالواقع ورغبة في العدالة، يعلم ظلم الصرب وعدوانهم على المسلمين في البوسنة والهرسك، وأنهم جديرون بإيقافهم عند حدهم، وإنزال أشد العقوبات بهم؛ حتى يرتدعوا عن ظلمهم ويلتزموا بالمواثيق الدولية، وحتى يسلم المسلمون في البوسنة والهرسك من ظلمهم وعدوانهم المتكرر، بلا حياء ولا خجل، ولا مراعاة للعهود الدولية.

فالله الله أيها الحكام المسلمون، انصروا إخوانكم، وقفوا

(١) نشرت في هذا المجموع ج٨ ص٢٥٦.

في صفهم، وادفعوا العدوان عنهم، وطالبوا المجتمع الدولي باستعمال نفوذهم في إيقاف الصرب عن عدوانهم، وإنزال أشد العقوبات بهم؛ حتى يقفوا عند حدهم، ويلتزموا بالمواثيق الدولية التي التزم بها المسلمون في البوسنة والهرسك.

والله المسئول أن ينصر الحق وأهله، وأن يخذل الباطل وحزبه، وأن ينزل بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين بأعداء الله الصرب الظالمين، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس المجلس التأسيسي

لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

٦٤ - ساعدوا مسلمي
البوسنة والهرسك بالمال والسلاح

دعا سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء المسلمين حكومات وشعوباً لمساندة المسلمين في البوسنة والهرسك، ودعمهم بالسلاح والمال والدعاء؛ لحاجتهم لذلك.

جاء ذلك في كلمة وجهها سماحته لعموم المسلمين، وقال فيها: [(١)]

نظراً لما ابتلى به المسلمون في البوسنة والهرسك؛ من تسلط الصرب على المسلمين هناك بأنواع القتل والأذى والظلم والعدوان، ونظراً إلى صمود المسلمين هناك ضد عدوهم، وصلابتهم في دينهم، وحاجتهم إلى الدعم والمساعدة من إخوانهم المسلمين حكومات وشعوباً فإني أوصي المسلمين جميعاً بالوقوف في صفهم، والعناية بدعمهم، ومساعدتهم بالسلاح والمال والدعاء؛ لأنهم في أشد الحاجة إلى ذلك، وقد

---

(١) نشرت في جريدة (الشرق الأوسط) في العدد ٦٠٩٥ في ١٠/٣/١٤١٦هـ، وفي هذا المجموع ج ٨ ص٢٦٢.

قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته))[١]. متفق على صحته.

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة الصافات، الآية ٣٧.

(٤) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٥) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٦) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد، والتعاون على البر والتقوى، وإعانة المسلم لأخيه بكل ما يستطيع، ولاسيما ضد الأعداء كثيرة جداً.

ومن التعاون على البر والتقوى: الدعاء لهم في أدبار الصلوات بالقنوت؛ تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فإنه كان عليه الصلاة والسلام إذا نزلت بالمسلمين شدة أو عدو، قنت في الصلاة ودعا على المشركين، وذلك بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة من صلاة الفجر وغيرها، وكان أغلب قنوته صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر والمغرب، وربما قنت في الصلوات الخمس جميعاً.

فالله الله أيها المسلمون في نصر إخوانكم في البوسنة والهرسك بكل ما تستطيعون؛ من السلاح والمال والدعاء، لعل الله يتقبل منكم وينصر بكم إخوانكم، فإن الأعداء قد تكالبوا عليهم، وخذلوهم وساعدوا أعداءهم.

والله سبحانه وتعالى أوجب على المسلمين أينما كانوا أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ضد عدوهم، وأن يسألوه النصر على الأعداء وحسن العاقبة، وهو القائل سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، وهو القائل عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن

(١) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلم المسلم) برقم ٢٤٤٢، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٠.

(٢) سورة غافر، الآية ٦٠.

يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن ينصر إخواننا المسلمين في البوسنة وغيرها على أعدائهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يثبتهم على الهدى، وأن يخذل أعداءهم، ويجعل الدائرة عليهم، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

---

(١) سورة الحج الآيتان ٤٠، ٤١.

٦٥- مناشدة المسلمين لمساعدة الشيشان

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك الله بنا وبهم سبيل عباده الصالحين، وجعلنا وإياهم من أنصار دينه القويم آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: [(١)]

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(٢)]. وقال عز وجل: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٣)]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم

(١) نشرت في جريدة اليوم في العدد ٧٩٧٤ ليوم السبت ١٥/١١/١٤١٥هـ وفي هذا المجموع ج٨ ص٢٦٦.

(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ ١٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤١.

بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا))[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) رواه البخاري في (الأدب)، باب(رحمة الناس والبهائم)برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم)برقم ٢٥٨٦.

(٣) رواه البخاري في (المظالم والغصب) ، باب (نصر المظلوم)برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم)برقم ٢٥٨٥.

(٤) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب(فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) برقم ٢٨٤٣، ومسلم في (الإمارة) ، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله)برقم ١٨٩٥.

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد، والإنفاق فيه، والتشجيع على ذلك كثيرة معلومة. ولذا، فإن من واجب المسلمين المسارعة إلى نجدة إخوانهم الذين يتعرضون للظلم والعدوان، ومن هؤلاء إخوانكم في الشيشان، يقاومون اعتداء روسيا على بلادهم، ويحتاجون إلى مد يد المساعدة لهم؛ حتى يتمكنوا من مقاومة أعدائهم الذين يملكون العدة والعتاد. فمساعدة المجاهدين بالنفس والمال من أفضل القربات، ومن أعظم الأعمال الصالحات، وهم من أحق الناس بالمساعدة من الزكاة وغيرها، وهم في أشد الضرورة إلى دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم في قتال عدوهم عدو الإسلام والمسلمين وتطهير بلادهم من رجس الكفرة من الشيوعيين وغيرهم.

والواجب على إخوانهم المسلمين من الحكام والأثرياء أن يدعموهم، ويعينوهم، ويشدوا أزرهم، وإني أهيب بجميع إخواني المسلمين؛ من رؤساء الحكومات الإسلامية، وغيرهم من الأثرياء في كل مكان، بأن يقدموا لإخوانهم المسلمين في الشيشان مما آتاهم الله من فضله، ومن الزكاة التي فرضها الله في أموالهم حقاً لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة، وهم ثمانية، قد دخل إخواننا المجاهدون في الشيشان من ضمنهم.

والله تبارك وتعالى قد فرض حقاً في مال الغني لأخيه

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند(أنس بن مالك) برقم ١١٨٣٧، وأبو داود في (الجهاد) ،باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.

المسلم في آيات كثيرة في كتابه الكريم، كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وهو سبحانه يثيب المسلم على ما يقدم لإخوانه ثواباً عاجلاً وثواباً أخروياً، يجد جزاءه عنده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما أنه يدفع عنه في الدنيا بعض المصائب، التي لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان، لحلت به أو بماله، فدفع الله شرها بصدقته الطيبة وعمله الصالح، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾(٥)، ويقول عز وجل:

---

(١) سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة الحديد، الآية ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٥) سورة المزمل، الآية ٢٠.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما نقص مال من صدقة))[٢]، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: ((الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[٣]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[٤].

وإخوانكم في الشيشان أيها المسلمون، يقاسون آلام الجوع والجراح والقتل والتشريد، فهم في أشد الضرورة إلى الكساء والطعام، وفي أشد الضرورة إلى الدواء كما أنهم في أشد الضرورة إلى هذه الأشياء والسلاح الذي يقاتلون به أعداء الله وأعداءهم فجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله، واعطفوا عليهم يبارك الله لكم، ويخلف عليكم، ويضاعف لكم الأجور.

وهذه النفقة تؤجرون عليها، وتخلف عليكم كما تقدم في قوله سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، وفي قوله سبحانه:

---

(١) سورة سبأ، الآية ٣٩.

(٢) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب) ،باب (استحباب العفو والتواضع)برقم ٢٥٨٨.

(٣) رواه الترمذي في (الجمعة) ،باب(ما ذكر في فضل الصلاة) برقم ٦١٤.

(٤) رواه البخاري في (الزكاة)، باب(اتقوا النار ولو بشق تمرة)برقم ١٤١٧، ومسلم في (الزكاة)، باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة)برقم ١٠١٦.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: ((يقول الله عز وجل: "يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك"))[1].

ونسأل الله عز وجل أن يضاعف أجر من ساهم في مساعدة إخوانه المجاهدين، ويتقبل منه، وأن يعين المجاهدين في الشيشان، وسائر المجاهدين في سبيله في كل مكان على كل خير، ويثبت أقدامهم في جهادهم، ويمنحهم الفقه في الدين، والصدق والإخلاص، وأن ينصرهم على أعداء الإسلام أينما كانوا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١)رواه البخاري في (النفقات) ،باب(فضل النفقة على الأهل) برقم ٥٣٥٢، ومسلم في (الزكاة) ، باب(الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف) برقم ٩٩٣.

٦٦ - الرابطة الإسلامية هي أعظم الوسائل التي تربط بين المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: (١)

فإن الأخوة الدينية بين الشعوب الإسلامية هي أقوى الوشائج والروابط التي تشد الأمة وتؤلف بينها؛ لتكون قوية متماسكة في وجوه أعدائها المتربصين بها من الكفار والمنافقين، وهذه النعمة نعمة التآلف بين قلوب المسلمين هي التي امتن الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وامتن بها على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً في قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ

---

(١) نشرت في جريدتي (الرياض) و (المسائية) بتاريخ ١٤١٢/٢/١٨هـ، وفي جريدتي (البلاد) و (الندوة) في ١٤١٢/٢/١٩هـ، وفي هذا المجموع ج٧ ص٣٤٨.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٦٢، ٦٣.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله، التقوى ها هنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[3]. رواه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه النعمة العظيمة قد ضاق بها أعداء الإسلام، وعملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة، وزرع أسباب الفرقة والتنازع بينهم؛ لتذهب ريح الأمة وقوتها، وليسهل إذلالها وقهرها والسيطرة عليها. وكما يقولون: "فرق تسد". ومن أقوى وسائل الأعداء في هذا: وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وما تبثه من الأخبار الكاذبة

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٣) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله) برقم ٢٥٦٤.

والمحرفة، التي تزرع الشر والفتن، وأسباب الكراهية والحقد والفرقة بين المسلمين.

ومن أهم الواجبات على المسلمين جميعاً، ولاسيما العلماء ورجال الإعلام المنصفون: التصدي لهذه الحملات الحاقدة، التي تستغل الأحداث لإثارة الشكوك، وإزالة الثقة بين المسلمين أفراداً وجماعات، حكاماً ومحكومين .

ومما يلاحظ في هذا العام بشكل خاص أن كثيراً من وكالات الأنباء العالمية التي تخدم مخططات أعداء الإسلام، وتخضع لمراكز التوجيه النصراني والماسوني، تخطط بأسلوب ماكر لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه (الأصوليين)، وهم يقصدون بذلك الذم والقدح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أصوله الصحيحة، الذين يرفضون مسايرة الأهواء، والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة.

وقد وقع بعض الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء، وأخذوا ينقلون الأخبار المعادية للإسلام، وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها، أو غرض في نفوس بعضهم، فكانوا بفعلهم هذا أعواناً للأعداء على الإسلام والمسلمين، بدلاً من قيامهم بواجب التصدي لأعداء الإسلام، وإبطال كيدهم، ببيان أهمية الرابطة الدينية والأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية. وإن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها

أحد، لا ينبغي أن تكون مبرراً للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم.

ولهذا رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة؛ نصيحة للمسلمين جميعاً من الإعلاميين وغيرهم في الدول الإسلامية وغيرها، وتحذيراً للجميع من مكائد الأعداء الكافرين والمنافقين والسائرين على نهجهم، وأن يصونوا الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئي، من أن يكون وسيلة للتشكيك في الإسلام والدعاة إليه، أو أن يستخدم للتفريق بين علماء الأمة وشعوبها والناصحين لها، وغرس أسباب الشحناء والتباغض بين حكامها ومحكوميها وعلمائها وعامتها.

وأن يبذلوا كل ما يستطيعون في التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم، ودعوتهم حكاماً ومحكومين للتمسك بدينهم، والاستقامة عليه، وتحكيم شريعة الله في عباده، والتواصي بذلك، والتعاون عليه بالأساليب الحسنة والنصيحة الخالصة، والعمل الصالح الدائب، والسيرة الحميدة؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم))[2]. رواه مسلم في صحيحه.

ولما روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: ((بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم))[3]. متفق على صحته.

كما أوصي العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق: أن يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التي تضر الدعوة ولا تنفعها، وتسبب الفرقة بين المسلمين، والفتنة بين الحكام والمحكومين.

وإنما الواجب سلوك السبيل الموصلة إلى الحق، واستعمال الوسائل التي تنفع ولا تضر، وتجمع ولا تفرق، وتنشر الدعوة بين المسلمين، وتبين لهم ما يجب عليهم؛ بالكتابات، والأشرطة المفيدة، والمحاضرات النافعة، وخطب الجمعة الهادفة، التي توضح الحق وتدعو إليه، وتبين الباطل وتحذر منه، مع

(١) سورة العصر، كاملة.

(٢) رواه أحمد في (مسند الشاميين)، حديث تميم الداري برقم ١٦٤٩٩، ومسلم في (الإيمان) ، باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم ٥٥.

(٣) رواه البخاري في (الإيمان) ، باب (الدين النصيحة)برقم ٥٧، ومسلم في (الإيمان) ، باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم ٥٦.

الزيارات المفيدة للحكام والمسئولين، والمناصحة كتابة أو مشافهة بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن، عملاً بقول الله عز وجل في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] الآية، وقوله عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[2].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا، وتطاوعوا ولا تختلفوا))[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه))[4].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله))[5]، وكل هذه الأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآية ٤٤.

(٣) رواه البخاري في (العلم) ،باب (ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة)برقم ٦٩، ومسلم في (الجهاد والسير) ، باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) برقم ١٧٣٤.

(٤) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب) ، باب (فضل الرفق)برقم ٢٥٩٤.

(٥) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب) ، باب (الرفق)برقم ٢٥٩٢، وأبو داود في (الأدب)، باب (في الرفق) برقم ٤٨٠٩، واللفظ له.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه))[1]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والله المسئول أن يُصلح أحوال المسلمين جميعاً، ويجمع كلمتهم على الحق، وأن يصلح قادتهم وولاة أمرهم، ويوفقهم لتحكيم شريعته والرضا بها، وإيثارها على ما سواها، وأن ينصر بهم دينه ويُعلي بهم كلمته، وأن يُعينهم على كل ما فيه صلاح أمور دينهم ودنياهم وعلى كل ما فيه سعادتهم وسعادة شعوبهم، ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وأن يوفق علماء المسلمين ودعاة الإسلام لأداء ما يجب عليهم على الوجه الذي يرضيه، وأن يبارك في جهودهم، وينصر بهم الحق، ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه مسلم في (الإمارة) ، باب (فضيلة الإمام العادل) برقم ١٨٢٨.

٦٧ - أسباب نصر الله للمؤمنين على أعدائهم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته في خلقه وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: [1]

فإنني أشكر الله عز وجل على ما من به من هذا اللقاء بإخوة في الله في أشرف بقعة من بقاع الدنيا وهي: مكة المكرمة؛ للتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، وبيان أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم، وبيان ضد ذلك.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعله لقاءً مباركاً، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين جميعاً، ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يوفقهم لتحكيم شريعته بين عباده، كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في هذه البلاد لكل خير، وأن يعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يصلح لهم البطانة، وأن ينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، ويجعلهم من الهداة المهتدين، إنه خير

---

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشيخ في نادي مكة الثقافي الأدبي في ١٤١٢/١١/٢٩هـ، ونشرت في هذا المجموع ج٧ ص٥.

مسئول. ثم إني أشكر إخواني القائمين على هذا النادي، وعلى رأسهم معالي الأخ الدكتور / راشد ابن راجح مدير جامعة أم القرى، ورئيس النادي على دعوتهم لي لهذا اللقاء، وأسأل الله أن يبارك في الجميع، وأن يصلح أحوالنا جميعاً، ويجعلنا دعاة الهدى، وأنصار الحق، إنه سميع قريب.

أيها الإخوة في الله: ذكر معالي الدكتور / راشد حفظه الله في المقدمة، أنني رئيس هيئة كبار العلماء، وأحب التصحيح، فإن الرئاسة للهيئة محصورة في خمسة من كبار السن من الأعضاء، تدور بينهم الرئاسة، كل واحد في السنة الخامسة يأتيه الدور، وأنا واحد منهم، ولست رئيس الهيئة، ولكني واحد من رؤساء الهيئة. أما ما يتعلق بموضوع المحاضرة، وهي: (أسباب نصر الله للمؤمنين)، فالله جل وعلا جعل للنصر أسباباً، وجعل للخذلان أسباباً، فالواجب على أهل الإيمان في جهادهم وفي سائر شئونهم، أن يأخذوا بأسباب النصر، ويستمسكوا بها في كل مكان: في المسجد، وفي البيت، وفي الطريق، وفي لقاء الأعداء، وفي جميع الأحوال. فعلى المؤمنين أن يلتزموا بأمر الله، وأن ينصحوا لله ولعباده، وأن يحذروا المعاصي التي هي من أسباب الخذلان. ومن المعاصي: التفريط في أسباب النصر، الأسباب الحسية التي جعلها الله أسباباً لابد منها، كما أنه لابد من الأسباب الدينية، فالتفريط في هذا أو هذا سبب الخذلان، والله جل وعلا يقول في كتابه العظيم وهو

أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. هذه الآية العظيمة خطاب لجميع المؤمنين وأوضح فيها سبحانه أنهم إذا نصروا الله نصرهم سبحانه وتعالى.

ونصر الله من المؤمنين هو: اتباع شريعته ونصر دينه والقيام بحقه، وليس هو سبحانه في حاجة إلى عباده، بل هم المحتاجون إليه كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[2].

فالناس كلهم: جنهم وإنسهم، ملوكهم وعامتهم، كلهم في حاجة إلى ربهم، وكلهم فقراء إلى الله، والله سبحانه هو الغني الحميد، فنصره سبحانه هو نصر شريعته، وهو نصر دينه. هذا هو نصره، نصر ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه الكريم، فإذا قام المسلمون بنصر دينه والقيام بحقه ونصر أوليائه، نصرهم الله على عدوهم، ويسر أمورهم، وجعل لهم العاقبة الحميدة، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[4]. والصبر والتقوى يكونان بنصر الله، والقيام بدينه

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة فاطر، الآيات ١٥ ١٧.

(٣) سورة هود، الآية ٤٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

سبحانه والتواصي بذلك في السر والجهر، في الشدة والرخاء، في حال الجهاد، وما قبله وما بعده، وفي جميع الأحوال. ولما حذر سبحانه من اتخاذ البطانة من دون المؤمنين في قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، بين سبحانه في آخر الآيات أنهم إذا صبروا واتقوا لم يضرهم أعداؤهم، فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2]، وفي الآية الأخرى يقول جل وعلا: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[3] ، وفي الأخرى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5]. فنصر الله جل وعلا باتباع شريعته، والصبر على ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[6]، وهذا مثل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

(٤) سورة يوسف، الآية ٩٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٦) سورة محمد، الآية ٧.

قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: ((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك))[1]، فمن حفظ الله بحفظ دينه والاستقامة عليه، والتواصي بحقه والصبر عليه، نصره الله وأيده على عدوه، وحفظه من مكائده.

وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، والمؤمنون: هم الذين استقاموا على دين الله، وحافظوا على حقه، وابتعدوا عن مناهيه كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[3]، فالمؤمنون هم المتقون، وهم أولياء الله، وهم أنصار دين الله، ينصرهم الله، ويحميهم من كيد أعدائهم، ويجعل لهم العاقبة سبحانه وتعالى . ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[4]، هؤلاء هم المنصورون، وهم الموعودون بالعاقبة الحميدة. ثم أوضح سبحانه صفات

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند بني هاشم)، أول مسند عبد الله بن عباس، برقم ٢٦٦٤، والترمذي في (صفة القيامة والرقائق)، باب منه (ما جاء في صفة أواني الحوض) برقم ٢٥١٦.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٣) سورة يونس، الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٤) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

الناصرين له، فقال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أقدرناهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾، يعني: حافظوا على هذه وهذه كما أمر الله؛ فأقاموا الصلاة كما أمر الله بأركانها وواجباتها، وغير ذلك من شئونها، وأدوا الزكاة طيبة بها نفوسهم كما شرع الله، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. وهذا يعم جميع الأوامر والنواهي؛ فيدخل في المعروف: الصيام والحج والجهاد وبر الوالدين، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله، ويدخل في المنكر: كل ما نهى الله عنه من أنواع الشرك وسائر المعاصي. فالمؤمنون يوحدون الله ويؤمنون به إيماناً صادقاً، ويلتزمون بتوحيده والإخلاص له وتصديق أخباره وأخبار رسوله عليه الصلاة والسلام، وبالقيام بحقه كما أمر، ومع ذلك يحذرون ما نهى عنه، ويبتعدون عما حرم عليهم؛ رغبة فيما عنده، وطلباً لمرضاته جل وعلا وحذراً من عقابه سبحانه وتعالى فهؤلاء هم المؤمنون حقاً، وهم المتقون المذكورون في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]. فربنا ينوع العبارات في صفات المؤمنين، وترجع إلى شيء واحد كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[2]، فيدخل في هذا: الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر ما

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

أمر الله به ورسوله، كما يدخل في ذلك من باب أولى توحيد الله، والإيمان به، والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام وتصديق أخبار الله ورسوله كلها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، كما أنها داخلة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

فالصبر والتقوى يشتمل على فعل جميع الأوامر، وترك النواهي، فإن هذا هو النصر لله بفعل أوامره، وترك نواهيه عن إيمان، وعن إخلاص لله، وتوحيد له سبحانه وإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم لا عن مجرد شجاعة وحمية، ولا ليقال إنه كذا وكذا، ولا لمقصد آخر غير اتباع الشرع، فالنصر لدين الله يكون بطاعة الله وتعظيمه، والإخلاص له، والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى والعمل بشريعته؛ يريد ثوابه وإقامة دينه، فمن كان بهذه الصفة فهو من المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]. ويقول فيهم جل وعلا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[3]، يعني بذلك: العاقبة الوخيمة، وهي اللعنة وسوء الدار، فالعاقبة

---

(١) سورة الحج، الآية ٤١.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

(٣) سورة غافر، الآيتان ٥١، ٥٢.

الوخيمة: هي النار، والطرد من رحمة الله؛ لأنهم لم ينصروا دين الله ولم ينصروا دينه، فالظالمون لا تنفعهم المعاذير، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار يوم القيامة، بخلاف من نصر دين الله واستقام عليه، فلهم الرضا والكرامة والعاقبة الحميدة، وذلك بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة بدخول الجنة، والنجاة من النار.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، فالرسل وأتباعهم وهم المؤمنون لهم النصر في الدنيا؛ بإظهارهم على عدوهم، وتمكينهم من عدوهم، وجعل العاقبة الحميدة لهم ضد عدوهم، وفي الآخرة لهم النصر؛ بدخول الجنة، والنجاة من النار، والسلامة من هول اليوم العظيم. ويقول عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

هؤلاء هم أنصار الله: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهم الذين نصروا دين الله واستقاموا عليه، فالآيات والأحاديث يفسر بعضها بعضاً، ويدل بعضها على معنى بعض، فأنصار الله هم المؤمنون، وهم المتقون، وهم الصابرون

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

الصادقون، وهم الأبرار، وهم الذين إذا مكنوا في الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات المذكورون في هذه الآية من سورة (النور)، وهم الذين قاموا بهذين الأمرين: آمنوا بالله ورسوله؛ آمنوا بأن الله ربهم، وهو معبودهم الحق، فخصوه بالعبادة، وآمنوا بأسمائه وصفاته، واستقاموا على دينه قولاً وعملاً وعقيدة، هؤلاء هم المؤمنون، هم أنصار الله، هم أنصار دينه، وهم المتقون، وهم الذين قال فيهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾(١)، وهم المؤمنون الذين ذُكروا في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وهم المذكورون في قوله جل وعلا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾(٣)، وفي قوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٤)، وهم الموعودون بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينهم، وإبدالهم بعد الخوف أمناً، وبعد الذل عزاً.

فعليك يا عبد الله أن تعرف هذا المعنى جيداً، وأن تعمل به؛ حتى تكون من أنصار الله، وحتى تحصل لك العاقبة الحميدة

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٤) سورة غافر، الآية ٥١.

التي وعد الله به أنصاره، فالله وعد أنصاره بالنصر، والعاقبة الحميدة والتمكين في الأرض وأن يبدلهم بخوفهم أمناً، لما أخافوا أعداءه من أجله، وصبروا على دينه، وجاهدوا في الله، وقدموا أنفسهم في سبيله سبحانه رخيصة؛ يرجون رحمته ويخافون عقابه، قد باعوها لله وسلموها لله؛ عملاً بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1] الآية. فهؤلاء هم أنصار الله الذين ثبتوا على دينه، واستقاموا عليه قولاً وعملاً؛ في الأمن والخوف، في الشدة والرخاء، جاهدوا لله وصبروا، فجعل الله لهم العاقبة الحميدة كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وعدهم بالهداية، وأنهم هم المحسنون المنصورون.

ولما توافرت هذه الأسباب في الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم في يوم بدر، نصروا على الكفار وهم أضعافهم، أضعافهم في القوة والعدد، ومع ذلك نصروا عليهم؛ لأنهم حققوا هذه الصفات: نصروا دين الله بالقول والعمل، وصبروا في لقاء الأعداء وصدقوا، فمكنهم الله وهزم عدوهم، وجعل لهم العاقبة الحميدة، وهكذا في يوم الأحزاب: صدقوا وصبروا وصابروا صبراً عظيماً، مع كون الكفار

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

أضعاف المسلمين.

فصبر المسلمون وهم محاصرون حتى نصرهم الله بأمر من عنده على عدوهم بجنود لم يروها، حتى زلزلهم وردهم خائبين لم ينالوا خيراً؛ بسبب صبر الصحابة ونبيهم صلى الله عليه وسلم على طاعته وجهاد أعدائه، وهكذا في يوم الفتح، نصر الله المسلمين على عدوهم، وفتحوا مكة، وهزموا الشرك وأعوانه وجيش هوازن؛ فضلاً منه سبحانه وتأييداً لأوليائه.

وهكذا حصل للصحابة في قتالهم للروم وفارس وغيرهما: صبروا وجاهدوا، فأفلحوا ونصروا، وجعل الله لهم العاقبة الحميدة، فصاروا قادة الناس وملوك الأرض. وسنة الله سبحانه هذه سائرة في عباده إلى يوم القيامة؛ من نصره، نصره، ومن حاد عن دينه خذله، ولما جرى ما جرى يوم أحد من الخلل، أصيب المسلمون، وهم أفضل خلق الله في أرض الله؛ فيهم نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق، وهم بعده وبعد الأنبياء أفضل الخلق، وفيهم الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر، أفضل الأمة بعد النبي وبعد الصديق، وفيهم بقية الأخيار.

أصيب المسلمون بسبب الخلل الذي حصل من الرماة، لما أخلوا بما أوجب الله عليهم من الصبر لأعداء الله، ولزوم الثغر الذي يخشى منه، فدخل العدو عليهم، وكان الرسول عليه

الصلاة والسلام قد أمر الرماة أن يلزموا موقعهم، وأن لا يبرحوه، وإن رأوا العدو يتخطف المسلمين، وإن رأوا المسلمين نصروا لا هذا ولا هذا فعليهم أن يلزموا مكانهم.

فلما انهزم العدو يوم أحد ورآهم الرماة انهزموا، ظنوا أنها الفاصلة فأخلوا بمواقعهم، وحاول أميرهم أن يثنيهم عن ذلك، فخالفوه؛ ظناً منهم أن الكفار لا عودة لهم، وأنهم قد انهزموا انهزاماً كاملاً، فدخل العدو على المسلمين، وصارت النكبة على المسلمين والقتل والجراحات والهزيمة، حتى حاولوا قتله صلى الله عليه وسلم فأنجاه الله من شرهم، وأصابه جراحات، وكسروا رباعيته عليه الصلاة والسلام إلى غير هذا مما أصابه عليه الصلاة والسلام وقتل سبعون من الصحابة، وأصاب بعض من بقي جراحات.

وأنزل الله فيهم سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾، أي: يقتلونهم بإذن الله ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾، يعني بذلك الرماة، (وتنازعتم في الأمر)، تنازعوا في الأمر واختلفوا (وعصيتم)، بترك الموقع الذي أمركم الرسول صلى الله عليه وسلم بلزومه (من بعد ما أراكم ما تحبون)، من هزيمة العدو، والجواب محذوف تقديره: سلّط العدو عليكم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

الآية. المقصود أنهم أصيبوا بسبب الخلل الذي وقع منهم في موقف عظيم، لابد منه في سياسة الجهاد؛ من حفظ الثغور، وحفظ المنافذ التي ينفذ منها العدو، فحفظ الثغور التي يدخل منها العدو على المسلمين. وحفظ المنافذ التي يدخل منها العدو على الجيش وقت اللقاء، لابد فيه للجيش بأن يكون عنده عناية بذلك، وعنده حذر، وعنده حرص على سد كل ثغر يمكن أن ينفذ منه العدو على المسلمين؛ ليضرهم، أو يأتيهم من خلفهم.

ولما استنكر المسلمون هذا الأمر وهذا الحدث المؤلم من الجراح والقتل، وقالوا: لماذا أصبنا؟ ولماذا جرى هذا؟ وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم خيرة الله من عباده بعد الأنبياء، أنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾، قد أصبتم مثليها: يعني يوم بدر، قتلوا سبعين من الكفار، وأسروا سبعين، وحصلت جراحات في الكفار كثيرة (قلتم أنى هذا)، يعني: استنكرتم: من أين أصبنا؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[1]، وهذا يفيد أن معصية بعض الجيش، وإخلال بعض الجيش بالأسباب مصيبة للجميع، فأصيبوا بسبب بعضهم. وهكذا الناس إذا رأوا المنكرات، وشاعت ولم تغير، عمت العقوبات، قال النبي صلى الله عليه

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

وسلم: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه))[١]. أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بإسناد صحيح، عن الصديق رضي الله عنه .

والمقصود: أن الواجب على الأمة التآمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والصدق في ذلك، في كل بلد وفي كل قرية وفي كل قبيلة، عليهم أن يتناصحوا، ويتواصوا بالحق والصبر عليه، ويتعاونوا على البر والتقوى، ويأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر؛ حتى لا تصيبهم كارثة بسبب ذنوبهم وأعمالهم.

يقول سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي جنس الإنسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢]. هؤلاء هم الرابحون وهم المنصورون. فلابد من هذه الصفات الأربع: الإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ في الجهاد وغيره، وفي المدن والقرى وفي القبائل، لابد من هذه الخصال الأربع. فمن أراد نصر الله والسلامة لدينه وأراد حسن العاقبة، فليتق الله، وليصبر على طاعة الله، وليحذر محارم الله أينما

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، مسند (أبي بكر الصديق) برقم ١ و ١٦، وابن ماجة في (الفتن)، باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) برقم ٤٠٠٥.

(٢) سورة العصر، كاملة.

كان، هذا هو سبب نصر الله له، وهو سبب من أسباب نجاته في الدنيا والآخرة، فالرجل في بيته وفي المسجد وفي الطريق، وفي السيارة والطائرة والقطار، وفي محل البيع والشراء، وفي الجهاد وفي كل مكان، يجب عليه أن يتقي الله، وأن ينصر دين الله بقوله وعمله، وفي جهاده، وفي جميع شئونه.

وهكذا المرأة في بيتها وفي كل مكان عليها أن تتقي الله، وأن تنصر دين الله بقولها وعملها حسب الطاقة ؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم))[3]. متفق على صحته.

فالمرأة تبذل النصيحة مع الزوج ومع الأولاد، ومع من في البيت؛ من أقارب، وخدم، ومع الجيران، ومع الزميلات، ومع الجليسات؛

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٣) رواه البخاري في (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب (الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) برقم ٧٢٨٨، ومسلم في (الحج)، باب (فرض الحج مرة في العمر)، برقم ١٣٣٧، وفي (الفضائل)، باب (توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه) برقم ١٣٣٧

ترجو بذلك ما عند الله من المثوبة، وأن ينفع بها عباده، وكل واحد من الرجال عليه أن يتقي الله، وينصر دينه في قوله وعمله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عن صدق وإخلاص، ورغبة ورهبة، كما قال سبحانه في سورة الأنبياء عن عباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[١]، وقال في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٢]. فهذه أسباب النصر، هذه أسباب حماية الله لعباده من كل سوء، وأسباب نصره لهم، وهي من أعظم الأسباب في دخول الجنة والنجاة من النار. ولابد مع هذا كله من الحرص على الأسباب الدينية والحسية التي يعلم أنها من أسباب النصر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ٥٧-٦١.

﴿كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2] الآية، ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[3].

وهذا هو الواجب على المؤمنين أن يأخذوا حذرهم من عدوهم عند القتال، وأن يعدوا له ما استطاعوا من قوة: من السلاح والعدد، والحرس الجيد، وتكون الملاحظات جيدة، والثغرات مسدودة، والسلاح محمول عند الحاجة، حتى ولو كانوا في الصلاة، فلا يجوز أن يقول المجاهد: أنا مؤمن ويكفي، بل لابد من الأسباب الحسية والمعنوية.

فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو أفضل المؤمنين وأكمل المتوكلين، والصحابة أفضل المؤمنين بعد الأنبياء، ومع هذا كله أصابهم ما أصابهم يوم أحد، لما أخل الرماة بالشيء الذي يجب عليهم، وأخلوا بالموقف الذي أمروا بلزومه.

فالمعاصي من أسباب الخذلان، كما أن معصية الرماة سبب الهزيمة يوم أحد، وهكذا المعاصي كلها في كل وقت من أسباب الخذلان إذا ظهرت و لم تنكر تكون من أسباب الخذلان، وتسليط العداء، وحصول الكثير من المصائب، كما أنها من

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٧١.

أسباب قسوة القلب وانتكاسه نعوذ بالله من ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]، فالمعصية إذا ظهرت ضرت العامة، إذا لم تنكر ولم تغير.

فالمؤمنون مأمورون بالاستقامة على تقوى الله، والجهاد لأعداء الله، وأن يصبروا على التقوى والعمل الصالح أينما كانوا، مع الإيمان بأن الله سبحانه سوف ينصرهم ويمكنهم من عدوهم، ويجعلهم بعد خوفهم في أمن وعافية، وبعد القلق في استقرار وراحة؛ بسبب إيثارهم حقه، ونصرهم دينه، وتعاونهم على البر والتقوى، وصدقهم في ذلك، ونصحهم لله ولعباده. ومتى أخلوا بشيء، فليعلموا أنهم على خطر عليهم، وأنه متى أصابهم مصيبة بسبب الخلل، فمن عند أنفسهم، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[4]، وهو

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٢) سورة الحديد، الآية ١٦.

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٩.

القائل سبحانه في سورة (آل عمران) بعدما ذكر كيد الكفار: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(١)، وهو القائل سبحانه في سورة (النور): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(٢) الآية، وفي سورة (محمد) يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٣).

وأعظم العدو الشيطان، فهو أعظم العدو للإنسان، فإنه يجري منه مجرى الدم. فعليك أن تجاهده بتقوى الله وترك معصيته، وأن تحذر مكائده ووساوسه، وأن تكثر من الاستعاذة بالله منه، مع الإكثار من الحسنات، والحذر من السيئات في جميع الأوقات، فهذا هو طريق السلامة من شره ومكائده بتوفيق الله وإعانته، ولابد مع ذلك من جهاد النفس، والإكثار من ذكر الله، والاستقامة على دينه، والحفاظ على حدوده، والحذر من مكائد عدو الله في كل زمان ومكان. يقول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) سورة محمد، الآية ٧.

يَحْتَسِبُ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٢]، ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣]، ويقول سبحانه عن زوجة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، ويقول عز وجل في سورة (النازعات): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٥].

فهذه أسباب النصر، وهذه أسباب النجاة من الأعداء، وهذه أسباب السلامة من مكائد الأعداء جنهم وإنسهم، حضرهم وبدوهم، قريبهم وبعيدهم وهي أسباب النصر عليهم، والسلامة من مكائدهم، وهي أن تتقي الله في جميع الأحوال، وأن تحافظ على دينه، وأن تحذر معصيته أينما كنت في الجهاد وغيره هذه أسباب حفظ الله لك، وحفظ الله لدينه بك، ونصر الله لك على عدوك وخذلان عدوك. ومتى فرط المؤمنون في هذه الأمور، فهم في الحقيقة ساعون في تأييد عدوهم في نصره عليهم، والمعنى أن معاصي الجيش عون

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية ٤.
(٣) سورة فاطر، الآية ٦.
(٤) سورة يوسف، الآية ٥٣.
(٥) سورة النازعات، الآيتان ٤٠، ٤١.

لعدوهم عليه، كما جرى يوم أحد. فعلى المؤمنين جميعاً في أي مكان أن يتقوا الله، وأن ينصروا دينه، وأن يحافظوا على شرعه، وأن يحذروا من كل ما يغضبه في أنفسهم، وفيمن تحت أيديهم وفي مجتمعهم، كل على حسب طاقته، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين لما فيه رضاه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن يجعلنا من الهداة المهتدين، وأن يعيننا على حفظ أنفسنا من شر جميع أعدائنا، وأن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

وأن يوفق ولاة أمر المسلمين جميعاً لما يرضيه، ولما يمكنهم من عدوهم ويعينهم عليه، وأن ينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، وأن يجمع كلمتهم على التقوى، وأن يصلح جميع الشعوب الإسلامية وقادتهم، كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في هذه البلاد لكل خير، وأن يعينهم على كل ما فيه رضاه، وأن ينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل، وأن يجعلهم من الهداة المهتدين، إنه جل وعلا جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

٦٨ - على الحكومات الإسلامية العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين[١]. أما بعد:

فإني أشكر الله عز وجل على ما من به من هذا اللقاء بإخوتي في الله / أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة، وسائر ضيوفنا الكرام في هذا المجلس، في رحاب بيت الله العتيق؛ للنظر في شئون المسلمين، والنصيحة لهم، ودعوتهم إلى كل ما فيه سعادتهم ونجاحهم.

وإني بهذه المناسبة أرحب بإخواني أجمل ترحيب،

(١) كلمة ألقاها سماحته في الدورة الثانية والثلاثين للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، بقاعة المؤتمرات، بمقر الأمانة العامة للرابطة في مكة المكرمة ١٤١٣/٧/١٦هـ، ونشرتها الصحف المحلية في ١٤١٣/٧/١٧هـ، ونشرت في هذا المجموع ج ٧ ص: ٢٢.

وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه صلاح البلاد والعباد، وأن يجعلنا جميعاً من الهداة المهتدين، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، إنه جل وعلا جواد كريم.

ثم إنه من المعلوم لدى الجميع ما ابتلي به المسلمون اليوم في أنحاء كثيرة في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي الصومال، وفي الفلبين، وفي مواطن كثيرة ابتلوا بشيء كثير من أعدائهم، فهم في أشد الحاجة إلى الدعم والمساعدة والمساندة ضد أعداء الله. وسمعنا في كلمة خادم الحرمين الشريفين ما يشفي ويكفي من الدعوة إلى مناصرتهم، ودعمهم، والعناية بشئونهم من جميع المسلمين، فجزاه الله خيراً وأجزل مثوبته على كلمته، فهي كلمة مهمة نافعة ومفيدة.

وإني أؤيد ما تضمنته كلمته وفقه الله من وجوب التضامن بين المسلمين، والتعاون على البر والتقوى، والتناصح ضد الأعداء، والتواصي بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والثبات عليها، ودعوة جميع الحكومات الإسلامية إلى تحكيم الشريعة والتحاكم إليها في جميع الشئون، والاستقامة عليها؛ فهي الطريق الوحيد للنصر على الأعداء، وجمع الكلمة، والتعاون على البر والتقوى.

فقد استقام عليه سلفنا الصالح مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وبعده، فنصرهم الله على عدوهم، فكسروا كسرى، وكسروا قيصر، وسادوا في البلاد وحكموا العباد، وقادوهم إلى الخير، وحكموا فيهم بشرع الله؛ وبسبب ذلك نُصروا من ربهم عز وجل.

ولا سبيل إلى هذا النصر وإلى هذا الجمع الصحيح والاتفاق الصحيح، لا سبيل إلى ذلك إلا بالعودة إلى ما كانوا عليه؛ بالاستقامة على دين الله، والنصر لدينه، والحكم بشريعة الله.

هذا هو الطريق الذي سلكه سلفنا الصالح، ويجب على الحكومات الإسلامية، ويجب على العلماء التواصي بهذا الأمر، والنصيحة لله ولعباده، وأن يُحكّم الولاة شرع الله في عباد الله، وأن يُلزموا المسلمين بالاستقامة على دين الله قولاً وعملاً وعقيدة، وأن يجتمعوا على الحق والهدى، وأن ينصروا إخوانهم أينما كانوا.

ويجب على الدول الإسلامية وأولياء المسلمين، وعلى كل مسلم حسب طاقته أن ينصر إخوانه بكل ما يستطيع؛ في فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال والهند والفلبين، وفي كل مكان، ويجب التعاون على البر والتقوى، يجب على المسلمين جميعاً، ولاسيما الحكومات الإسلامية والرؤساء، يجب عليهم أن يبذلوا وسعهم في تحكيم شريعة الله، وفي مساعدة إخوانهم في الله؛ حتى ينتصروا على عدوهم، وحتى

يجتمع شملهم، وحتى يأخذوا حقوقهم وافية كاملة. المسلمون شيء واحد، وجسد واحد، فالمؤمنون إخوة، يجب الإصلاح بينهم، ويجب دعمهم ومساعدهم ضد عدوهم، ويجب التعاون على البر والتقوى في كل شأن.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))[1]، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يسلمه))[3] معنى لا يسلمه: لا يخذله، بل ينصره ويعينه على الحق، وعلى عدوه الذي ظلمه.

ونصيحتي لكل المسلمين في كل مكان، ولجميع الدول

---

(١) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

(٢) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٣) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلم المسلمَ برقم ٢٤٤٢، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٠.

الإسلامية، ولرؤسائهم وقادهم، والنصيحة للجميع: أن يتقوا الله، وأن ينصروا دين الله، وأن يحكموا شرع الله فيما بينهم، وأن يلزموا الشعوب بذلك؛ فهذا هو طريق العزة وطريق الكرامة، وطريق الاجتماع على الحق، وطريق النصر على الأعداء.

ونصيحتي لهم أيضاً: أن يتقوا الله في مناصرة إخوانهم في كل مكان؛ بالمال والسلاح والرجال، في: فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال والفلبين والهند، وفي كل مكان، ويجب على من كان حول المسلمين في كل مكان، أن يعينهم بما يستطيع، فاتقوا الله ما استطعتم في نصرهم وإعانتهم، وإنصافهم من عدوهم.

وأسأل الله أن يوفق المسلمين جميعاً إلى رضاه، ويصلح أحوالهم وأعمالهم وقلوبهم، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يوفق حكام المسلمين جميعاً للاستقامة على الحق، وتحكيم شريعة الله والتحاكم إليها، والثبات عليها، والدعوة إليها بصدق وإخلاص، وأن يصلح أحوال المسلمين، ويفقههم في الدين، وأن يوفق ولاة أمرنا، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين. نسأل الله أن يوفقهم جميعاً لما فيه رضاه، وأن ينصر بهم الحق، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يعينهم على كل خير، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

٦٩ - نداء وتذكير لمساعدة المجاهدين في فلسطين

من سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون في كل مكان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: [(١)]

فقد قال سبحانه في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] وقال عز وجل: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].
وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

---

(١) نشرت في مجلة (البحوث الإسلامية) العدد ٢٨ عام ١٤١٠هـ.

(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ ١٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤١.

في التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وثبت عن المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))[3]، وشبك بين أصابعه.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا))[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((جاهدوا المشركين بأموالك وأنفسكم وألسنتكم))[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) رواه البخاري في (الأدب)، باب (رحمة الناس والبهائم) برقم ٦٠١١، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٦.

(٣) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (نصر المظلوم) برقم ٢٤٤٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) برقم ٢٥٨٥.

(٤) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) برقم ٢٨٤٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله) برقم ١٨٩٥.

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد، والإنفاق فيه، والتشجيع على ذلك كثيرة معلومة. فمساعدة المجاهدين في سبيل الله بالنفس والمال من أفضل القربات، ومن أعظم الأعمال الصالحات، وهم من أحق الناس بالمساعدة من الزكاة وغيرها.

ومن حكمة الزكاة في الإسلام والصدقات: أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه؛ لأنه يشعر بما يؤلمه، ويحس بما يقع عليه من كوارث ومصائب، فيرق له قلبه ويعطف عليه؛ ليدفع مما آتاه الله بنفس راضية، وقلب مطمئن بالإيمان.

والمجاهدون في داخل فلسطين وفقهم الله جميعاً يعانون مشكلات عظيمة في جهادهم لأعداء الإسلام، فيصبرون عليها، رغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته، وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار، وهم بحمد الله صامدون وصابرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله كما تتحدث عنهم الأخبار والصحف، ومن شاركهم في الجهاد من الثقات لم يضعفوا، و لم تلن شكيمتهم، ولكنهم في أشد الضرورة إلى دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم بالنفوس والأموال في قتال عدوهم عدو الإسلام والمسلمين وتطهير بلادهم من رجس الكفرة، وأذنابهم من اليهود.

---

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١١٨٣٧، وأبو داود في (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.

وقد منَّ الله عليهم بالاجتماع وجمع الشمل، على التصميم في مواصلة الجهاد. فالواجب على إخوانهم المسلمين من الحكام والأثرياء، أن يدعموهم ويعينوهم ويشدوا أزرهم؛ حتى يكملوا مسيرة الجهاد، ويفوزوا إن شاء الله بالنصر المؤزر على أعدائهم أعداء الإسلام .

وإني أهيب بجميع إخواني المسلمين؛ من رؤساء الحكومات الإسلامية، وغيرهم من الأثرياء في كل مكان، بأن يقدموا لإخوانهم المجاهدين في فلسطين مما آتاهم الله من فضله، ومن الزكاة التي فرضها الله في أموالهم حقاً لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة، وهم ثمانية. قد دخل إخواننا المجاهدون في فلسطين من ضمنهم.

والله تبارك وتعالى قد فرض حقاً في مال الغني لأخيه المسلم في آيات كثيرة من كتابه الكريم؛ كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا

---

(١) سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة الحديد، الآية ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

في سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وهو سبحانه يثيب المسلم على ما يقدم لإخوانه ثواباً عاجلاً، وثواباً أخروياً، يجد جزاءه عنده في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما أنه يدفع عنه في الدنيا بعض المصائب التي لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان، لحلت به أو بماله، فدفع الله شرها بصدقته الطيبة، وعمله الصالح، يقول الله عز وجل: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾**[2]. ويقول عز وجل: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**[3].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما نقص مال من صدقة))[4]، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: ((الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[5]، ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[6].

---

(١) سورة البقرة،، الآية ١٩٥.

(٢) سورة المزمل، الآية ٢٠.

(٣) سورة سبأ، الآية ٣٩.

(٤) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (استحباب العفو والتواضع) برقم ٢٥٨٨.

(٥) رواه الترمذي في (الجمعة)، باب (ما ذكر في فضل الصلاة) برقم ٦١٤.

(٦) رواه البخاري في (الزكاة)، باب (اتقوا النار ولو بشق تمرة) برقم ١٤١٧، ومسلم في (الزكاة)، باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) برقم ١٠١٦.

وإخوانكم المجاهدون داخل فلسطين أيها المسلمون، يقاسون آلام الجوع والجراح والقتل والتشريد، فهم في أشد الضرورة إلى الكساء والطعام، وفي أشد الضرورة إلى الدواء، كما أنهم في أشد الضرورة إلى السلاح الذي يقاتلون به أعداء الله وأعداءهم. فجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله، واعطفوا عليهم، يبارك الله لكم ويخلف عليكم، ويضاعف لكم الأجور، كما جاء في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: " كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن، وأقام فصلى، ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، والآية التي في (الحشر): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[2]. تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره"، حتى قال: "ولو بشق تمرة"، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت عنها، ثم تتابع الناس حتى رأيت

---

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٨.

كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))[١]. رواه مسلم في صحيحه.

ثم هذه النفقة أيها المسلمون تؤجرون عليها، وتخلف عليكم كما تقدم في قوله سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٢]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: ((يقول الله عز وجل: يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك))[٤]. ونسأل الله عز وجل أن يضاعف أجر من ساهم في مساعدة إخوانه المجاهدين، ويتقبل منه، وأن يعين المجاهدين في فلسطين وسائر

---

(١) رواه مسلم في (الزكاة)، باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) برقم ١٠١٧.

(٢) سورة المزمل، الآية ٢٠.

(٣) سورة سبأ، الآية ٣٩.

(٤) رواه البخاري في (النفقات)، باب (فضل النفقة على الأهل) برقم ٥٣٥٢، ومسلم في (الزكاة)، باب (الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف) برقم ٩٩٣.

المجاهدين في سبيله في كل مكان على كل خير، ويثبت أقـدامهم في جهادهم، ويمنحهم الفقه في الدين، والصدق والإخلاص، وأن ينـصرهم على أعداء الإسلام أينما كانوا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد

٧٠ - جهاد الفلسطينيين

س: ما تقول الشريعة في جهاد الفلسطينيين الحالي: هل هو جهاد في سبيل الله، أم جهاد في سبيل الأرض والحرية؟ وهل يعتبر الجهاد من أجل تخليص الأرض جهاداً في سبيل الله؟[١]

ج: لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات، أن الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواص المسلمين هناك، وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود، ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم، وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة، وقد أخبرنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك، عن حماسهم الإسلامي، وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم.

فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم؛ ليتخلصوا من عدوهم، وليرجعوا إلى بلادهم؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢]،

---

(١) نشر في مجلة (البحوث الإسلامية) العدد ٢٨ عام ١٤١٠هـ، وفي الجزء الرابع من هذا المجموع، ص: ٢٩٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٣.

وقوله سبحانه: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] الآيات، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[3]، ولأنهم مظلومون، فالواجب على إخوانهم المسلمين نصرهم على من ظلمهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه))[4]. متفق على صحته، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ ١٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم ١١٨٣٧، أبو داود في (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو) برقم ٢٥٠٤.

(٤) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلمُ المسلم) برقم ٢٤٤٢، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم) برقم ٢٥٨٠.

ظالماً أو مظلوماً)) قالوا يا رسول الله: نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟! قال: ((تحجزه عن الظلم، فذلك نصرك إياه))[1].

والأحاديث في وجوب الجهاد في سبيل الله ونصر المظلوم وردع الظالم كثيرة جداً.

فنسأل الله أن ينصر إخواننا المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وفي غيرها على عدوهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يوفق المسلمين جميعاً لمساعدتهم والوقوف في صفهم ضد عدوهم، وأن يخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، إنه سميع مجيب.

٧١- أعظم الجهاد: الجهاد بالنفس

س: هل الجهاد في سبيل الله على درجة واحدة سواء كان بالنفس، أو بالمال، أو بدعاء مع القدرة على الجهاد بالنفس؟[2]

ج: الجهاد أقسام: بالنفس، والمال، والدعاء، والتوجيه

---

(١) رواه البخاري في (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه) برقم ٦٩٥٢، والترمذي في (الفتن)، باب (ما جاء في النهي عن سب الرياح) برقم ٢٢٥٥.

(٢) نشرت في ج٧ من هذا المجموع، ص ٣٣٤، وفي (فتاوى إسلامية) جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند ج٢ ص ٢٦١.

والإرشاد، والإعانة على الخير من أي طريق. وأعظم الجهاد: الجهاد بالنفس، ثم الجهاد بالمال، والجهاد بالرأي والتوجيه. والدعوة كذلك من الجهاد، فالجهاد بالنفس أعلاها.

٧٢- هل الإسلام انتشر بالسيف

س: لمزيد من الفائدة، ما رأيكم في قول من قال: إن الإسلام انتشر بالسيف، ونريد أن نرد عليهم رداً منطقياً؟[١]

ج: هذا القول على إطلاقه باطل؛ فالإسلام انتشر بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأيد بالسيف، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغه بالدعوة بمكة ثلاثة عشر عاماً، ثم في المدينة قبل أن يؤمر بالقتال، والصحابة والمسلمون انتشروا في الأرض، ودعوا إلى الله، ومن أبى جاهدوه؛ لأن السيف منفذ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[٣]. فمن أبى قاتلوه لمصلحته ونجاته، كما يجب إلزام من عليه حق لمخلوق بأداء الحق الذي عليه ولو بالسجن أو الضرب ولا يعتبر

---

(١) من برنامج (نور على الدرب)، ونشر في هذا المجموع ج٦، ص ٢٢٣.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

مظلوماً، فكيف يستنكر أو يستغرب إلزام من عليه حق لله بأداء حقه؟ فكيف بأعظم الحقوق وأوجبها، وهو توحيد الله سبحانه وترك الإشراك به؟

ومن رحمة الله سبحانه أن شرع الجهاد للمشركين وقتالهم؛ حتى يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة من سواه، وفي ذلك سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة. والله الموفق.

٧٣- التبرع بنفقة الحج النافلة للمجاهدين أفضل

س: أيهما أولى للمسلم الذي قد أدى ما فرضه الله عليه من الحج: هل الأولى تأديته نفلاً أي للمرة الثانية أم التبرع بقيمة تكاليف الحج للمجاهدين؛ كي يستطيع أولئك الصمود أمام أعداء الله؟[١]

ج: من حج الفريضة، فالأفضل أن يتبرع بنفقة الحج الثاني للمجاهدين في سبيل الله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله))، قال السائل: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قال السائل: ثم أي: قال: ((حج مبرور))[٢]. متفق على صحته.

(١) نشرت في جريدة (الجزيرة) في ١٤١٣/١١/٢١هـ العدد ٧٥٣١.

(٢) رواه البخاري في (الإيمان)، باب (من قال: إن الإيمان هو العمل) برقم ٢٦، ومسلم في (الإيمان)، (باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) برقم ٨٣.

فجعل الحج بعد الجهاد، والمراد به حج النافلة؛ لأن الحج المفروض ركن من أركان الإسلام مع الاستطاعة.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا))[1].

ولاشك أن المجاهدين في سبيل الله في أشد الحاجة إلى المساعدة المادية من إخوانهم، والنفقة فيهم أفضل من النفقة في حج التطوع؛ للحديثين المذكورين وغيرهما.

٧٤ - حكم من حج أو ذهب للجهاد وترك زوجته لوحدها

س: هل يجوز أن يذهب الرجل للحج أو العمرة دون أن يصطحب معه الزوجة؟ جزاكم الله خيراً.[2]

ج: الجواب: يجوز له أن يدعها في البيت ويذهب للحج أو العمرة أو الصلاة، أو الجهاد، أو لحاجاته الخاصة في التجارة،

(١) رواه البخاري في (الجهاد والسير)، باب (فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) برقم ٢٨٤٣، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله) برقم ١٨٩٥.

(٢) نشر في (مجلة الدعوة) رقم ١٦٣٥ في ١٤١٨/١١/٢٨هـ.

لا بأس بذلك كله. وإذا كانت الزوجة تستوحش فعليـــه أن يجعـــل عندها من الخدم من يؤنسها، أو يسمح لها أن تذهب عند أهلها؛ للوحشة التي تصيبها، أو إذا كان عليها خطر، فيجمع بين المصلحتين، ولا يلزم أن تذهب معه كلما سافر.

٧٥ حكم إطلاق لفظة " الشهيد " على شخص معين

إلى سماحة الوالد الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز حرسه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأرجو من سماحتكم إفتائي في حكم إطلاق لفظة (الشهيد) على المعين، مثل أن أقول: الشهيد فلان؟ وهل يجوز كتابة ذلك في المجلات والكتب؟ وجزاكم الله خيراً . [١]

ج: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بعده:

كل من سماه صلى الله عليه وسلم شهيداً، فإنه يسمى شهيداً؛ كالمطعون، والمبطون، وصاحب الهدم، والغرق، والقتيل في سبيل الله، والقتيل دون دينه، أو دون ماله، أو دون أهله، أو دون دمه، لكنهم كلهم يغسلون ويصلى عليهم، ما عدا الشهيد في المعركة، فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه إذا مات في المعركة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغسل شهداء أحد الذين ماتوا في المعركة، ولم يصل عليهم، كما رواه البخاري

(١) صدرت من مكتب سماحته في ١٤١٣/٥/٢٠هـ، ونشرت في هذا المجموع ج٩، ص: ٤٦١

في صحيحه عن جابر رضي الله عنه وفق الله الجميع لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٧٦ - من قتل في سبيل مكافحة المخدرات فهو شهيد ومن أعان على فضح أوكارها فهو مأجور

القارئ / ع. ع. ج من المنطقة الشرقية بعث إلينا سؤالاً، يقول فيه:

لاشك أن إدارة مكافحة المخدرات تسعى جاهدة لسد المنافذ التي من طريقها تتسلل تلك السموم من المخدرات، إلى هذا البلد الطاهر، وقد نشط مروجو هذه السموم، ولكن بعون الله، ثم بقوة وعزيمة رجال مكافحة المخدرات، أصيبت جهود أولئك المروجين بالشلل، وسؤالي يا سماحة الشيخ هو:

هل يعتبر شهيداً من قتل من رجال مكافحة المخدرات، عند مداهمة أوكار متعاطي المخدرات ومروجيها؟ ثم ما حكم من يدلي بمعلومات تساعد رجال المكافحة للوصول إلى تلك الأوكار؟ أفتونا مأجورين. [١]

الجواب: لا ريب أن مكافحة المسكرات والمخدرات من أعظم الجهاد في سبيل الله، ومن أهم الواجبات: التعاون بين أفراد المجتمع في مكافحة ذلك؛ لأن مكافحتها في مصلحة الجميع؛ ولأن فشوها ورواجها مضرة على الجميع. ومن قتل

(١) نشر في (مجلة الدعوة) العدد ١٠٦١ في ١٠/٢/١٤٠٧هـ، وفي هذا المجموع ج٤، ص: ٤١٠

في سبيل مكافحة هذا الشر وهو حسن النية، فهو من الشهداء، ومن أعان على فضح هذه الأوكار وبيانها للمسئولين، فهو مأجور، وبذلك يعتبر مجاهداً في سبيل الحق، وفي مصلحة المسلمين، وحماية مجتمعهم مما يضر بهم.

فنسأل الله أن يهدي أولئك المروجين لهذا البلاء، وأن يردهم إلى رشدهم، وأن يعيذهم من شرور أنفسهم، ومكائد عدوهم الشيطان، وأن يوفق المكافحين لهم لإصابة الحق، وأن يعينهم على أداء واجبهم ويسدد خطاهم، وينصرهم على حزب الشيطان، إنه خير مسئول.

٧٧ - وجوب جهاد النفس

س: ما العلاج لمن يعصي ويتوب، ثم يرجع إلى المعصية؟[١]

ج: لابد من جهاد النفس في لزوم الحق، والثبات على التوبة؛ لأن النفس تحتاج إلى جهاد، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[٢]، ويقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣] ومعنى قوله سبحانه وتعالى: (جاهدوا فينا)؛ أي: جاهدوا أنفسهم، وجاهدوا الكفار، وجاهدوا المنافقين، وجاهدوا العصاة، وجاهدوا الشيطان.

(١) فتوى صدرت من مكتب سماحته، ونشرت في هذا المجموع ج٦، ص: ٢٧٣

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

فالآية عامة، تشمل أنواع الجهاد، ومن ذلك جهاد النفس؛ لأنه سبحانه حذف المفعول و لم ينص عليه في الآية؛ حتى تعم جميع أنواع الجهاد، فالنفس تحتاج إلى تربية، وعناية، وصبر وجهاد، كما يقول الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى***فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت

ويقول الآخر:

والنفس راغبة إذا رغبتها *** وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال الآخر:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على***حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

هذه ثلاثة أبيات جيدة مطابقة لأحوال النفس. فالمؤمن الحازم هو الذي يجاهد نفسه لله حتى تستقيم على الطريق، وتقف عند الحدود. وبذلك يهديه الله سبيله القويم وصراطه المستقيم، ويكون المؤمن بذلك من المحسنين، الذي قال فيهم سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال فيهم عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[2].

والله ولي التوفيق.

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٨.

٧٨ - القيام بالمسيرات في موسم الحج في مكة المكرمة باسم البراءة من المشركين، بدعة لا أصل لها

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهداه. أما بعد: [١]

فإن الله أوجب على عباده المؤمنين البراءة من المشركين في كل وقت، وأنزل في ذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[٢]، وأنزل في ذلك سبحانه في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣] الآيات.

وصحت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث الصديق رضي الله عنه عام تسع من الهجرة يقيم للناس حجهم، ويعلن البراءة من المشركين، ثم أتبعه بعلي رضي الله عنه

---

(١) صدرت من مكتب سماحته بتاريخ ١/١٢/١٤١٣هـ.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١.

ليبلغ الناس بذلك، وبعث الصديق رضي الله عنه مؤذنين مع علي رضي الله عنه ينادون في الناس بكلمات أربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد، فله أربعة أشهر يسيح في الأرض، كما قال عز وجل: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[1] الآية، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين إذا لم يسلموا، كما قال الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾[2]، يعني: الأربعة التي أجلها لهم عليه الصلاة والسلام في أصح قولي أهل العلم في تفسير الأشهر المذكورة في هذه الآية ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

هذا هو المشروع في أمر البراءة، وهو الذي أوضحته الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وبينه علماء التفسير في أول سورة (براءة) التوبة.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥.

أما القيام بالمسيرات والمظاهرات في موسم الحج في مكة المكرمة أو غيرها؛ لإعلان البراءة من المشركين، فذلك بدعة لا أصل لها، ويترتب عليه فساد كبير وشر عظيم، فالواجب على كل من كان يفعله تركه، والواجب على الدولة وفقها الله منعه؛ لكونه بدعة لا أساس لها في الشرع المطهر، ولما يترتب على ذلك من أنواع الفساد، والشر والأذى للحجيج، والله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[1] الآية.

و لم يكن هذا العمل من سيرته عليه الصلاة والسلام ولا من سيرة أصحابه رضي الله عنهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[3]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[4]. متفق على صحته. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢١.

(٣) سورة الحشر، الآية ٧.

(٤) رواه البخاري في (الصلح)، باب (إذا اصطلحوا على صلح جور) برقم ٢٦٩٧، ومسلم في (الأقضية)، باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم ١٧١٨.

جابر رضي الله عنه في خطبة الجمعة: ((أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة))[1]. أخرجه مسلم في صحيحه.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[2]. أخرجه مسلم أيضاً، وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: ((خذوا عني مناسككم))[3].

ولم يفعل صلى الله عليه وسلم مسيرات ولا مظاهرات في حجة الوداع، وهكذا أصحابه بعده رضي الله عنهم فيكون إحداث ذلك في موسم الحج، من البدع في الدين التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الذي فعله عليه الصلاة والسلام بعد نزول سورة (التوبة)، هو بعث المنادين في عام تسع من الهجرة؛ ليبلغوا الناس أنه لا يحج بعد هذا العام يعني عام تسعة مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، مع نبذ العهود التي للمشركين بعد أربعة أشهر، إلا من كان له عهد أكثر من ذلك، فهو له مدته، ولم يفعل صلى الله عليه وسلم هذا

---

(١) رواه مسلم في (الجمعة)، باب (تخفيف الصلاة والخطبة) برقم ٨٦٧.

(٢) رواه البخاري معلقاً في باب (النجش)، ومسلم في (الأقضية)، باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم ١٧١٨.

(٣) رواه بنحوه مسلم في (الحج)، باب (استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً) برقم ١٢٩٧.

التأذين في حجة الوداع؛ لحصول المقصود بعدما أمر به من التأذين في عام تسع.

والخير كله والسعادة في الدنيا والآخرة، في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم على سنته، وسلوك مسلك أصحابه رضي الله عنهم ؛ لأنهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة هم وأتباعهم بإحسان، كما قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين للعلم النافع، والعمل الصالح، والفقه في الدين، والسير على منهج سيد المرسلين، وأصحابه المرضيين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، ونزغات الشيطان، ومن البدع في الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه.

الرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

٧٩ - الأشهر الحرم

س: ما هي الأشهر الحرم؟ ولماذا سُميت بهذا الاسم؟ وهل الحرمة لبلد معين، أو شيء معين؟[١]

ج: الأشهر الحرم هي أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ فشهر مفرد، وهو رجب، والبقية متتالية، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. والظاهر أنها سميت حرماً؛ لأن الله حرم فيها القتال بين الناس؛ فلهذا قيل لها حرم؛ جمع حرام.

كما قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[٣]، فدل ذلك على أنه محرم فيها القتال، وذلك من رحمة الله لعباده؛ حتى يسافروا فيها، وحتى يحجوا ويعتمروا. واختلف العلماء: هل حرمة القتال فيها باقية، أو نسخت؟ على قولين: الجمهور: على أنها نسخت، وأن تحريم القتال فيها نُسخ. وقول آخر: أنها باقية و لم تُنسخ، وأن التحريم فيها باقٍ ولا يزال، وهذا القول أظهر من جهة الدليل.

---

(١) نشرت في مجلة (التوعية الإسلامية) العدد التاسع عام ١٤٠١هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

٨٠ - مفهوم الأحاديث المتعلقة بالفتن

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكـــرم فـــضيلة الشيخ / ع. ح. خ وفقه الله لما فيه رضاه، وزاده من العلم والإيمان. آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد [(١)]:

فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ محرم ١٤١١هـــ وصـــلكم الله بهداه واطلعت على جميع ما ذكرتم.

ويسرني أن أخبركم أن الأحاديث المتعلقة بالفتن والتحـــذير منـــها، محمولة عند أهل العلم على الفتن التي لا يعرف فيها المحق من المبطل، فهذه الفتن، المشروع للمؤمن الحذر منها، وهي التي قصدها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((القاعد فيها خير من القائم، والماشي خير من الساعي))[(٢)] الحديث.

أما الفتن التي يُعرف فيها المحق من المبطل والظالم من المظلوم، فليست

---

(١) رسالة جوابية صدرت من مكتب سماحته برقم ٢٧٥/خ وتاريخ ٥/٣/١٤١١هـــ، ونشرت في هـــذا المجموع ج٧ ، ص: ٣٥٩.

(٢) رواه البخاري في (الفتن)، باب (تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم) بـــرقم ٧٠٨١، ومـــسلم في (الفتن وأشراط الساعة)، باب (نزول الفتن كمواقع القطر) برقم ٢٨٨٦.

داخلة في الأحاديث المذكورة، بل قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، على وجوب نصر المحق والمظلوم على الباغي والظالم.

ومن هذا الباب ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فإن المصيب عند أهل السنة هو علي، وهو مجتهد وله أجران، ومعاوية ومن معه مخطئون، وبغاة عليه، لكنهم مجتهدون، طالبون للحق، فلهم أجر واحد رضي الله عن الجميع.

وأما الاستعانة ببعض الكفار في قتال الكفار عند الحاجة أو الضرورة، فالصواب أنه لا حرج في ذلك، إذا رأى ولي الأمر الاستعانة بأفراد منهم، أو دولة في قتال الدولة المعتدية لصد عدوانها؛ عملاً بالأدلة كلها. فعند عدم الحاجة والضرورة لا يستعان بهم، وعند الحاجة والضرورة يستعان بهم، على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم. وفي هذا جمع بين الأدلة الشرعية؛ لأنه صلى الله عليه وسلم استعان بالمطعم بن عدي لما رجع من الطائف، ودخل مكة بجواره. واستعان بعبد الله بن أريقط الديلي؛ ليدله على طريق المدينة، وكلاهما مشرك. وسمح للمهاجرين من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة مع كونها دولة نصرانية ؛ لما في ذلك من المصلحة للمسلمين، وبعدهم عن أذى قومهم من أهل مكة من الكفار. واستعان بدروع من صفوان بن أمية يوم حنين وهو كافر. وقال في حديث عائشة

رضي الله عنها للذي أراد أن يخرج معه في بدر وهو مشرك: ((ارجع، فلن أستعين بمشرك))[1]. وأقر اليهود بخيبر بعد ذلك، واستعان بهم في القيام على مزارعها ونخيلها؛ لحاجة المسلمين إليه، واشتغال الصحابة بالجهاد، فلما استغني عنهم أجلاهم عمر رضي الله عنه والأدلة في هذا كثيرة.

والواجب على أهل العلم، الجمع بين النصوص وعدم ضرب بعضها ببعض. ودولة البعث أخطر على المسلمين من دولة النصارى؛ لأن الملحد أكفر من الكتابي، كما لا يخفى.

وما فعله حاكم العراق البعثي في الكويت، يدل على الحقد العظيم، والكيد للإسلام وأهله.

ومما يجب التنبيه عليه: أن بعض الناس قد يظن أن الاستعانة بأهل الشرك تعتبر موالاة لهم، وليس الأمر كذلك؛ فالاستعانة شيء والموالاة شيء آخر. فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم حين استعان بالمطعم بن عدي، أو بعبد الله بن أريقط، أو بيهود خيبر موالياً لأهل الشرك، ولا متخذاً لهم بطانة، وإنما فعل ذلك للحاجة إليهم، واستخدامهم في أمور تنفع المسلمين ولا تضرهم. وهكذا بعثه المهاجرين من مكة

(١) رواه مسلم في (الجهاد والسير)، باب (كراهة الاستعانة في الغزو بمشرك) برقم ١٨١٧.

إلى بلاد الحبشة، ليس ذلك موالاة للنصارى، وإنما فعل ذلك لمصلحة المسلمين وتخفيف الشر عنهم.

فيجب على المسلم أن يفرق بين ما فرق الله بينه، وأن يترل الأدلة منازلها، والله سبحانه هو الموفق والهادي، لا إله غيره، ولا رب سواه.

ونشفع لكم نسخة مما كتبناه في ذلك، ونسخة من قرارات المؤتمر بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ ٢٣/٢/١٤١١هـ، ونسخة من وثيقة مكة المكرمة الصادرة عن المؤتمر المذكور.

وأسأل الله عز وجل أن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين، والثبات عليه، والدعوة إليه على بصيرة، وأن يعيذنا وإياكم وسائر إخواننا من مضلات الفتن، إنه سميع قريب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

٨١ - الحوار الذي أجراه رئيس تحرير جريدة (المسلمون) مع سماحته حول الصلح مع اليهود

(أ) جواز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك

س١: سماحة الوالد: المنطقة تعيش اليوم مرحلة السلام واتفاقياته، الأمر الذي آذى كثيرا من المسلمين، مما حدا ببعضهم معارضته، والسعي لمواجهة الحكومات التي تدعمه عن طريق الاغتيالات، أو ضرب الأهداف المدنية للأعداء، ومنطقهم يقوم على الآتي:

أ- أن الإسلام يرفض مبدأ المهادنة.

ب- بأن الإسلام يدعو لمواجهة العداء، بغض النظر عن حال الأمة والمسلمين من ضعف أو قوة.

نرجو بيان الحق، وكيف نتعامل مع هذا الواقع بما يكفل سلامة الدين وأهله؟[١]

---

(١) حوار أجراه الدكتور / عبد الله الرفاعي رئيس تحرير جريدة (المسلمون) مع سماحته، ونشر نص الحوار في العدد ٥١٦ بتاريخ ١٤١٥/٧/٢١هـ، وفي هذا المجموع ج٨ ، ص: ٢١٢.

ج: تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعاً ، كما صالح أهل مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وصالح كثيرا من قبائل العرب صلحاً مطلقاً، فلما فتح الله عليه مكة، نبذ إليهم عهودهم، وأجل من لا عهد له أربعة أشهر، كما في قوله سبحانه: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ الآية[2].

وبعث صلى الله عليه وسلم المنادين بذلك عام تسع من الهجرة بعد الفتح مع الصديق، لما حج رضي الله عنه ولأن الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة، ثم قطعها عند زوال الحاجة، كما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله القول في ذلك في كتابه (أحكام أهل الذمة)، واختار ذلك شيخه، شيخ الإسلام / ابن تيمية، وجماعة من أهل العلم. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ١، ٢.

ب - نصيحة مهمة لأبناء الشعب الفلسطيني

س: يختلف الفلسطينيون في مواقفهم من عملية السلام: فحماس تعارض وتدعو إلى المقاومة، والسلطة الفلسطينية موافقة، وأغلب الشارع كما يبدو مع السلطة، فمن تلزم الناس طاعته؟ وما هو موقفنا نحن في الخارج؟ نرجو بيان الحق؛ لأن هناك أخطاراً بأن ينشب القتال بين الفلسطينيين أنفسهم؟

وفي ختام الحديث مع سماحتكم، وبما جعل الله لكم من محبة وقبول في قلوب الناس، أرجو أن يوجه سماحتكم كلمة لأبناء هذه الأمة، يكون فيها ما يكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويكفل رفعة الدين وأهله وفقنا الله وإياكم لكل خير. آمين.

ج ٢: ننصح الفلسطينيين جميعاً بأن يتفقوا على الصلح، ويتعاونوا على البر والتقوى؛ حقناً للدماء، وجمعاً للكلمة على الحق، وإرغاماً للأعداء الذين يدعون إلى الفرقة والاختلاف.

وعلى الرئيس وجميع المسئولين أن يحكموا شريعة الله، وأن يلزموا بها الشعب الفلسطيني؛ لما في ذلك من السعادة والمصلحة العظيمة للجميع، ولأن ذلك هو الواجب الذي

أوجبه الله على المسلمين عند القدرة، كما في قوله سبحانه في سورة (المائدة): ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾[1]، إلى أن قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]، وقال سبحانه في سورة (النساء): ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3]، وقال سبحانه في سورة (المائدة): ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]، و: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[5]، و: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[6].

ومن هذه الآيات وغيرها يُعلم، أن الواجب على جميع الدول الإسلامية هو تحكيم شرع الله فيما بينهم، والحذر مما يخالفها، وفي ذلك سعادتهم ونصرهم، ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٦) سورة المائدة، الآية ٤٧.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنحهم التوفيق، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يعينهم على تحكيم شريعته في كل شئوهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبهذه المناسبة فإني أنصح جميع المسلمين في كل مكان: بأن يتفقهوا في الدين، وأن يعرفوا معنى العبادة التي خلقوا لها، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وقد أمرهم الله بها سبحانه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وقد فسرها سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه العظيم، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم وحقيقتها: توحيده سبحانه وتخصيصه بالعبادة من الخوف والرجاء والتوكل والصوم والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة، مع طاعة أوامره وترك نواهيه.

وبذلك يُعلم أنها هي الإسلام، والإيمان، والتقوى، والبر والهدى، وطاعة الله ورسوله، سمى الله ذلك كله: عبادة؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله سبحانه .

فالواجب على المكلفين أن يعبدوه وحده، وأن

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١.

يتقوا غضبه وعقابه بالإخلاص له في العمل، وتخصيصه بالعبادة وحده، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والحكم بشريعته، والتناصح بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢].

فأوضح سبحانه في هذه السورة العظيمة أن جميع بني الإنسان في خسران، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. فهؤلاء هم الرابحون والسعداء، والمنصورون في الدنيا والآخرة.

ومعنى قوله سبحانه: **(إلا الذين آمنوا)** يعني: آمنوا بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بحق، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وبكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر: الجنة والنار، والحساب والجزاء، وغير ذلك، ثم **(وعملوا الصالحات)**، فأدوا فرائض الله، وتركوا محارم الله عن إخلاص لله وصدق، ثم **(وتواصوا بالحق)** فيما بينهم، وتناصحوا، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وصبروا على ذلك؛

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة العصر، كاملة.

يرجون ثواب الله، ويخشون عقابه، فهؤلاء هم المنصورون، وهم الرابحون، وهم السعداء في الدنيا والآخرة.

فنسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعلنا وسائر إخواننا منهم، وأن يوفق جميع المسلمين في كل مكان للاستقامة على هذه الأخلاق، والصبر عليها، والتواصي بها، إنه سميع قريب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٨٢ - أجوبة على أسئلة تتعلق بالحوار السابق حول الصلح مع اليهود

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه أجوبة على أسئلة تتعلق بما أفتينا به من جواز الصلح مع اليهود، وغيرهم من الكفرة، صلحاً مؤقتاً أو مطلقاً، على حسب ما يراه ولي الأمر أعني: ولي أمر المسلمين الذي تجري المصالحة على يديه من المصلحة في ذلك؛ للأدلة التي أوضحناها في الفتوى المذكورة في صحيفة (المسلمون)، في العدد الصادر يوم ٢١ رجب ١٤١٥هـ ، وهذا نص الأسئلة:

أ- الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يلزم منه مودهم ولا موالاهم:

س١: فهم بعض الناس من إجابتكم على سؤال الصلح مع اليهود وهو السؤال الأول في المقابلة أن الصلح أو الهدنة مع اليهود المغتصبين للأرض، والمعتدين جائز على إطلاقه، وأنه يجوز مودة اليهود ومحبتهم، ويجب عدم إثارة ما يؤكد البغضاء والبراءة منهم في المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وفي أجهزة إعلامها، زاعمين أن السلام معهم يقتضي هذا، وأنهم ليسوا بعد معاهدات السلام أعداء، يجب اعتقاد عداوتهم، ولأن العالم الآن يعيش حالة الوفاق الدولي والتعايش السلمي، فلا يجوز إثارة العداوة الدينية بين الشعوب. فنرجو من سماحتكم التوضيح.(١)

ج ١: الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يلزم منه مودتهم ولا موالاتهم، بل ذلك يقتضي الأمن بين الطرفين، وكف بعضهم عن إيذاء البعض الآخر، وغير ذلك؛ كالبيع والشراء، وتبادل السفراء، وغير ذلك من المعاملات التي لا تقتضي مودة الكفرة ولا موالاتهم.

وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة، ولم يوجب ذلك محبتهم

(١) هذه الأجوبة نشرت في جريدة (المسلمون)، العدد ٥٢٠ في ١٤١٥/٨/١٩هـ. وفي هذا المجموع ج٨، ص: ٢١٩

ولا موالاتهم، بل بقيت العداوة والبغضاء بينهم، حتى يسر الله فتح مكة عام الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وهكذا صالح النبي صلى الله عليه وسلم يهود المدينة لما قدم المدينة مهاجراً صلحاً مطلقاً، ولم يوجب ذلك مودتهم ولا محبتهم.

لكنه عليه الصلاة والسلام كان يعاملهم في الشراء منهم، والتحدث إليهم، ودعوتهم إلى الله وترغيبهم في الإسلام، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي، في طعام اشتراه لأهله.

ولما حصل من بني النضير من اليهود الخيانة أجلاهم من المدينة عليه الصلاة والسلام ، ولما نقضت قريظة العهد ومالئوا كفار مكة يوم الأحزاب على حرب النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم فقتل مقاتلتهم، وسبى ذريتهم ونساءهم، بعدما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم فحكم بذلك، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حكمه قد وافق حكم الله من فوق سبع سموات.

وهكذا المسلمون من الصحابة ومن بعدهم، وقعت الهدنة بينهم في أوقات كثيرة وبين الكفرة من النصارى وغيرهم، فلم يوجب ذلك مودة، ولا موالاة، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[1]، وقال

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٢.

سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٣] الآية. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومما يدل على أن الصلح مع الكفار من اليهود وغيرهم إذا دعت إليه المصلحة أو الضرورة لا يلزم منه مودة، ولا محبة، ولا موالاة: أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر، صالح اليهود فيها على أن يقوموا على النخيل والزروع التي للمسلمين، بالنصف لهم، والنصف الثاني للمسلمين، ولم يزالوا في خيبر على هذا العقد، ولم يحدد مدة معينة، بل قال صلى الله عليه وسلم: ((نقركم على ذلك ما شئنا))[٤]، وفي لفظ:

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٣) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٤) رواه البخاري في (المزارعة)، باب (إذا قال رب الأرض: أقرك ما أقرك الله...) برقم ٢٣٣٨، ومسلم في (المساقاة)، باب (المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع) برقم ١٥٥١.

((نقركم ما أقركم الله))[1]، فلم يزالوا بها حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه .

وروي عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه لما خرص عليهم الثمرة في بعض السنين قالوا: إنك قد جرت في الخرص، فقال رضي الله عنه: "والله إنه لا يحملني بغضي لكم ومحبتي للمسلمين أن أجور عليكم، فإن شئتم أخذتم بالخرص الذي خرصته عليكم، وإن شئتم أخذناه بذلك".

وهذا كله يبين أن الصلح والمهادنة لا يلزم منها محبة، ولا موالاة، ولا مودة لأعداء الله، كما يظن ذلك بعض من قل علمه بأحكام الشريعة المطهرة.

وبذلك يتضح للسائل وغيره، أن الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يقتضي تغيير المناهج التعليمية، ولا غيرها من المعاملات المتعلقة بالمحبة والموالاة. والله ولي التوفيق.

ب- الصلح مع اليهود لا يقتضي التمليك أبدياً:

س٢: هل تعني الهدنة المطلقة مع العدو: إقراره على ما اقتطعه من أرض المسلمين في فلسطين، وأنها قد أصبحت حقاً أبداً لليهود، بموجب معاهدات تصدق عليها

(١) رواه البخاري في (الشروط)، باب (إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك) برقم ٢٧٣٠.

الأمم المتحدة، التي تمثل جميع أمم الأرض، وتخول الأمم المتحدة عقوبة أي دولة تطالب مرة أخرى باسترداد هذه الأرض، أو قتال اليهود فيها؟

ج٢: الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود، لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكاً أبدياً، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكاً مؤقتاً، حتى تنتهي الهدنة المؤقتة، أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة.

وهكذا يجب قتالهم عند القدرة حتى يدخلوا في دين الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وهكذا النصارى والمجوس؛ لقول الله سبحانه في سورة (التوبة): ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الجزية من المجوس، وبذلك صار لهم حكم أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط إذا لم يسلموا. أما حل الطعام والنساء للمسلمين فمختص بأهل الكتاب، كما نص عليه كتاب الله سبحانه في سورة (المائدة).

وقد صرح الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [1] الآية، بمعنى ما ذكرنا في شأن الصلح.

ج: ما تقتضيه المصلحة يعمل به من الصلح وعدمه:

س٣: هل يجوز بناء على الهدنة مع العدو اليهودي، تمكينه بما يسمى معاهدات التطبيع من الاستفادة من الدول الإسلامية اقتصادياً، وغير ذلك من المجالات، بما يعود عليه بالمنافع العظيمة، ويزيد من قوته وتفوقه، وتمكينه في البلاد الإسلامية المغتصبة، وأن على المسلمين أن يفتحوا أسواقهم لبيع بضائعه، وأنه يجب عليهم تأسيس مؤسسات اقتصادية؛ كالبنوك والشركات، يشترك اليهود فيها مع المسلمين، وأنه يجب أن يشتركوا كذلك في مصادر المياه؛ كالنيل والفرات، وإن لم يكن جارياً في أرض فلسطين؟

ج٣: لا يلزم من الصلح بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين اليهود ما ذكره السائل بالنسبة إلى بقية الدول، بل كل دولة تنظر في مصلحتها، فإذا رأت أن من المصلحة للمسلمين في بلادها الصلح مع اليهود في تبادل السفراء، والبيع والشراء، وغير ذلك من المعاملات التي يجيزها الشرع المطهر، فلا بأس في ذلك. وإن رأت أن المصلحة لها ولشعبها مقاطعة

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

اليهود فعلت ما تقتضيه المصلحة الشرعية، وهكذا بقية الدول الكافرة حكمها حكم اليهود في ذلك.

والواجب على كل من تولى أمر المسلمين سواء كان ملكاً أو أميراً أو رئيس جمهورية أن ينظر في مصالح شعبه، فيسمح بما ينفعهم، ويكون في مصلحتهم من الأمور التي لا يمنع منها شرع الله المطهر، ويمنع ما سوى ذلك مع أي دولة من الدول الكافرة؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [2] الآية، وتأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم في مصالحته لأهل مكة، ولليهود في المدينة وفي خيبر، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والعبد راع في مال سيده ومسئول عن رعيته))، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا فكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته)).[3] وقد قال الله عز وجل في

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٣) رواه البخاري في (الاستقراض وأداء الديون)، باب (العبد راع في مال سيده) برقم ٢٤٠٩، وفي (العتق)، باب (كراهية التطاول على الرقيق) برقم ٢٥٥٤، وباب (العبد راع في مال سيده) برقم ٢٥٥٨، ومسلم في (الإمارة)، باب (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر) برقم ١٨٢٩.

كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذا كله عند العجز عن قتال المشركين، والعجز عن إلزامهم بالجزية إذا كانوا من أهل الكتاب أو المجوس أما مع القدرة على جهادهم وإلزامهم بالدخول في الإسلام، أو القتل، أو دفع الجزية إن كانوا من أهلها فلا تجوز المصالحة معهم، وترك القتال وترك الجزية، وإنما تجوز المصالحة عند الحاجة أو الضرورة، مع العجز عن قتالهم أو إلزامهم بالجزية إن كانوا من أهلها ؛ لما تقدم من قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات المعلومة في ذلك.

وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة يوم الحديبية ويوم الفتح، ومع اليهود حين قدم

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

المدينة، يدل على ما ذكرنا.

والله المسئول أن يوفق المسلمين لكل خـــير، وأن يــصلح أحـــوالهم، ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قـــادتهم، وأن يعينهم على جهاد أعداء الله على الوجه الذي يرضـــيه، إنـــه ولي ذلـــك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٨٣ - إيضاح وتعقيب على مقال فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي حول الصلح مع اليهود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: (١)

فهذا إيضاح وتعقيب على مقال فضيلة الشيخ / يوسف القرضاوي المنشور في مجلة (المجتمع) العدد ١١٣٣، الصادرة يوم ٩ شعبان ١٤١٥هـ الموافق ١٠/١/١٩٩٥م، حول الصلح مع اليهود، وما صدر مني في ذلك المقال المنشور في صحيفة (المسلمون) الصادر في ٢١ رجب ١٤١٥هـ؛ جواباً لأسئلة موجهة إلي من بعض أبناء فلسطين.

وقد أوضحت أنه لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم، ويتمكنوا من إقامة دينهم. وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف، أن ما قلته في ذلك مخالف للصواب؛ لأن اليهود غاصبون، فلا يجوز الصلح معهم.. إلى آخر ما ذكره فضيلته. وإني أشكر فضيلته على اهتمامه بهذا

---

(١) نشرت في مجلة (المجتمع) في العدد ١١٤٠ بتاريخ ٦/١٠/١٤١٥هـ، وفي هذا المجموع ج٨ ، ص: ٢٢٦.

الموضوع، ورغبته في إيضاح الحق الذي يعتقده، ولاشك أن الأمر في هذا الموضوع وأشباهه، هو كما قال فضيلته: "يرجع فيه للدليل "، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهـذا هـو الحق في جميع مسائل الخلاف؛ لقول الله عز وجل: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[2]، وهذه قاعدة مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة.

ولكن ما ذكرناه في الصلح مع اليهود قد أوضحنا أدلته، وأجبنا عن أسئلة وردت إلينا في ذلك من بعض الطلبة بكلية الشريعة في جامعة الكويت، وقد نشرت هذه الأجوبة في صحيفة (المسلمون) الصادرة في يوم الجمعة ١٩/٨/١٤١٥هـ الموافق ٢٠/١/١٩٩٥م، وفيها إيضاح لبعض ما أشكل على بعض الإخوان في ذلك.

ونقول للشيخ يوسف وفقه الله وغيره من أهل العلم: إن قريشاً قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم، كما قال سبحانه في سورة (الحشر): ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[3]،

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٠.

(٣) سورة الحشر، الآية ٨.

ومع ذلك صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، و لم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم؛ مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب الدخول في الإسلام.

ونقول أيضاً جواباً لفضيلة الشيخ يوسف: عن المثال الذي مثل به في مقاله، وهو: لو أن إنساناً غصب دار إنسان وأخرجه إلى العراء، ثم صالحه على بعضها. أجاب الشيخ يوسف: أن هذا الصلح لا يصح.

وهذا غريب جداً، بل هو خطأ محض، ولاشك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقه، واصطلح مع الظالم في ذلك فلا حرج؛ لعجزه عن أخذ حقه كله، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[2]، ولاشك أن رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجرتين أو أكثر يسكن فيها هو وأهله، خير من بقائه في العراء. أما قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[3]، فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم، وأقدر على أخذ حقه، فإنه لا

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٨.

(٣) سورة محمد، الآية ٣٥.

يجوز له الضعف، والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم، وأقدر على أخذ حقه، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية، فلا بأس أن يدعو إلى السلم، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية. وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى السلم يوم الحديبية؛ لما رأى أن ذلك هو الأصلح للمسلمين والأنفع لهم، وأنه أولى من القتال، وهو عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر؛ لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] الآية.

ولما نقضوا العهد وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح، غزاهم في عقر دارهم، وفتح الله عليه البلاد، ومكنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم، وتم له الفتح والنصر، ولله الحمد والمنة.

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم، إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية، لا على العاطفة والاستحسان، مع الاطلاع على ما كتبته أخيراً من الأجوبة الصادرة في صحيفة (المسلمون) في ١٩/٨/١٤١٥هـ، الموافق ٢٠/١/١٩٩٥م. وقد أوضحت فيها: أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها كما دلت على ذلك الآيات القرآنية

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

والأحاديث النبوية، وعند العجز عن ذلك، لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم؛ تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم في حربه وصلحه، وتمسكاً بالأدلة الشرعية العامة والخاصة، ووقوفاً عندها، فهذا هو طريق النجاة، وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة.

والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين قادة وشعوباً لكل ما فيه رضاه، وأن يمنحهم الفقه في دينه والاستقامة عليه، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يصلح قادة المسلمين، ويوفقهم للحكم بشريعته والتحاكم إليها، والحذر مما يخالفها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

انتهى الجزء الثامن عشر ويليه بمشيئة الله تعالى الجزء التاسع عشر وأوله كتاب البيوع